المعاجم اللغوية العربية

(1) المعاجم العامة
وظائفها- مستوياتها - أثرها في تنمية لغة الناشئة
دراسة وصفية تحليلية نقدية

أ.د. أحمد محمد المعتوق

دار النهضة العربية

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

المعاجم اللغوية العربية

المعاجم اللغوية العربية

1ـ المعاجم العامة

وظائفها ـ مستوياتها ـ أثرها في تنمية لغة الناشئة

دراسة وصفية تحليلية نقدية

أ. د. أحمد محمد المعتوق

جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ـ الظهران

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

رقم الكتاب : 17172
اسم الكتاب : المعاجم اللغوية العربية
المؤلف : د. أحمد محمد المعتوق
الموضوع : لغة
رقم الطبعة : الأولى
سنة الطبع : 1428 هـ - 2008 م.
القياس : 17 × 24
عدد الصفحات : 235

منشورات : دار النهضة العربية
بيروت – لبنان

الزيدانية – بناية كريدية- الطابق الثاني
تلفون : 736093 / 743167 / 743166 1 961 +
فاكس : 736071 / 735295 1 961 +
ص.ب 0749- 11 رياض الصلح
بيروت 072060 11 – لبنان
بريد الكتروني : e-mail:darnahda@cyberia.net.lb

جميع حقوق الطبع محفوظة

عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج أو نشر أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها الا بإذن كتابي.

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتوى

تقديم 9

الجزء الأول: المعجم تعريفه ـ أهميته ـ أنواعه 15

تحديد مصطلح «المعجم» 17

المعجم اللغوي والموسوعة 18

الوحدة المعجمية والوحدة الموسوعية 20

أهمية المعاجم اللغوية 21

أنواع المعاجم 24

الجزء الثاني: المعاجم اللغوية العامة القديمة 27

1 - الصحاح 31

2 - لسان العرب 33

3 - القاموس المحيط 37

4 - تاج العروس 40

5 - أساس البلاغة 44

الجزء الثالث: المعاجم اللغوية العامة الحديثة 49

1 - محيط المحيط 51

2 - أقرب الموارد 53

3 - البستان 55

4 - متن اللغة..... 57
5 - المنجد في اللغة والأعلام..... 59
6 - المعجم الوسيط..... 64
7 - الرائد..... 70
8 - القاموس الجديد: (الألفبائي)..... 78
9 - المعجم العربي الأساسي..... 84
10 - الهادي إلى لغة العرب..... 89
11 - المحيط: معجم اللغة العربية..... 94
12 - معجم «لغة العرب»..... 99
13 - الكافي..... 105
الجزء الرابع: معاجم الطلاب اللغوية العامة..... 111
تمهيد..... 113
1 - المصباح المنير..... 114
2 - مختار الصحاح..... 116
3 - مختار القاموس المحيط..... 119
4 - قطر المحيط..... 121
5 - الوافي، أو «فاكهة البستان»..... 121
6 - معجم الطالب..... 123
7 - رائد الطلاب..... 126
8 - معاجم الناشئة المستلة من المنجد..... 128
9 - معجم لاروس..... 132
10 - المعجم الوجيز..... 134
11 - معجم الطلاب..... 137
12 - مجاني الطلاب..... 139
13 - منهل اللغة الصغير..... 142
14 - معاجم دار الراتب: الأداء، الأسيل، أبجد..... 144

- ملاحظات عامة على معاجم دار الراتب.....146
15 - قاموس الهادي.....149
16 - المعجم العربي الميسر.....150
- تعقيب ونقد.....154
الجزء الخامس: صفات عامة مقترحة للمعجم الجديد.....159
قضية الحجم 164
مادة المعجم 174
1 - الألفاظ التراثية 174
2 - الألفاظ العامية والأجنبية.....177
منهج المعجم.....180
طريقة التفسير والشرح.....185
الاستشهاد.....192
1 - الشواهد التوضيحية السياقية.....192
2 - الشواهد الصورية.....195
الطباعة والإخراج.....200
نحوعمل جماعي في إعداد المعجم.....204
الهوامش.....206
قائمة بالمعاجم التي شملتها الدراسة.....220
المصادر والمراجع.....225

تقديم

لقد دلت مجموعة من الدراسات[1] على أن معظم الناشئة في البلاد العربية وفي المراحل الدراسية كافة يعانون من ضعف متزايد في لغتهم الفصحى، وأن هذا الضعف يكاد يكون شاملاً لمعظم مهارات هذه اللغة، وأن من بين أهم أسباب هذا الضعف قلة محصول هؤلاء الناشئة من مفردات لغتهم الفصيحة وجهلهم بمصادر تنمية هذا المحصول وبطرق استغلال هذه المصادر على النحوالمطلوب، ولاسيما المعاجم اللغوية التي تعد من أهم وأبرز هذه المصادر .

على الرغم من تنوع المعاجم العربية وتعدد أشكالها ومناهجها وسهولة توفيرها في الوقت الراهن فإن ممارسة استخدام هذه المعاجم في المؤسسات التعليمية غير ملحوظة بنحوكاف، لا بين الناشئة ولا حتى بين أساتذتهم ومدرسيهم، اللهم إلا بعض المتخصصين منهم في مجالات اللغة والأدب في مراحل التعليم المتقدمة. أما في مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي فإن ممارسة استخدامها تكاد تكون معدومة. ويعود ذلك بالدرجة الأولى فيما يعتقد إلى الجهل بنوعيات هذه المعاجم وبما يلائم أو يصلح منها لمستوى أو غرض معين معلوم دون غيره، هذا فضلاً عن الجهل الكبير بمناهج تصنيف المفردات في هذه المعاجم وبطرق استعمالها والكشف عن معاني المفردات اللغوية فيها.

يتردد الكثيرون من الناشئة وغيرهم في اقتناء المعجم أو في الرجوع إليه، لأنهم لا يستطيعون تحديد نوعية هذا المعجم أو مستواه. فالمعاجم العربية التي يزج بها في الأسواق أو تصف في رفوف المكتبات عديدة، متباينة العناوين، مختلفة الأسماء والأحجام والأشكال والمناهج والوظائف، والناشئ، بل حتى المتعلم الكبير لا يعلم ما يناسب مستواه أو يلبي حاجته ويصلح لغرضه منها،

وربما لا يجد من يرشده ويدله على بغيته، لأن من يفترض منه أن يقوم بهذه المهمة قد يحتار هوالآخر في تحديد المعجم المناسب من بين هذا الكم الهائل من المعاجم. حيث تتنافس مؤسسات الطباعة ودور النشر التجارية على إصدار هذه المعاجم في أحجام متنوعة وأشكال مبهرجة أو إعادة نشر القديم منها في أثواب جديدة وصور محلاة مغرية فيختلط بذلك القديم منها بالحديث. مما يؤدي إلى مزيد من الحيرة لدى القارئ المتردد أصلاً ويقوده إلى الاختيار العشوائي غير الموفق لمعجمه، أو إلى العزوف عن المعجم كلية وعن اختياره أو شرائه، ومن ثم الحرمان مما يمكن أن يعود به من فائدة عليه.

تحدثت فيما سبق في كتابي «الحصيلة اللغوية» الذي نشر ضمن سلسلة «عالم المعرفة». عن مناهج تصنيف المفردات اللغوية في المعاجم العربية، وميزت في اختصار بين قديم هذه المناهج وحديثها، كما أشرت إلى ما يفترض أن يكون عليه المعجم العربي ومعاجم الناشئة عامة من صفات بنحو بعيد عن التفصيل،[2] في نية أن أعود لتناولها وبحثها في إطار خاص موسع وهو هذه الدراسة التي أقدمها بين يدي القارئ الكريم.

وليس من غرض هذه الدراسة تقديم عرض وتقييم شامل للمعاجم العربية كافة، وإنما الغرض الأساسي هو تسليط بعض الضوء على المعاجم العربية التي تختص بدورها المميز في تنمية رصيد الناشئة وعامة المتعلمين والمثقفين من مفردات اللغة وصيغها وتراكيبها الفصيحة، وفي تكوين لغة طيعة مرنة متطورة لديهم؛ ملبية لحاجاتهم في التعبير، مواكبة لروح العصر ومستجدات الحياة الحديثة، ومعينة في الوقت نفسه على الارتباط بالتراث والاستفادة مما يحمل هذا التراث من عناصر إيجابية فاعلة. ولذلك فإن هذه الدراسة ستولي الاهتمام في المقام الأول بالمعاجم اللغوية العربية الحديثة أحادية اللغة بينما تختصر الحديث عن تلك المعاجم التي يمكن أن يستغنى عنها بغيرها مما هو أكثر حداثة أو أيسر منهجاً وأكثر فاعلية وأقرب إلى حاجة طالب اللغة في هذا العصر، وتستبعد المعاجم القديمة المطولة التي ليس لها أهميتها الكبيرة بالنسبة لعامة المتعلمين في الوقت الحاضر، كما أنها لا تتعرض للحديث عن معاجم المصطلحات أو المعاجم الخاصة التي تتعلق بمجالات علمية أو فنية محددة وتعني فئات من المتخصصين أكثر مما تهم غيرهم من عامة مستخدمي اللغة ومتعلميها.

ولا تتسع هذه الدراسة كذلك لتعداد تلك الكتب والرسائل المختصرة التي ألفت في بدايات

جمع اللغة، واشتملت على مجموعات متفرقة من الكلمات النادرة أو الغريبة أو المفردات المتعلقة بموضوعات أو مجالات وتصاريف لغوية معينة؛ ولا للحديث عن تلك المعاجم التي اختصت بطوائف معينة من ألفاظ اللغة وسعت إلى تحقيق أهداف لغوية خاصة مثل: معاجم المترادفات، ومعاجم الأضداد، والألفاظ المشتركة المعاني وغيرها. لأن الهدف هنا كما تبين ليس الحديث عن جمع اللغة ولا عن أصناف الأوعية الناقلة لمفرداتها.

هذا فضلاً عن أن محتويات تلك الكتب والرسائل التي ألفت في بدايات عهود جمع اللغة، قد أفرغت في المعاجم وكتب اللغة الواسعة التي صدرت بعدها واعتمدت في مادتها عليها، وأصبحت حينئذ أهم منها بلا شك، سواء من حيث المنهجية وحداثة التصنيف، أو من حيث السعة والإحاطة والشمول. وإذا كان قد أغفل شيء من محتويات الكتب الصغيرة والرسائل المذكورة، أو ترك ولم يدرج في المعاجم والكتب التي صدرت بعدها فللشك في نسبته، أو لشدة خصوصيته، أو شدة غرابته وندرة استعماله وقلة فاعليته أو حيويته. على أن ذلك كله لا يعني تجاهل أهمية هذه الرسائل والكتب، إذ لا شك أن بعضها يخدم أغراضاً لغوية معينة، كما أن لبعض آخر منها مكانها الخاص من الدراسات اللغوية المتخصصة. ويمكن رجوع الباحث أو الدارس المتخصص إليها في مظانها وهي كثيرة [3].

ومن جانب آخر فإن هناك معاجم لغوية قديمة لها مكانتها التي لا تنكر في تطوير حركة التأليف المعجمي ودورها المؤثر في تنمية الرصيد اللغوي بنحو عام، لم تتناولها هذه الدراسة، لأنها لا تصل في فاعليتها في غالب الاحتمال إلى المستوى الذي يحقق الهدف المنشود في تنمية رصيد الناشئة وعامة المتعلمين من مفردات اللغة الحية الفصيحة. وذلك لصعوبة المناهج المتبعة فيها، من هذه المعاجم على سبيل المثال تلك التي وضعت وفق ما سمي بالنظام التقليبي الصوتي مثل: كتاب «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، و«تهذيب اللغة» لمحمد بن أحمد الأزهري (ت370هـ)، و«المحكم والمحيط الأعظم» لعلي بن إسماعيل بن سيده (ت 458هـ)، و«المحيط» للصاحب بن عباد (ت385هـ). ثم تلك المعاجم التي جرب فيها أصحابها أنواعاً مزيجة من الأنظمة والابتكارات أو الإجراءات الغريبة جعلتها أكثر صعوبة وتعقيداً من سابقتها، مثل كتاب «جمهرة اللغة»، الذي مزج فيه مؤلفه محمد بن الحسن بن دريد(ت 321هـ) بين النظام الألفبائي الهجائي ونظام الأبنية والتقاليب. ومثلها معجمي «المجمل» و«المقاييس» لأحمد

بن فارس (ت395هـ)، اللذين وضعا على وفق النظام الهجائي الدائري.

ويمكن أن يعد من المعاجم المذكورة كذلك «ديوان الأدب» لإسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت 350 هـ)، الذي وزع فيه صاحبه المواد اللغوية وفق نظام الأبنية، واستبعد بحسب اجتهاده طائفة كبيرة من الألفاظ والصيغ اللغوية المقيسة، مكتفياً بذكر ما استعمله «النحارير» من علماء اللغة والأدب في كتبهم على حد قوله، بينما أهمل الألفاظ التي لم يتوصل إلى شاهد أو مثال مقنع له عل صحة استعمالها.

لقد صنفت المواد اللغوية في هذه المعاجم وفق أنظمة تنفر الدارس الحديث المهتم منها أحياناً وتصرفه عن استعمالها أو الرجوع إليها، فضلاً عن الناشئ الغر أو القارئ العادي.

وهناك معاجم أخرى حديثة مطورة مادة ومنهجاً، وميسرة نسبياً، كما أن لها مكانتها التي لا تنكر وريادتها في ما سعت إليه، أغفلتها هذه الدراسة، لأنها لم تكتمل بعد، ولذلك فهي قاصرة عن أداء دورها الكامل في الوقت الحاضر، كما هوالحال بالنسبة لكتابي «المعجم» و«المرجع» للشيخ عبد الله العلايلي، و«المعجم الكبير» الذي لم يصدر منه مجمع اللغة العربية لحد الآن ــ كما أعلم ــ سوى جزئين فقط.

عدا ما سبق استثناؤه من المعاجم والكتب والرسائل فقد أحاطت هذه الدراسة بمعظم ما وضع في العصر الحديث من المعاجم العربية أحادية اللغة تقريباً، على اختلاف مستويات هذه المعاجم وأشكالها وأحجامها، كما أحاطت بطائفة من المعاجم العربية القديمة التي ما زالت تحظى بشهرة واسعة وانتشار جيد على الصعيد الخاص والعام، ويمكن أن تكون لها فاعليتها وفائدتها بين فئات المتعلمين وعامة المثقفين، ربما نتيجة لهذه الشهرة وهذا الانتشار من جانب، ثم ليسر مناهجها واعتدال أنظمة التصنيف فيها قياساً إلى تلك المعاجم القديمة التي استثنيناها، وعدم وجود عوائق كثيرة تعطل دورها أو تمنع من الاستفادة منها ولو بنحو نسبي.

ولقد رأيت أن أتناول المعاجم المدروسة بنحو من التدرج التاريخي الذي يعين القارئ على إدراك طبيعة المعجم وطبيعة العصر الذي صدر فيه ومدى شموليته أو استيعابه لمفردات اللغة. كما جعلت تناولي لها ــ رغم اختصاره النسبي ــ على أجزاء منفصلة: جزء خاص بالمعاجم العامة القديمة، وجزء يتناول المعاجم الحديثة التي تهم المتعلمين والمثقفين وقصاد اللغة بنحو عام،

سواء الوسيطة منها أو الموسعة. وجزء ثالث يحيط بمعاجم الطلاب وما يماثلها أو يمكن أن يلحق بها من المعاجم الصغيرة المختصرة. فبذلك يتم تمييز المعاجم ودراستها على وفق مستوياتها وطبيعة كل منها وطبيعة الدور الذي يمكن أن يؤديه، مما يساعد في توجيه المستفيد ويعينه على تحديد نوعية ومستوى المعجم الذي يخدم غرضه.

وقد اعتمدت في دراسة المعاجم المدرجة ضمن الأجزاء الثلاثة المبينة كلها، على الوصف التحليلي والعمل النقدي والموازنة أو المقارنة التي تهدف إلى الكشف عن طبيعة المعجم وعن أهميته ومكانته بين معاجم صنفه، ثم عن وظيفته، والمجال أو المستوى التعليمي الذي يمكن أن يؤدي فيه هذه الوظيفة على النحو الأفضل. فذلك يساعد الناشئ أو طالب اللغة بنحو عام على اختيار معجمه الملبي لغرضه، كما يعين مدرس اللغة أو الموجه له على تحديد المعجم المناسب لأي مستوى علمي أو عقلي وأي مجال تثقيفي معين. هذا بالإضافة إلى أملنا في أن يمكن هذا المنهج واضع المعجم أو القائم على نشره من الارتقاء به إلى مستوى أفضل لنحظى بشرف الإسهام في خدمة لغتنا الشريفة من خلال ذلك، مهما كان قدر هذا الإسهام.

ولم نقتصر في هذه الدراسة على المقارنة والموازنة بين محاسن ومساوئ كل معجم من المعاجم المدروسة على حدة، وإنما سعينا كذلك إلى المشاركة في معالجة ما يعتري بعض هذه المعاجم من نواقص وما تعانيه من جوانب القصور أو الضعف، من خلال طرح مجموعة من المقترحات والتوصيات التي تهدف إلى الارتقاء بمستوى المعجم العربي عامة، وبمستوى معجم الطلاب وفاعليته بنحو أخص.

تحدثت في كتابي السابق الذكر «الحصيلة اللغوية» وبنحو موجز عن بعض جوانب القصور في معاجم الناشئة العربي وعن بعض ما يمكن أن يحقق لهذه المعاجم من تطوير[4] ولكن ما اقتضته هذه الدراسة من إعادة النظر ومن فحص تقويمي نقدي لما صدر من معاجم الناشئة حتى الانتهاء من هذه الدراسة أدى إلى تبلور طائفة كبيرة من الأفكار الجديدة التي تتعلق بهذا الشأن، وإلى رصد مجموعة وافرة من الملاحظات التي تستدعي الطرح والمناقشة والبحث أو بعض التفصيل، لما لها من أهمية ومن صلة وثيقة بموضوع هذه الدراسة وبما ترمي إلى تحقيقه من أهداف.

لاشك أن هذه الدراسة مدينة للكثير مما وضع حول المعجم العربي خاصة وما كتب حول

اللغة ومعاجمها وصناعة المعجم الحديث وشروطه وأسسه عامة من دراسات ومناقشات، فقد استضاءت بعدد وافر من هذه الدراسات واستفادت الكثير مما طرح فيها من آراء وتوصيات وما أثير من أفكار ومناقشات. إلا أنها اعتمدت في المقام الأول ـ كما سبقت الإشارة ـ على التجربة العملية في تدريس المعاجم ومناقشة شؤونها، على مدى أكثر من عشرة أعوام تقريباً، ضمن مادة مقررة على طلبة جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في مراحلهم المختلفة، ثم على المعاينة الفعلية والفحص المباشر لعدد كبير من المعاجم العربية نفسها، والمقارنة بينها.

لقد أفدت الكثير من تجربتي في تدريس مادة «المعاجم اللغوية العربية» المشار إليها، وما رافق هذه التجربة من تسجيل لمواقف الطلاب ومتابعة لردود أفعالهم المتباينة في أثناء الدروس العملية الخاصة باستعمال المعاجم، واجتمع لدي من ذلك كله رصيد جيد من الملاحظات والاستنتاجات المتعلقة بالمعاجم المذكورة وبمستوياتها وميزاتها ونواحي القصور فيها، وقد تعزز هذا الرصيد بالمعاينة الفاحصة للمعاجم نفسها ومتابعة الرجوع إليه فكان الحافز لإعداد هذه الدراسة والركيزة الأساسية التي استند العمل النقدي فيها.

لقد حرصت قدر الإمكان على أن أدون من ملاحظاتي واستنتاجاتي المذكورة ما يقوم عليه الدليل وتدعمه التجارب السابقة والممارسات الفعلية وتسانده النظريات العلمية الحديثة المعتمدة، وأن أسوق هذه الملاحظات والاستنتاجات في عرض مبسط وجيز، آمل أن يكون وافياً بالمطلوب، وأن تكون هذه الدراسة المختصرة مفيدة لقارئها الكريم، وتسجل على أنها محاولة متواضعة يرجى أن تمهد لدراسات أكثر استيعاباً وشمولاً، وأن يكون في طرحها ما يخدم لغتنا الحبيبة ويسهم في الارتقاء بمعاجمها إلى مستوى أفضل بإذن الله تعالى.

د. أحمد محمد المعتوق

جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ـ الظهران

المملكة العربية السعودية

الجزء الأول

المعجم
تعريفه ـ أهميته ـ أنواعه

تحديد مصطلح «المعجم»

تدل كلمة «مُعجم» في اللغة على (ما أزيلت عنه الـعُجمة، أي الإبهام والالتباس من الحروف والألفاظ، بتنقيطها وتحريكها أو بضبطها وتمييز المتشابه منها)[5]. أما في الاصطلاح فقد أصبحت هذه الكلمة تطلق على (الكتاب الذي يضم مفردات اللغة أو يضم طائفة منها مرتبة ترتيباً خاصاً، كل مفردة منها مصحوبة بما يرادفها أو يفسرها ويشرح معناها ويُبيـّن أصلهـا أو اشتقاقاتها أو استعمالاتها وقد يوضح أصلها ويبين طريقة نطقها ويذكر ما يناظرها ويقابل معناها في لغة أخرى..)[6].

وقد استعملت لفظة «قاموس» التي تعني في اللغة «البحر العظيم، أو وسطه أو أعمق بقعة فيه» بصفتها مرادفة لكلمة «معجم» لدى بعض المهتمين باللغة، ثم لدى غالبية الدارسين في الوقت الحاضر تقريباً. وربما كان لـ «القاموس المحيط» الذي ألفه محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817 هـ) أثر كبير في ذلك .فقد استعمل الفيروزآبادي هذه اللفظة عنواناً لمعجمه «القاموس المحيط» ليدل على سعته وغزارة مادته[7]، ثم شاعت هذه اللفظة لشيوع هذا المعجم وانتشاره حتى أصبحت فيما بعد مرتبطة ارتباطاً قوياً بـمدلول «المعجم» ومتداولة بهذا المدلول، وانتقلت من معناها الخاص «القاموس المحيط» إلى معنى عام هو أي معجم آخر[8]، وتطور استعمالها واتسع إلى درجة أمست تطلق فيها في عصرنا الحاضر حتى على المعجم الصغير ومعجم الجيب المختصر تجوزاً وتوسعا.

المعجم اللغوي والموسوعة

يلتقي «المعجم»dictionary أو lexicon مع «الموسوعة» encyclopedia أو «دائرة المعارف» كما تسمى أحياناً على وفق المفهوم الحديث في الضخامة وسعة المحتوى والوظيفة المرجعية وفي ترتيب المداخل أو المواد فيها على نحو معين يغلب فيه التسلسل الهجائي أو الأبجدي للغة. ولكنه يختلف عنها بطابعه القومي، وباهتمامه بالجوانب اللغوية للمواد التي يشتمل عليها أكثر من سواها وبحجم الشرح الذي يورده لها أو سعته.

ينصب اهتمام المعجم كما يشير تحديده المذكور على ألفاظ اللغة القومية وصيغها وتراكيبها، يفسرها ويحصي معانيها ويتتبع تصاريفها ويبين استعمالاتها وطرق نطقها... أو يبين مقابلاتها في لغة أو لغات أخرى إذا كان ثنائياً أو متعدد اللغات.. دون إسهاب أو تفصيل في الغالب. بينما تهتم الموسوعة بالمعارف الإنسانية والمفردات الحضارية عامة، وتعنى بذكر ما يرتبط بالألفاظ أو المداخل المدرجة فيها من علوم وفنون أو مشاهد ومعالم وأحداث وأشياء وأشخاص ومعلومات متعلقة بفنون المعرفة عامة. تصفها أو تشرحها وتعالج الحقائق المرتبطة بها بنوع من التفصيل والشمول، بحيث تتحول هذه المداخل إلى موضوعات مختلفة ومتنوعة، أو إلى ما يشبه المقالات التي تقصر أو تطول بحسب حجم الموسوعة ومجالها وبمقدار ما يرتبط بالمادة المشروحة من معارف أو حقائق.

يتبيّن مما تقدم أنّ المعجم لا يهتم كما يفترض بذكر أسماء الأعلام والأشخاص وتراجمهم وأسماء المدن والبلدان والأنهار والجبال والبحار وصفاتها، ولا بذكر أحداث العالم وعصور التاريخ وأصول الأديان وطوائف البشر وما يتعلق بهم، فذلك من اختصاص الموسوعة، ومن صلب وظيفتها، وإن تطرق المعجم إلى ذكر شيء منه فإنما يتطرق إليه في اختصار شديد، وقد يعد حتى الشرح المختصر من باب التجاوز أو التسامح. بل إن من المعجميين المتخصصين من يعترض على إدخال أي مواد موسوعية في المعجم ويعتقد بعدم إمكانية دمج معجم وموسوعة في مجلد أو كتاب واحد[9].

على الرغم مما سبق ذكره فإنه يحصل بعض التداخل أحياناً بين المعجم وبين الموسوعة من حيث الوظيفة أو التوجه أو التسمية، فيصبح المعجم أشبه بالموسوعة عند احتوائه على معارف أو معلومات أو مفردات حضارية خارجة عن مجاله الذي يهتم به وهو متن اللغة، أو عند توسعه

في الشرح وميله إلى التفصيل فيما من شأنه الاختصار وجنوحه إلى الاستطراد في ذكر ما يختص به ويتكفل بذكره كتاب آخر غيره. وقد يوصف المعجم في مثل هذه الحالات تجوزاً بأنه «معجم موسوعي» موجز، بمعنى أنه يجمع بين ما هو من جوهر اختصاصه وأشياء موجزة مما تختص بها الموسوعة[10]. كما هو الحال بالنسبة لمعظم معاجم العربية القديمة وبعض من معاجمها الموسعة التي صدرت في العصر الحالي، مثل «متن اللغة» لأحمد رضا، و«لغة العرب» لمتري عبد المسيح...

ولا ينطبق هذا المفهوم كما تصور البعض على المعجم الكبير الجامع والشامل لكل لفظ ورد في اللغة وكل معنى كشفت عنه العيّنة أو المعجم التأصيلي التاريخي[11]. مثل «معجم أكسفورد للغة الإنكليزية» و«معجم القرن» The Century Dictionary الذي يعد أول معجم موسوعي في الولايات المتحدة الأمريكية، والمعجم الكبير الذي أصدر مجمع اللغة العربية جزئين منه؛ فمثل هذه المعاجم وإن توسعت في إحصاء المفردات اللغوية وتعقبت تطوراتها وارتباطاتها فإنها ما زالت تختص بهذه المفردات، وبتعبير بمتن اللغة وليس غيره.

ومن ناحية أخرى فقد يستخدم لفظ «المعجم» أو «القاموس» بمعنى أوسع من مفهومه الذي حددناه فيطلق على الموسوعة المعرفية أو ما يماثلها من كتب المعارف العامة الواسعة، لما يحمله مفهوم هذين المصطلحين المترادفين من طابع التحقيق والشرح والتفسير وإزالة اللبس والإبهام عن المفردات التي يتولى تعريفها وذكر ما يرتبط بها من معان ومعلومات. أو لكون المواد المعرفة المشروحة في هذه الكتب مرتبة هجائياً على وفق حروف المعجم من جانب، وعدم شيوع مصطلح «الموسوعة» من جانب آخر. كما هو الحال بالنسبة لعدد من الكتب العربية القديمة التي أطلق عليها هذا الاسم مثل: «معجم الصحابة» لعبد الله بن محمد البغوي (ت 317هـ)، و«المعجم» في الحديث لأحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت 307هـ)، وكل من «المعجم الأصغر» و«المعجم الأوسط» و«المعجم الكبير» في أسماء القراء وقراءاتهم لمحمد بن الحسن الأنصاري النقاش (ت351هـ) وقد ذكرها ابن النديم في كتابه الفهرست[12]. هذا بالإضافة إلى كل من «معجم الأدباء» و«معجم البلدان» لياقوت الحموي (ت 626هـ) وغيرها مما ليس من غرضنا إحصاؤه.

وقد ظل لفظ «المعجم» يطلق على مسمى «الموسوعة» حتى في العصور الوسطى وفي العصر الحديث أيضاً، على الرغم من شيوع مصطلح الموسوعة. وربما كان ذلك لما اشتهر عن المعجم وترسخ في الأذهان من سمات الإحكام والتتبع والدقة والمنهجية والرصانة والحرص على التوثيق

فيه، كما يشير أحد اللغويين المعاصرين[13]. هذه السمات التي ربما كانت سبباً أو دافعاً لتسمية الموسوعة التي أشرف على إصدارها الفيلسوف الفرنسي (دنيس ديدرو) Denis Diderot في (1751ـ 1780م) بـ «الموسوعة المعجمية للعلوم والفنون والحرف» Encyclopédie, ou Dictionnaire Raisonne des Sciences des Arts et des Métiers حيث قرن لفظ المعجم هنا بلفظ الموسوعة في العنوان، ربما بغية المزيد من الإيحاء بالسمات المذكورة[14].

ولقد تعدد إطلاق لفظ (المعجم) على مسمى(الموسوعة) في عدد من اللغات العالمية، وربما كان للأسباب التي ذكرناها ذاتها. فأطلق (توماس كورني) Thomas Corneille على موسوعته التي تعد أول موسوعة ذات مستوى عال[15] اسم «معجم الفنون والعلوم» Le dictionnaire des arts et des sciences. الذي نشر في عام 1694م. كما أطلق (جوهان زيدلر) johann Heinrich Zedler على موسوعته التي نشرها بألمانيا في عام 1732ـ1750م اسم «المعجم العالمي» Universal Lexicon وأطلق (جون هاريس) John Harris على موسوعته التي نشرها ببريطانيا عام 1704م اسم «القاموس الإنكليزي العالمي للفنون والعلوم» world English Dictionary of arts and science أو Lexicon Technicum وبقي التقليد جارياً في إطلاق اسم المعجم على بعض الموسوعات المعرفية العربية الخاصة المؤلفة أو المترجمة في العصر الحاضر، للأسباب المذكورة أو لبعضها. فصدر بهذا الاسم «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة، و«معجم الحضارة المصرية القديمة» لأمين سلامة، و«معجم الفلاسفة» لجورج طرابيشي، و«معجم العالم الإسلامي» لكديز وكلوز..

الوحدة المعجمية والوحدة الموسوعية

أطلق بعض اللغويين المعاصرين[16] على المفردة اللغوية التي يضمها المعجم في العادة ويتولى تفسيرها وشرحها ومعالجتها بما ذكرناه عامة اسم «اللكسيم» Lexim أو (الوحدة المعجمية) Lexical Unit[17] وتعني المادة اللغوية أو المعجمية Lexical Item التي تندرج تحتها الكلمة المفردة، أو أصغر صيغة حرة دالة بمفردها على معنى في اللغة مثل: (لم، لن، قام، رأس، قصيدة) والكلمة المركبة بأنواعها التركيبية: العضوية والإلصاقية والاندماجية المختلفة مثل: (شاعري، قائمقام، رأسمال، رأسمالية، اللاشعور، أفرو آسيوي) كما تشمل التركيبات اللفظية التي تتألف منها تعبيرات سياقية خاصة، مثل: (بيت القصيد، بيضة البلد، فلذة الكبد). وهذا يعني أن

الوحدات أو المواد المعجمية تشمل كلاً من (الألفاظ والصيغ الفرعية والتراكيب اللغوية) التي جرى العرف في استخدامها كمفسر لكلمة (مفردات لغوية) أو معبر عنها.

يتضح مما سبق الفارق بين الوحدة المعجمية التي هي عنصر من العناصر المكونة للغة وبين الوحدة الموسوعية أو الوحدة المعرفية التي تشكل موضوعاً حضارياً معلمياً مستقلاً تكون الوحدة المعجمية عنواناً له، وتشترك مجموعة أو مجموعات من الوحدات المعجمية المختلفة الأخرى في تكوينه وطرحه، تقل وتكثر بحسب اتساعه أو التفصيل فيه بما يتناسب مع حجم الموسوعة التي تشتمل عليه. فـ (الرأس) هنا ليست تلك الكلمة المفردة التي ترتبط بمعنى حقيقي أو مجازي محدد هو أعلى الشيء، أو سيد القوم... وإنما هو ذلك العنوان الرئيسي الذي يندرج تحته حديث مفصل موضوعه الرأس بمعناه الحقيقي كجزء هام من جسد الكائن، وبما فيه من تلافيف وتجاويف وأنسجة وأجزاء وأعضاء وعناصر أخرى مكونة، وما يؤديه من وظائف وما له من ارتباطات بأعضاء الجسد الأخرى، وما تختلف الفقريات فيه عن اللافقاريات من الأحياء... وهكذا قد يتفرع الموضوع بحسب الموسوعة ونوعيتها وغرضها إلى موضوعات جانبية تشترك الوحدات المعجمية في إبرازها وتمييز عناوينها وفي تكوين مادتها. وتكون الوحدة الموسوعية ذات وحدات أخرى متفرعة معبرة عن جانب معلمي معرفي حضاري.

وعلى ضوء ما سبق ذكره يمكن القول بأن الوحدة المعجمية تشكل عنصراً أساسياً في تكوين الوحدة الموسوعية، تماماً كما تشكل اللغة عنصراً أساسياً في تكوين الحضارة. وفي كلا التشكيلين تتجلى كما هو واضح أهمية المعجم.

أهمية المعاجم اللغوية[18]:

إن اللغة كما هومعروف تتسع وتنمو وتتطور من حيث مفرداتها وتراكيبها وصيغها وأساليبها، تبعاً لتطور الناطقين بها فكرياً وحضارياً، وتبعاً لتطورات الحياة وظروف العيش وأحوال الإنسان المتغيرة. «إن الألفاظ تابعة للحياة، إنها تتحول بتحولها، فكما أن الحياة لا تثبت على طور من الأطوار، فكذلك الألفاظ لا تثبت على وجه من الوجوه على تراخي الأحقاب، فالصلة بين الحياة وبين الألفاظ مستحكمة الأواصر»[19].

إن التغيرات السياسية والاجتماعية والتحولات التاريخية والحضارية لابد أن يصحبها تغير

أو تطور في القيم والمثل والمفاهيم وفي أساليب التفكير ووسائل العيش وأنماط الحياة، فتستحدث صور ذهنية وأفكار ومعتقدات ومواقف ونشاطات، وتستجد مشارب ومآكل وملابس وأدوات، فتنشأ نتيجة لذلك كلمات ومصطلحات وتعابير وصيغ جديدة، كما تستحدث معان ومفاهيم ومدلولات لكلمات قديمة عن طريق التحويل أو النقل أو المجاز والتطويع والتوليد اللغوي بكل أشكاله وطرقه.

وقد تتباين الطبقات الاجتماعية، فتختلف تبعاً لذلك لهجاتها واستعمالاتها للألفاظ والتراكيب اللغوية. كما تتطلع في أحيان كثيرة جماعات من أهل اللغة إلى التغيير في استعمال المفردات أو تنحو إلى ارتجال الألفاظ أو ابتكارها وإطلاقها على مدلولات ومسميات جديدة. فتنشأ عن كل ذلك كلمات وصيغ لغوية جديدة للمدلولات القديمة وتضاف إلى مثيلاتها السابقة فتتعدد وتتكاثر المترادفات اللفظية، أو تجتمع معان متعددة على ألفاظ معينة فتتكون مجموعات من الألفاظ المشتركة المعاني. وهكذا تتطور وتتزايد ألفاظ اللغة وتنمو وتتكاثر وتتفرع وتتشعب معانيها ومفاهيمها ودلالاتها على مرور العصور وتوالي الأزمان[20]، وتصبح اللغة من الضخامة والسعة والتشعب بحيث لا يستطيع أحد الإحاطة بها وبكل ما تشتمل عليه من كلمات وصيغ وتراكيب.

إن من العسير إذا لم يكن من المستحيل على الإنسان صاحب اللغة والحال كما ذكرنا أن يستوعب كل عناصر لغته ويحيط بكل مفرداتها وصيغها، مهما سمت قدراته واتسع علمه ودامت ممارسته لهذه اللغة، فلا يوجد عقل بشري كما يقول (ستيفن أو لمان) Stephen Ullman: (مهما كان كبيراً يمكن أن يعي كل الثروة اللفظية بكل مصادرها الضخمة الواسعة)..[21].

وربما لا يكون من المستحيل على الإنسان الإحاطة بجانب كبير من مفردات اللغة وتراكيبها وكل ما يتصل بهذه المفردات والتراكيب من معان ومدلولات. فقد يكرس شخص ما رزق موهبة الحفظ وحسن الفهم جهداً خاصاً لتخزين معلومات معينة كثيرة في ذاكرته فيوفق، وتظل ذاكرته محتفظة بما اختزن فيها فترة من الزمن قد تطول، إلا أن الصعوبة تكمن -كما يرى علماء النفس - في استرجاع كل ما علم وتلقن هذا الشخص من معارف وحفظ من معلومات بعد توالي الزمن؛ إذ يتعذر على ذاكرة الإنسان - مهما قويت واتسعت - أن تحتفظ بكل ما أودع أو اختزن فيها من معلومات لأمد طويل.

إن الإنسان معرض بطبيعته لأن ينسى الكثير مما حفظ واكتسب من معلومات أو معارف مع مرور الزمن وخاصة عندما لا تتوفر الحوافز أو الأسباب لاسترجاع وحضور هذه المعلومات أو المعارف في ذهنه[22]. وعلى ضوء ذلك فإنه مهما كانت معرفة الإنسان باللغة ومهما كثر محفوظه من مفرداتها وتراكيبها فإن إحاطته بكل مفردات اللغة تكاد تكون أمراً مستحيلاً، كما أن احتفاظه بكل ما تلقن وحفظ من هذه المفردات يبقى أمراً صعباً أيضا؛ بل إنه لا يكاد يقوى على الاحتفاظ في ذاكرته إلا بأقل القليل، وفي حدود ما يستعمله ويستحضره في ذهنه منها[23] وإذا ثبت ذلك فإنه يدل دلالة قاطعة على عجز الإنسان عن الإحاطة بما يفترض أن يستعمله في نشاطاته اللغوية المختلفة من عناصر، وعلى حاجته الماسة إلى مراجع تمده بما قد تفتقر إليه حصيلته اللغوية من هذه العناصر؛ تمده أو تذكره بما قد يغيب عن ذهنه من ألفاظ لغته وصيغها وتراكيبها اللفظية الفصيحة، كما تزوده بمعان ومدلولات هذه الألفاظ والصيغ والتراكيب، وتعرفه بمواقع وأساليب وأشكال استعمالاتها المختلفة السليمة المقبولة في نطاق الجماعة اللغوية الخاصة.

الإنسان مهما كان جنسه وأياً كانت لغته بحاجة إلى مراجع ترصد له مفردات اللغة على مرّ العصور، وتتبع كل معانيها ومفاهيمها عبر تطوراتها المختلفة والمستمرة، وتزوده من ألفاظها وصيغها بما يتلاءم مع ظروف حياته وظروف عصره ومتطلبات عيشه، وتعينه على التواصل المثمر مع أفراد مجتمعه وتمكنه من التعبير السليم عن مشاعره وأفكاره. كما تساعده على الارتباط بتراثه وعلى استمداد ما يحتاج إليه من هذا التراث في تنمية خبراته وإثراء معلوماته وبناء أفكاره وتكوين شخصيته. ومن هنا جاءت الحاجة الملحة إلى تصنيف معاجم وقواميس اللغة على مختلف أنواعها ومناهجها.

إن من أعظم ما ابتكره الإنسان لحماية اللغة والحفاظ عليها حية نامية متطورة هو تأليف معاجم تحفظ مفردات اللغة القومية، وتتولى تفسيرها وتوضيحها وبيان استعمالاتها، كما تتكفل بتمييز الأصيل من الدخيل والحقيقي من الزائف والحي من الميت والسائد من النادر والشاذ من المتداول المقبول والجديد الحديث من القديم في كل هذه المفردات، فيرجع الإنسان إليها ليتزود منها بما يتلاءم مع حاجاته في التعبير عن أفكاره ومشاعره ومعانيه ونقل خبراته ومعارفه، ويتعرف على ما صعب عليه فهمه من مدلولات وصيغ، وبذلك يحيي لغته وينعشها ويبقيها ثابتة حية نامية، ويتخطى بها حاجز الزمن فيعيش مع الأجيال الماضية ويفيد من خبراتها وما أبدعته قرائح

أهلها وأنتجته أفكارهم كما يعيش حاضره ويعبر عنه ويصوره ويدونه لتتناقله الأجيال القادمة وتستفيد منه.

إن المعاجم اللغوية هي بلاشك خزائن اللغة وكنوزها التي يستمد منها الإنسان ما يثري حصيلته اللغوية وينميها ويجعلها مرنة طيعة في مجالي الأخذ والعطاء: مجال الاستيعاب والفهم والتوسع الفكري والنمو العقلي والمعرفي، ومجال التعبير والعمل الإبداعي والإنتاج الثقافي. ولكن مدى فاعليّتها وأثرها في ذلك كله يعتمد كما سبقت الإشارة إليه على معرفة الفرد بأنواعها وأصنافها وأشكالها ووظائفها وما يصلح منها لغرض معين دون غيره وما يتلاءم مع مستوى عقلي أو ثقافي دون سواه، ثم على مقدار استشارتها ونسبة الرجوع إليها والاتجاه إلى ممارستها.

أنواع المعاجم:

تفنن الإنسان على مر العصور في تأليف المعاجم وفي تصنيف وترتيب مفردات اللغة، تدعوه إلى ذلك الحاجة، وتطورات الحياة وفنون العيش، ويدفعه حبه للابتكار أو رغبته في التنافس في خدمة المعرفة، أو تقوده دوافع قومية أو دينية أو إنسانية معينة، كما تملي عليه أحياناً تطورات اللغة نفسها، بما تشهده من تطورات حضارية، وما تخضع له من تغيرات أو مؤثرات، وما ترتبط به من معارف وعلوم، وما ينشأ عن كل ذلك ويتولد أو يتغير أو يطور أو يستحدث من مفردات وصيغ وأساليب... ونتيجة لهذه العوامل كلها وعوامل أخرى مختلفة باختلاف طبائع اللغات وطبائع الجماعات اللغوية، ظهرت في كثير من اللغات الحية معاجم لغوية متنوعة متعددة الأشكال والأحجام والمناهج والوظائف والأغراض.

لقد أصبحنا نرى في حاضرنا كما سبق القول في بحثنا السابق الذكر أنواعاً مختلفة من المعاجم: معاجم كبيرة موسعة، تحيط بكل ما أثر من مفردات اللغة، وتفسرها وتشرح غامضها وقد تبين كيفيات استعمالها وتدل على طريقة نطقها وتلفظها. ومعاجم تعنى بجمع وتفسير المفردات أو الصيغ اللفظية النادرة التي سادت بين أبناء جيل واختفت من ذاكرة جيل آخر لاحق من أبناء الجماعة اللغوية، ثم معاجم خاصة تميز الأصيل من الدخيل أو الفصيح من غير الفصيح من مفردات اللغة، وأخرى تترجم مفردات اللغة إلى لغة أو لغات أخرى أو العكس، وطائفة تشتمل على مصطلحات العلوم والفنون مجتمعة أو مصطلحات كل علم أو فن على حدة، ومثلها خاصة

بألفاظ الحرف والمهن والأعمال والصناعات. وأخرى مخصصة لتراكيب وأساليب لغوية ذات طابع أدبي معين وهكذا...

وقد تفرعت المعاجم المذكورة ذاتها أو طوائف منها في عدد من اللغات المتطورة إلى أنواع مختلفة أيضا، متفاوتة في مستوياتها أو أغراضها ووظائفها وأشكالها وأحجامها ومناهجها، حسب تفاوت هذه اللغات واتساعها وحيويتها، وحسب اختلاف حضارات أهلها وما تفرضه أو تقتضيه هذه الحضارات وتطوراتها من شؤون العيش ومتطلبات الحياة[24].

وظهرت نتيجة لتطور صناعة المعجم في العصر الحديث تصنيفات جديدة للمعجمات والقواميس اللغوية العامة والخاصة، ميزت بين أنواع عديدة منها، فكان من بينها معجمات للناطقين بلغة المتن أو لغة الأصل (اللغة القومية)، ومعجمات للناطقين بلغة الترجمة (أو اللغة الأجنبية). ومعجمات للغة المكتوبة (أو اللغة الفصحى)، تقابلها معجمات للغة المنطوقة (أو اللغة العامية ولهجاتها) ومعجمات للتعبير باللغة الأجنبية، مقابل معجمات لفهمها واستيعاب ما يدون أو ينطق بهذه اللغة. ثم معجمات لاستعمال الناس عامة، مقابل معجمات متعددة لفئات منهم. ومعجمات لكبارهم وأخرى لصغارهم. ثم معجمات للكلمات المتشابهة في اللفظ والكلمات المتحدة المعاني (المترادفات)، مقابل معجمات أخرى للكلمات المشتركة أو المتعددة المعاني. ومعجمات تاريخية أو (تأصيلية) تتبع أصول ألفاظ اللغة وما يحصل لهذه الألفاظ من تطورات في معانيها أو استعمالاتها، تقابلها معجمات وصفية عامة، ومعجمات لغوية مقابل معجمات موسوعية، وأخيراً معجمات ناطقة مسموعة، مقابل معجمات مكتوبة مقروءة... ولكل نوع من هذه المعجمات خصائصه وميزاته التي ينفرد بها[25].

لكل نوع من أنواع المعاجم المذكورة قديمها وحديثها ولكل المعاجم التي تفرعت أو تتفرع مستقبلاً عنها بلا شك وظيفة خاصة، وربما وظائف وأغراض لغوية متعددة، ولكل منها بلا شك دور كبير في إثراء المحصول اللفظي وتنمية المهارات البيانية للفرد قد لا يمكن لأي نوع آخر أن ينوب في تأديته. ولئن كانت المعاجم اللغوية العامة تتصف عادة بالشمول وغزارة المادة، وسعة المحتوى، والإحاطة بمفردات اللغة أو بمعظمها، فإن هذه المعاجم لا تغني دائماً عن المعاجم الأخرى الخاصة، وإن كانت أجدر منها بالاهتمام على أساس أن المساحة اللغوية فيها غالباً ما تكون متسعة لمختلف القطاعات الاجتماعية ومختلف المستويات المعرفية. كما أنها متسعة لعامة

ألفاظ اللغة المشتركة ويختلف خصائصها وأنواعها وبذلك فهي تشتمل على طوائف من المفردات التخصصية الشائعة.

إن المعاجم الخاصة وإن كانت تلتقي مع المعاجم العامة في هدفها العام وهو خدمة اللغة وفي هدفها الخاص وهو إمداد الفرد بما ينمي محصوله اللفظي، فإن أثرها كبير في مجالاتها المخصصة وأغراضها المعدة لها. ولذلك فهي أيضاً جديرة بالاهتمام من قبل الدارس المتخصص وحريّة بالعناية والاحتفاء من قبل عامة مستخدمي اللغة. المعاجم اللغوية التي تحيط بمفردات اللغة كافة، أو بطوائف كثيرة منها وبما ترتبط به من شروح وتفسيرات هي معاجم عامة، عادة ما يوزع فيها الوقت والجهد المتوفر لدى مؤلفيها على كل محتوياتها الضخمة أو الوافرة، بينما يمكن أن توصف المعاجم الأخرى الخاصة بأنها معاجم محددة ومختصرة نسبياً، يكرس فيها الجهد والوقت المتوفر لدى مؤلفيها على جانب معين أو جزء محدد من اللغة، وبذلك فالمنتظر من هذه المعاجم أن تكون أكثر استيعاباً لما خصصت له، وأكثر دقة في التحديد والوصف، وأشد إحكاماً وتتبعاً فيما تقدم من معارف وتفسيرات لمجموعة المفردات التي تشتمل عليها؛ ونتيجة لذلك يمكن القول بأن الاستفادة منها في مجالها أسرع وأكثر، وربما كانت أوسع وأدق وأعمق وأهم من حيث النوع؛ وفي النهاية فالفائدة القصوى تتحقق بالرجوع إلى المعاجم اللغوية الشاملة، والمعاجم الخاصة، كل في مجاله، وحسبما تدعو الحاجة إلى معرفة ما اختص به.

وتعتمد نسبة المحصول اللغوي المكتسب من المعاجم في كَمّها ونوعها على مدى المرونة والسعة في استخدامها والحرص على الاستفادة منها بأنواعها المختلفة، فكلما تعددت وتنوعت المعاجم التي يرجع إليها الفرد ويمارس استخدامها على الوجه الصحيح وللغرض المناسب زاد محصوله اللغوي منها كماً ونوعاً وأصبح هذا المحصول ملبياً لاحتياجاته في مجالات التعبير المختلفة. وهذا بالطبع لا يعني ضرورة استخدام الإنسان لكل أنواع المعاجم، حتى ما لا تدعوالحاجة أو المناسبة إلى الرجوع إليه. إلا أن من الواضح أن المعاجم اللغوية العامة أكثر أثراً وفاعلية في تنمية هذا المحصول، لأنها أوسع وأشمل وأكثر استيعابا لمفردات اللغة، ولذلك فإنها تحتل المقام الأو ل من بين أنواع المعاجم الأخرى.

الجزء الثاني

المعاجم اللغوية العامة القديمة

تحيط هذه المعاجم كما يفترض بكل ما أثر أو وُرِث من مفردات اللغة أو بمعظمها أو بمجموعة كبيرة منها، وتكون الكلمات مادتها الرئيسة: تفسرها وتشرح غامضها، وتذكر مرادفاتها أو دلالاتها واشتقاقاتها وصيغها، في حدودها العامة المشتركة وفي نطاقها الزمني الذي جمعت فيه، وقد تبين كيفيات استعمال هذه الكلمات وتدل على طريقة نطقها. وربما أشارت عرضاً إلى بعض استعمالاتها الخاصة على سبيل التوسع لا الحصر أو الاستقصاء.

وترتب الكلمات في هذه المعاجم في العادة على وفق طريقة خاصة يسهل معها استخدام المعجم، ويتيسر للمراجع الاطلاع على ما يحتويه من مفردات اللغة وصيغها ومعانيها. وقد جرت العادة على أن ترتب المفردات في المعاجم اللغوية العامة للغات المتقدمة، وخاصة اللغات اللاتينية الأصل منها، على وفق ما يسمى بالمنهج الألفبائي النطقي، الذي يقضي بترتيب الكلمات في المعجم على وفق أوائل حروفها وحسب منطوقها، أي دون النظر إلى المزيد وغير المزيد من حروفها، على أساس أنه المنهج الأمثل والأسهل[26].

أما المناهج المتبعة في ترتيب المفردات اللغوية في المعاجم العربية من هذا النوع فهي متعددة ومتباينة، فمنها (المنهج الصوتي) الذي يقضي بتصنيف المواد اللغوية في أبواب على عدد حروف الهجاء العربية وحسب مخارج حروفها الأصلية من جهاز النطق، بدءاً من المواد التي تشتمل على الحرف الأصلي ذي المخرج الأعمق فالذي يليه. ومنها (منهج القافية) الذي يقسم المعجم على وفقه إلى أبواب بحسب عدد حروف الهجاء العربية متدرجة على وفق التسلسل المألوف لهذه الحروف، وتصنف الكلمات في هذه الأبواب باعتبار أواخر حروفها الأصلية، ثم ترتب هذه الكلمات ضمن أبوابها في فصول بحسب أو ائل أصولها. فما على المراجع سوى النظر إلى الحرف الأصلي الأخير من الكلمة ليحدد الباب الذي وردت فيه، ثم النظر إلى الحرف الأصلي الأول فيه ليعرف الفصل الخاص الذي أدرجت ضمنه.

ومن هذه المناهج أيضاً (المنهج الهجائي التجريدي أو الجذري)، الذي ترتب على وفقه المفردات اللغوية ألفبائياً، على وفق أوائل أصولها ــ بعد تجريدها من الحروف الزائدة ــ في أبواب متسلسلة حسب تسلسل حروف الهجاء العربية. وأخيراً (المنهج الألفبائي النطقي) الذي

يعتمد ترتيب المفردات اللغوية ألفبائياً، بحسب أوائل حروفها، من دون مراعاة لما يطرأ عليها من زيادات. والمنهجان الأخيران هما الغالبان في المعاجم العربية الحديثة، لما يتسمان به من المرونة في الاستيعاب والسهولة في الكشف عن الكلمات وخاصة بالنسبة للناشئة[27]. إذ ليس على الباحث في المعاجم التي تسير على وفق المنهج الهجائي الجذري سوى النظر إلى الحرف الأول الأصلي للكلمة لتحديد مكانها من المعجم ثم التدرج على وفق التسلسل الهجائي لحروفها الأخرى للكشف عنها وعن معناها. أما بالنسبة للمعاجم التي تسير على وفق المنهج النطقي فلا يحتاج إلى تجريد الكلمة لمعرفة الحرف الأو ل الأصلي منها، وإنما يُكتفى بتحديد مكان الكلمة أو الباب الذي وردت فيه بالنظر فقط إلى الحرف الأول، أياً كان نوع هذا الحرف.

ومن بين المعاجم العربية القديمة الموسعة البارزة التي تندرج تحت مسمى المعاجم اللغوية من هذا النوع وتفي بحاجة عامة طالبي اللغة، ولا يصعب على جمهور المتعلمين وعامة المثقفين تعلم طرق الكشف عن الكلمات فيها: كتاب «الصحاح» أو «تاج اللغة وصحاح العربية»، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393 هـ)، و«لسان العرب المحيط» لمحمد بن مكرّم بن منظور الأفريقي (ت711 هـ)، و«القاموس المحيط» لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817 هـ) و«تاج العروس» للسيد محمد مرتضى الزبيدي (ت 1205هـ)، و«مختار الصحاح» لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت691هـ)، وهذه من المعاجم التي وضعت أساساً على وفق نظام القافية، وقد حوّل معظمها إلى النظام الهجائي الجذري بغية التبسيط والتسهيل، كما سنشير إلى كل معجم منها في موضعه من هذا البحث. أما أهم المعاجم القديمة التي وضعت أساساً على وفق هذا النظام الأخير فهو معجم «أساس البلاغة» لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ).

ومن المعاجم الحديثة البارزة الميسرة نسبيا من هذا النوع: «محيط المحيط»، لبطرس البستاني (ت1883م)، و«متن اللغة» لأحمد رضا (ت1953م)، و«لغة العرب: معجم مطول للغة العربية ومصطلحاتها الحديثة»، للدكتور متري عبد المسيح. و«الوافي: معجم وسيط للغة العربية»، لعبد الله البستاني، و«المنجد» للويس المعلوف (ت1947م)، و«المعجم الوسيط» الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، و«المعجم العربي الأساسي» الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وكذلك معجم «الرائد» لجبران مسعود، ومعجم «لاروس: المعجم العربي الحديث» لخليل الجر، وهما من المعاجم الموضوعة على وفق النظام الألفبائي النطقي، وأخيراً معجم «الهادي إلى

لغة العرب» لحسن سعيد الكرمي، وهو آخر المعاجم العربية الحديثة المطولة التي صدرت من هذا النوع.

وقد وضع معظم المعاجم السابقة الذكر وفق المنهج الهجائي الجذري، بينما وضع بعض آخر من المعاجم القديمة منها كما تبين على وفق منهج القافية ثم حوّل في العصر الحديث إلى المنهج الهجائي الجذري وصدر في طبعات جديدة مختلفة، بهدف التسهيل والتبسيط والتخلص مما قد يعترض الباحث غير المتخصص من صعوبات ناشئة عن اتباع المنهج الآخر، وخاصة ما يتعلق منها بأواخر حروف الكلمات وما يعتري بعضها من تغيير وقلب وإبدال وإعلال، وتعثّر الناشئة في معرفة ذلك ومن ثم تعثّرهم في معرفة الأبواب التي توجد فيها هذه الكلمات .

ومع ما أشرنا إليه من سهولة المناهج المتبعة في ترتيب المفردات اللغوية في المعاجم السابقة الذكر نسبياً، فإن هناك اختلافات بين هذه المعاجم من حيث المواد اللغوية التي تحتويها ومن حيث الطرق المتبعة في تفسير وشرح وتناول هذه المواد، مما يجعلها متفاوتة في مستوياتها وفي الوظائف التي يمكن أن تؤديها ثم في ما تصلح له من فئات المتعلمين أو طلاب اللغة بنحو عام. ولذلك فإننا سنتناول طائفة بارزة من هذه المعاجم بشيء من الدراسة أو الفحص، ونبين بعض ما يمكن أن يساعد على تحديد مستوياتها أو وظائفها وطبقات المستفيدين منها من ملاحظات تاركين -كما سبق القول -المعاجم القديمة الأولى التي اتسمت بصعوبة مناهجها أو التعقيد في طرقها، والمعاجم القاصرة من حيث مادتها أو القليلة الفائدة أو التي يمكن أن يستغنى عنها بغيرها، وأخيراً تلك المعاجم القديمة والحديثة التي لم تستكمل أجزاؤها. هذا وقد راعينا التسلسل التاريخي في ذكر معظم المعاجم التي شملتها الدراسة، غير أننا أخرنا الحديث عن أساس البلاغة على معاجم نظام القافية القديمة التي ذكرناها، لتقدم هذا النظام واعتماده كمنهج لمعجم لغوي عام قبل اعتماد الزمخشري للمنهج الهجائي الجذري في معجمه «أساس البلاغة».

1 - الصحاح

يعد معجم «الصحاح» أو «تاج اللغة وصحاح العربية» لإسماعيل بن حماد الجوهري أول معجم لغوي وضع على وفق منهج بعيد عن الالتواء والتعقيد، قريب المأخذ سهل التناول، قياساً إلى معاجم النظام الصوتي التقليبي والمعاجم الأخرى التي سبقته في الظهور، فقد صنفت الكلمات

في هذا المعجم ورتبت كما سلفت الإشارة على وفق منهج القافية الذي اخترعه الجوهري صاحب المعجم نفسه، وهو منهج لا يصعب على الباحث الكشف عن الكلمات من خلاله، إذ لا يتطلب من الباحث في الكشف عن معنى كلمة ما ببساطة سوى النظر إلى آخر حرف أصلي فيها لمعرفة الباب الذي هي فيه، ثم النظر إلى أول حرف أصلي فيها لتحديد الفصل الخاص الذي ألحقت به.

وقد بدا هذا المعجم كذلك في طبعته الثالثة الجميلة التي صدرت عن دار العلم للملايين بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار أكثر جاذبية وأناقة، حيث أخرج في ستة (6) أجزاء متناسقة معتدلة الحجم، وزود بمقدمة وافية صدرت في مجلد مستقل، تضمنت الحديث عن العربية ومرونتها وعناية أهلها بها، وعن المعاجم العربية وروادها وعن (الصحاح) ومكانته وآثاره وآراء العلماء فيه. وقد طبع المعجم بحروف واضحة بارزة على ورق أبيض ناصع، وقسمت صفحاته على عمودين، وميزت أبوابه وفصوله.

على الرغم مما سبق ذكره من مزايا هذا المعجم فإنه في حقيقته قاصر عن الإحاطة حتى بالمهم الفاعل من مفردات اللغة القديمة، كما قال عنه الفيروزآبادي وابن منظور من قبله [28] وحافل في الوقت نفسه كغيره من المعجمات العربية المطولة بالروايات والأحاديث والتفاسير والشواهد المختلفة والفوائد النحوية والصرفية والتاريخية وغيرها مما يعدُّ استطراداً أو حشواً أحياناً. كما أنه مشتمل على كثير من الكلمات الغريبة التي يغلب جفاف البداوة فيها على ليونة الحاضرة وسلاستها وحيويتها. مثل: (العلاط، والعلبط، والعنشط، والعملط، والعنط، والعثلط، والعجلط، والعكلط، والعرقط، والاضطباع، والشرط والشرطة، والبرقطة، والهرجا، والهقلس، والهلقس).

لقد زخر هذا المعجم بمثل هذه الكلمات، بحجة أنها كلمات فصاح صحاح. بينما خلا من كثير مما يحتاج إليه المتعلم العربي من كلمات وصيغ في عصره فضلاً عن عصرنا الحاضر. وهذا من جملة الأسباب التي حدت بالفيروزآبادي لأن يؤلف معجمه «القاموس المحيط»، كما سنشير إلى ذلك لاحقا.

وليس صحيحاً ما قاله الأستاذ نديم مرعشلي من أن الجوهري «ترك من المفردات ما جافى ذوقه ورأى فيه تقهقراً عن روح عصره هو» [29]. فكثير من الكلمات التي أوردها الجوهري في

صحاحه وأو ردنا أمثلة عليها لا تتلاءم كل الملاءمة مع روح عصره، مثلها كمثل كثير من النصوص الشعرية التي استشهد بها وقال عنها الأستاذ مرعشلي نفسه إنها غارقة في البداوة. بل إن طائفة منها مستقاة من هذه النصوص نفسها.

ويمكن الانتهاء إلى أن معجم «الصحاح»، على ضخامة حجمه وتعدد أجزائه وجودة عبارته وسلاسة أسلوبه ولطف تنظيمه في الطبعة المشار إليها فإنه لا يتلاءم في طريقته في الشرح والاستطراد والتفصيل والاستشهاد وتتبع أو تضمين المفردات اللغوية مع ما يحتاجه ويأنس إليه ويستوعبه الناشئة وعامة المثقفين في هذا العصر، ولاسيما أولئك الذين ما يزالون في مراحل تعليمهم الإعدادي أو مستوياتهم الثقافية الضعيفة. كما أنه لا يفي بحاجة خاصة المتعلمين والمثقفين من حيث استيعابه لمفردات اللغة.

ولقد أحسن الأستاذان نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي بتجديد معجم «الصحاح» وإصداره على وفق منهج متطور حيث عمدا إلى ترتيب مفرداته في نسق جديد ونظام آخر هو النظام الهجائي الجذري، الذي يتسم عادة بسهولته قياساً إلى نظام القافية الذي كان عليه، كما عملا على تهذيبه وتخليصه من كثير من التكرار والموازين والشروحات المستفيضة والشواهد الشعرية الموغلة في بداوتها أو المتسمة بالسطحية، وكذلك تخليصه من التفصيل في القضايا النحوية والصرفية التي يجب أن تطلب في مظانها من كتب النحو والصرف.. كما ضمناه مجموعة من المصطلحات العربية العلمية الحديثة سهلة التناول[30].

ولقد أصبح هذا المعجم بالتغييرات السابقة الذكر مختلفاً في نهجه ومضمونه عما كان عليه في شكله ووضعه القديم، وأضحى أكثر ملاءمة للمتقدمين من المتعلمين والمثقفين، رغم أنه لا يزال غير صالح كبديل لهم عن «لسان العرب» أو «تاج العروس» في شموله وسعته وكثرة فوائده لخاصة طلاب اللغة والأدب والثقافة، ولا كبديل عن المعاجم اللغوية العربية الحديثة المتطورة التي استوعبت الكثير من الصيغ اللغوية الجديدة وألفاظ الحضارة المحدثة وأخرجت بلغة طيعة سلسة، مثل: «المعجم الوسيط»، و«المعجم العربي الأساسي» وغيره، كما أنه لا يمكن أن يحل محل أي من المعاجم المتخصصة الأكثر حداثة وتطوراً.

2 - لسان العرب

يبرز من بين المعاجم السابقة الذكر «لسان العرب» لابن منظور كأضخم معجم للغة العربية

وأغزر المعاجم التي سبقته مادة وأوسعها من حيث الشرح والتفسير وأسلسها عبارة. فهو يحتوي على ما يقرب من ثمانين ألف مادة مضافاً إلى اشتقاقات هذه المواد وفروعها التي لا تحصى. كما يشتمل على ذخيرة وافرة قيمة من الشواهد من القرآن الكريم والحديث والشعر والأمثال السائرة والأقوال المأثورة، تذكر كأمثلة سياقية لتوضيح معاني واستعمالات الكلمات أو لتوثيق هذه المعاني وهذه الاستعمالات، هذا بالإضافة إلى ما يشتمل عليه هذا المعجم من طرائف ونوادر أدبية شيقة كثيرة وفوائد علمية متنوعة مختلفة الجوانب وشروح لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أو تعليقات على بعض المسائل النحوية والصرفية والبلاغية واستطرادات في تحليل المواد اللغوية، ولاسيما ما يتصل منها بلغة الشعر وضروراته وما يطرأ على صيغه وتراكيبه وألفاظه من تطورات وتغيرات[31].

ويشتمل هذا المعجم كذلك على كمية وافرة من الألفاظ الأعجمية المقترضة والمخضعة لصيغ قياسية عربية تشير إلى جهوده هو خاصة وجهود اللغويين العرب عامة في عمليات التعريب، وإلى نهجهم في الاقتراض من اللغات الأجنبية[32].

إضافة إلى كل ما سبق ذكره فقد صُدِّرَ الكتاب بحديث مطول عن الحروف المقطعة في القرآن الكريم، وعن الحروف العربية عامة وعن ألقابها وخواصها ومجمل الآراء فيها.. مما يجعل من هذا المعجم بحق موسوعة لغوية وثقافية ويضاعف من سعته وحجمه.

وقد رتبت مواد هذا المعجم في الأساس على وفق منهج القافية الذي اتبع في معجم الصحاح للجوهري، وطبع مرات عديدة على وفق هذا المنهج. كما صدر في طبعات أخرى تم تحويله فيها إلى المنهج الهجائي الجذري، ليكون البحث فيه أكثر سهولة ومرونة. فقد عمل نديم مرعشلي مع يوسف خياط على إعادة ترتيب مواد هذا المعجم على وفق أوائل الكلمات المجردة مع اعتبار الحرف الثاني من الكلمة المجردة فصلاً ، وأضافا إلى مادته الأساسية مجموعة المصطلحات العلمية التي أقرتها المجامع اللغوية والجامعات العربية، وزوداه بمجموعة من الخرائط الملونة والصور الموضحة، وأصدراه في عام1970م عن «دار لسان العرب» ببيروت في أربعة مجلدات بعنوان: «لسان العرب المحيط». ولقد قام عبد الله علي الكبير مع آخرين بتحقيق «لسان العرب» وإعادة ترتيبه على وفق المنهج الهجائي الجذري أيضاً وإخراجه مضبوطاً مذيلاً بفهارس وافية مفصلة منظمة في ستة (6) مجلدات صدرت عن دار المعارف بالقاهرة في عام 1979م. وبهذا أصبح

هذا المعجم أكثر فاعلية ونفعاً.

ليس من غرضنا هنا الإطالة في الحديث عن هذا المعجم، فقد فصل في الحديث عنه، كما تبين من قبل الكثير من الدارسين، ولكننا نقول فيما يخدم غرضنا باختصار، أنه على الرغم من سعة هذا المعجم وغزارة مادته وأهميته الكبيرة في الاطلاع على الأساليب البلاغية والظواهر اللغوية، وصفه مصدراً مهماً في الأدب والثقافة العربية بالإضافة إلى عدّه مرجعاً أساسياً في اللغة لا غنى لأي باحث في شؤونها عنه، وعلى الرغم من سلاسة عبارته وسهولة منهجه، منهج القافية، أو المنهج الهجائي الجذري الذي حُوّل إليه، قياساً إلى معاجم لغوية مشابهة أو مقاربة من حيث السعة والضخامة مثل: «المحكم والمحيط الأعظم» لابن سيدة (ت 458هـ) و«تهذيب اللغة» للأزهري (ت370هـ) الموضوعين على أساس المنهج الصوتي التقليبي الصعب ومعاجم أخرى معقدة المناهج مثل: «جمهرة اللغة» لابن دريد (ت 321 هـ) و«مجمل اللغة» و«مقاييس اللغة» لابن فارس (ت 395هـ). نقول على الرغم من كل ذلك فإن لضخامة حجم هذا المعجم والتوسع الموجود فيه آثاراً سلبية في التقليل من انتشاره وتداوله بين فئات عامة المتعلمين وبالتالي في تحديد فاعليته بينهم.

إن هذا المعجم في وضعه السابق الذكر أصلح للمهتمين بمجالات اللغة والأدب والشعر، والمتعمقين في شؤون المعرفة، وذوي الصبر والرغبة في التتبع والتوسع في الاطلاع، منه إلى الناشئين أو من مائلهم أو كان قريباً منهم في لغته وثقافته وفكره وخبرته وقلة تحمله وصبره على التفتيش والفحص والتتبع والاستنتاج.

أما الناشئون أو عامة المثقفين فإن التوسع في العادة يثقل عليهم، ويضجرهم التفصيل، ويشتت أذهانهم الاستطراد. وربما صعب عليهم البحث والتفتيش ضمن ذلك الكم الهائل من المفردات والمعلومات التي يزخر بها المعجم، وشق عليهم التمييز بين معاني الكلمات وفروعها وصيغها واشتقاقاتها التي تصل إلى العشرات في كثير من الأحيان. وقد لا يتوفر لديهم الوقت أو الصبر الكافي للتدقيق والتتبع والتأمل في الشروحات الكثيرة المطروحة للعبارات أو النصوص. بل يغلب أن يعسر عليهم أيضاً فهم الكلمات أو العبارات التي تشرح نفسها والنصوص المستشهد بها، لقدمها أو اختلاف طبيعة تركيبها ونمط صياغاتها عما هو مألوف في العصر الحاضر، حتى وإن وجدوا الصبر والحلم اللازمين للبحث والتتبع. هذا بالإضافة إلى أن الناشئة وعامة المتعلمين في

عصرنا الحاضر أحوج إلى الألفاظ والصيغ والمصطلحات التي تتناسب مع روح عصرهم ومع ظروف حياتهم وحاجاتهم المختلفة في التعبير منه إلى الألفاظ والتراكيب المعقدة والصيغ النادرة أو قليلة الاستعمال أو الغريبة والشاذة التي تشكل جزءاً كبيراً من مادة هذا المعجم.

علماً بأن على هذا المعجم مؤاخذات عديدة من شأنها أن تقلل من فاعليته وتحد من مساحة المستفيدين منه بشكل أو بآخر، نجمل أبرزها على النحوالآتي :

1 - احتواؤه على كثير مما يمكن أن ينسب إلى الحشو والاستطراد الذي لا طائل كثيرا منه، أو لا صلة له بمعجم يخصص لمفردات اللغة.

2 - الفوضى في عرض اشتقاقات المواد وفروعها.

3 - الإكثار من ذكر الروايات وأسماء الرواة الذين يقتبس المؤلف منهم ويأخذ عنهم وغير ذلك مما لا أهمية له بالنسبة لطالب اللغة، سواء أكان ناشئاً أم كان كبيراً متقدماً في علمه، بل إن وجوده قد يصرفه عن مراده أو ينفره من المعجم، وأقلها أنه يطيل عليه البحث ويبطئ في وصوله إلى ما يبحث عنه.

4 - وجود بعض التحريفات في النصوص المستشهد بها.

5 - وجود الإبهام والغموض في تفسير طائفة كبيرة من المواد.

هذه المؤاخذات بالإضافة إلى الهفوات والأخطاء اللغوية الكثيرة نبه عليها عدد من الدارسين ومثلوا عليها بنحو واف فأغنونا عن التفصيل فيها ضمن هذه الدراسة المختصرة[33]. ذلك كله بالطبع مضافاً إلى ما أشرنا إليه من ضخامة هذا المعجم وثقله على المراجع، ولاسيما إذا كان ناشئاً أو طالب ثقافة قليل الصبر يتطلع إلى أن يجد اللغة في مجلد واحد يطلع على ما يريده منها بأقل جهد ممكن.. إلى غير ذلك مما سنشير إليه في أثناء الحديث عما يمكن أن يرتقي بمستوى المعجم العربي وما سنذكره من مقترحات في هذا الصدد.

ويرى بعض الباحثين بأن ابن منظور قد اعتمد في تأليف كتابه «لسان العرب» على عدد محدود من المعاجم العربية التي ألفت قبل عصره، ولذلك فهو بمجموع أجزائه لا يمثل مادة اللغة العربية حتى عصر مؤلفه، «بل يعكس أولاً وقبل كل شيء الاستخدام اللغوي في البادية في القرن

الثالث الهجري، ومن هذه الناحية يعتبر «لسان العرب» معجماً وقف عند مرحلة بعينها في تاريخ اللغة العربية»[34].

والحقيقة أن معجم «لسان العرب»، كما قال عنه مؤلفه ابن منظور نفسه «جمع من اللغات والشواهد والأدلة ما لم يجمع مثله مثله»، لأنه جمع فيه كل ما كان مشتتاً متفرقاً في أمهات كتب اللغة في عصره، فأصبح بمثابة الأصل لها، وأصبحت هي بمثابة الفروع. ولكن ابن منظور لم يقم في كتابه ـ كما اعترف هو ذاته في مقدمته لكتابه ـ بغير النقل لما سبق تدوينه[35] فلم يسع للكشف عما فات سلفه اكتشافه والعثور عليه من كلمات وتراكيب قديمة، ولم يقم باستقصاء ما استجد وما استحدث وما دخل من ألفاظ وصيغ بعد زمان تدوين مصادر كتابه.

3 - القاموس المحيط

ألف محمد بن يعقوب الفيروزآبادي كتابه «القاموس المحيط» بدافع الإحساس بالنقص فيما تضمنته المعاجم السابقة من مفردات اللغة إلى جانب توسعها في الشروح ووجود الفضفضة فيها. وعلى الرغم من غزارة مادة قاموس الفيروزآبادي واختصاره نسبياً، واستعماله للرموز، وخلوه من الشواهد ومن الروايات وأسماء الرواة ومن كثير مما اعتاد المعجميون العرب السابقون على ذكره في معاجمهم من استطرادات وتفسيرات تؤول إلى معنى واحد، وعلى الرغم من احتواء هذا المعجم على كثير مما تبعثر في المعاجم السابقة من «شوارد اللغة»، فإنه مايزال مشوباً بكثير من السلبيات التي تقلل من فاعليته ودوره في هذا العصر بالذات، ولا سيما دوره في اجتذاب الناشئة وفي تنمية حصائلهم من مفردات اللغة، ومن أبرز هذه السلبيات:

1 - لقد خلا هذا المعجم من الشواهد والروايات والتعليقات والشروح المطولة التي حشيت بها المعاجم السابقة،كما سبق القول، ولكنه حشي بأسماء الأعلام من المؤرخين والفقهاء والمحدثين والمفسرين والأمراء والملوك وغيرهم، وأسماء المدن والبلدان والمواقع والبقاع المهمة وغير المهمة، وأسماء الأشجار والنباتات والأعشاب، وأسماء الأمراض والآفات والتراكيب والعقاقير والفوائد الطبية، ثم أسماء الوحوش والطيور والسيوف والأفراس والأيام والغزوات فأصبح كغيره من المعاجم المطولة، بمثابة موسوعة معرفية، وإن اختلف في نوعيات المعارف المضمنة ونوعية التفصيل فيها.

إن المعلومات الموسوعية التي كانت تعد في نظر البعض فيما مضى علوماً ولطائف وفضائل عظيمة، تجعل من المعجم اللغوي ـ كما سبقت الإشارة ـ دائرة معارف، أو (كشكولاً) تختلط اللغة فيه بغيرها وتوجب ضياع الناشئ أو المراجع في متاهات لا حاجة له بها وهويبحث عن معنى للفظ صعب عليه فهمه أو فهم النص الذي ورد فيه. كما أنها تضاعف من حجم المعجم، فتجعل منه سفراً ضخماً وعبئاً ثقيلاً منفراً، كما سنفصل في ذلك لاحقاً.

2 - يشتمل هذا المعجم على مجموعات كثيرة من الكلمات والصيغ اللغوية المهجورة أو النادرة الاستعمال وغير ذلك مما أسماه مؤلفه بـ (شوارد اللغة)، مما لاحاجة ماسة له حتى في عصر الفيروزآبادي نفسه فضلاً عن عصرنا الحاضر.

3 - إن المواد والمعاني تسرد فيه سرداً متتابعاً متلاحقا، من غير إشارة إلى انتهاء معنى وابتداء آخر، والعبارات الشارحة متداخلة مختلطة مفتقرة إلى الحيوية والسلاسة وجمال الصياغة. مما يؤدي إلى اختلاط المعاني والدلالات في ذهن القارئ، وإلى عدم الانجذاب للتمحيص والتدقيق فيها، ومن ثم إلى النفور من المعجم وعدم الرغبة في مواصلة الرجوع إليه.

4 - كثير من الطبعات الأصلية والطبعات المصورة الموجودة من هذا المعجم سقيمة من حيث الإخراج، فالأسطر فيها متزاحمة والكلمات متراكبة، والعبارات خالية من علامات الترقيم التي تبين المعاني وتميزها وتساعد على فهمها. ولا يخفى أن ذلك يؤول بالمراجع إلى العزوف عن استعمال المعجم هذا إلى غير ذلك من الشوائب والنواقص التي أحصاها أحمد فارس الشدياق على هذا المعجم وبيّنها في كتابه المشهور «الجاسوس على القاموس» ومثل لها وأغنانا عن ذكرها أو التفصيل فيها[36].

لقد أحسن الأستاذ الطاهر أحمد الزاوي في ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، أي على وفق النظام الهجائي الجذري، وإخراجه في مجلد واحد، وفي طباعة جديدة خير من الطبعات السابقة، ولاسيما طباعة دار الجيل ببيروت، حيث ضبطت فيها المفردات بنحو دقيق، واتضحت مداخل الكلمات، ووضعت علامات الترقيم في مواقعها الصحيحة، فتبينت وتميزت الجمل والعبارات أكثر من ذي قبل، وظهرت السطور جلية جميلة.

وقد أحسن مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ببيروت في إخراج هذا المعجم أيضاً على وفق منهجه الأصلي «منهج القافية»، ووضعه في مجلد واحد بدلاً من مجلدات متعددة وطباعته طباعة عصرية أنيقة: تظهر فيها الحروف والكلمات والحركات وعلامات الترقيم واضحة بارزة، وتستقل المداخل وتميز بدوائر مشبعة باللون الأسود توضع أمامها، كما تميز المواد المفسرة باللون الأحمر، وتظهر على كل صفحة من صفحات المعجم أول وآخر مادة فيها تسهل للعثور على الكلمة المطلوبة.

رغم ما سبق ذكره فإن مادة المعجم في كلتا الطبعتين الجديدتين المذكورتين بقيت على ما هي عليه دون غربلة أو تصفية، وطريقة الشرح والتفسير والتعبير ظلت كما كانت دون تهذيب أو تنقيح، ولم يغير في المعجم ذلك التغيير الجوهري الذي يجعله ملائماً تمام الملاءمة لروح العصر متمشياً مع ما توصلت إليه النظريات والتقنيات الحديثة في صناعة المعجم اللغوي.

بقيت المفردات اللغوية المهجورة أو النادرة الاستعمال التي لا يحتاج إليها تملأ المعجم، وبقيت المعلومات التي يفترض إيرادها في الموسوعات ودوائر المعارف والكتب المتخصصة، هذه كلها تركت لتختلط بألفاظ اللغة فتزيد من ثقل الكتاب وتشتت ذهن الناشئ أو تزيد من بطئه في العثور على بغيته، كما بقيت طريقة الشرح وتتابع الاشتقاقات وإيرادها العشوائي الذي لا يخضع لضابط أو نظام معين، وبقيت الموازين وضبط الحركات بالكلمات والحروف كما هي، رغم إمكانية الاستغناء عنها بعلامات الإعراب التي بدت واضحة جلية في الطبعتين المذكورتين.

لقد ورد تفسير «القاموس المحيط» في الطبعتين المذكورتين لمادتي (قتب) و(قتت) على سبيل المثال على النحوالآتي :

«ق ت ب: (القَتَبُ) بالكسر: المَعى. كالقِتبة. وجميع أداة السانية. وما استدار من البطن. والإكافُ. وبالتحريك أكثرُ، أو الإكافُ الصغيرُ على قدر سنام البعير ج أقتابٌ وبالفتح: إطعام الأقتاب المشويّة. والإقتاب: شدّ القتب. وتغليظ اليمين.

والقتوبة: الإبل التي تُقتبها بالقَتَبِ. وذوقَتَابٍ - كسحابٍ وكتابٍ -: الحقل بن مالك من ملوك حِميَر. وكالكتف: الضيق السريع الغَضَبُ: وقتيبة: تصغير القِتبة، وبها سمّوا. والنّسبة: قتبيّ. كجهنيّ. وقتبان بالكسر: ع بعَدَن.

ق ت ت: (القتُّ) نمُّ الحديثِ. كالتَّقتيت، والقتقتة، والقِتِّيتي. والاسفستُ، أو يابسه. والكذب. واتّباعك الرجلَ سرّا لتعلم ما يريد. وشمُّ الراعى بول البعيرِ المهيومِ. والقَتيّونَ: جماعةٌ محدِّثون. وقَتَّه: قدّه وقلله وهيّأه. وجمعه قليلا قليلا. وأثره: قصّهُ.

ورجل قتّات، وقتوتٌ، وقِتّيتي: نمّام أو يسمع أحاديث الناس من حيث لا يعلمون سواء نمّها أو لم ينمّها. والتقتيت: جمع الأفاويه وطبخها. وزيتٌ مقتّتٌ: طُبخ فيه الريّاحين، أو خلط بأدهان طيّبة. وقتّة - كضَبّةٍ -: أمُّ سليمان التابعيّ. واقتتّهُ: استأصلهُ. وكغراب: ع باليمنِ[37].

ففي هذا التفسير حشو كثير يعمل على تضخيم المعجم وتنفير المراجع: فالموازين المذكورة (كسحاب وكتاب، جهني، ضبة) لا نحتاج إليها مع وجود حركات الإعراب، وعبارات مثل (والقَتيّونَ: جماعةٌ محدِّثون، كضَبّةٍ -: أمُّ سليمان التابعيّ، وكغراب: ع باليمنِ) مكانها ليس في المعجم اللغوي وإنما في دوائر المعارف أو كتب التراجم. هذا إضافة إلى أن التفسير تضمن كلمات غامضة، هي نفسها تحتاج إلى تفسير وهي: الإكاف، الإسفست، المهيوم، الأفاويه) وهكذا فإنه ليس من السهل على الناشئ ولا حتى على غيره في الغالب أن يجد بغيته أو يجد ما يجتذبه إلى مثل هذا التفسير ويشجعه على معاودة الرجوع إلى هذا المعجم، حتى في الطبعتين اللتين سبق ذكرهما. أضف إلى ذلك أن الطبعة التي صدرت عن مكتب تحقيق التراث والتي كان من أهدافها «إخراج الكتاب كله في مجلد واحد، ليسهل على الباحث اصطحابه معه ويكثر الإفادة منه»[38] كما يقول المحقق في تقديمه للمعجم، قد جاءت بما يمكن أن يزيد من ضخامة حجم المعجم ويجعله ثقيل الوزن نسبياً، لا يسهل على الباحث الناشئ بالأخص حمله واصطحابه على نحو ما أريد له. فالحواشي الكثيرة المثبتة في أسفل كل صفحة فيه والأرقام التي تشير إليها في المتن، وتخريج الآيات القرآنية وقراءاتها وبيان الشاذ من هذه القراءات. والأقواس المزركشة التي ثبتت حول الآيات والأحاديث والكلمات التي انفردت بها بعض النسخ. كل هذه تزيد من ضخامة حجم المعجم، وقد تسبب نوعاً من التشويش للمراجع.

4 - تاج العروس

يعد «تاج العروس من جواهر القاموس» للسيد محمد مرتضى الزبيدي (ت1205هـ) أوسع وأضخم معجم عربي ألف بعد «لسان العرب» لابن منظور، بل يعدّه بعض الباحثين[39]

تاجاً للمعاجم العربية كلها، رغم قصوره عن احتواء جميع ما في اللغة من مواد، لأنه أصحها مادة وأشملها محتوى وأكبرها حجماً؛ فقد اطلع مؤلفه على أمهات المعاجم القديمة السابقة لظهور معجمه، وأفاد من الانتقادات التي وجهت إليها، وتفادى الكثير من الأخطاء التي وقعت فيها. كما أنه ضمن كتابه معظم ما جاء في هذه المعاجم، إضافة إلى ما استقاه من الكتب الأخرى الكثيرة المتنوعة الموضوعات التي اطلع عليها من مواد ومعلومات. وبذلك حوى معجمه المذكور قرابة المائة والعشرين ألف مادة مشروحة وموثقة، مع كل ما وجد وظهر من فروعها واشتقاقاتها. وأصبح أضخم المعاجم وأكبرها حجماً، بحيث وصلت إحدى طبعاته إلى عشرة مجلدات في كل مجلد (550) صفحة من القطع الكبير.

لقد اعتمد الزبيدي في تأليف معجمه هذا على كتاب «القاموس المحيط» للفيروزآبادي الذي يعدُّ من أغزر المعاجم العربية ومن أكثرها ثراء بمفردات اللغة، واتخذ منه مرتكزاً وأساساً لمعجمه، لاعتقاده بأهميته وعظيم شأنه، مع شعوره بوجود النقص في مادته والغموض في عبارته وحاجته للشرح والتبسيط والإضافة. ولذلك استقى من هذا الكتاب كل ما احتواه من مواد وتتبعها بالشرح والتفسير والتصويب والتصحيح والتوثيق والتحقيق، مضيفاً إليها كل ما نقص أو أهمل واستبعد وأسقط أو اكتشف واستدرك أو تولد واستحدث من مفردات اللغة وصيغها واشتقاقاتها وتراكيبها حتى عصره أو زمن وضعه لمعجمه على وجه التقريب، مستفيداً في ذلك من عدد كبير من المعاجم والرسائل وكتب اللغة والأدب والعلوم والمعارف «وغير ذلك من الكتب والأجزاء في الفنون المختلفة مما يطول على الناظر استقصاؤها ويصعب على العادّ إحصاؤها»[40]، كما يصرح المؤلف نفسه في مقدمته لكتابه. وبهذا جمع الزبيدي في (تاجه) من مفردات اللغة «ما تفرق في تلك الكتب من منطوق ومفهوم وبسط القول فيه»، وما اشتمل عليه كل من «الصحاح» و«القاموس المحيط» و«لسان العرب» بنحو أخص.

وقد التزم الزبيدي في معجمه بمنهج القافية في ترتيب المفردات وتصنيفها، بناء على اعتماده في متنه أساساً على كتاب «القاموس المحيط». فرتب الكلمات في أبوابه على وفق أواخر أصولها، وصنفها على وفق أوائل أصولها في فصول، وسار على نهجه في تشكيل الكلمات وذكر نوع الحركات فيها، وفي استعمال بعض الكلمات كمفاتيح للنطق وبيان الأوزان، واستعمل رموز الفيروزآبادي نفسها فيما نقله عنه نصاً. بينما اختلف عنه في طريقة التفسير والاستشهاد والتعليق

وإيراد الشروحات المطولة والآراء المختلفة المتعلقة بكل مادة.

أما من حيث طريقته في التفسير والتعبير فقد حرص الزبيدي على إيراد كثير من تفسيراته الخاصة في عبارات وجمل قريبة سلسة توضح مفاهيم الكلمات أو تشرح بعض معانيها، بالإضافة إلى استقصاء شروح غيره عليها واستيفاء الشواهد المتعلقة بها. إلا أنه تقيد بعبارات القاموس المحيط التي نقلها وحافظ على نصها الأصلي، رغم وجود الغموض والتعقيد في كثير منها. وفرق بين هذه العبارات أو باعد بينها باستطراداته الكثيرة والشروح والشواهد والفوائد والروايات والأحاديث والخلافات التي غالباً ما يمعن في سردها، ففقدت عبارات الفيروزآبادي التي ينقلها ليوضحها وعباراته وشروحاته هو نفسه الكثير من توازنها واتساقها وترابطها، وبدت مربكة للمراجع مشتتة لفكره في كثير من الأحيان.

ولقد تميز كتاب «تاج العروس» بالإضافة إلى غزارة محتواه من المفردات والصيغ بنحو عام، بتنوع المعارف والفوائد والمقاصد اللغوية التي تضمنها مع رصانة ووثاقة هذه المعارف والفوائد والمقاصد وتعدد روافدها، إذ لم يترك مؤلف هذا الكتاب أمراً لغوياً هاماً في المصادر التي رجع إليها إلا أحاط به ودوّنه في معجمه [41]، ونسبه بأمانة إلى مصدره، ولذلك فإن هذا الكتاب بمضامينه هذه وبما احتواه من روايات وشواهد وأدلة ونصوص شعرية ونثرية مختلفة يشكل مرجعاً هاماً لدارسي اللغة والمتخصصين فيها أو في أي فرع من فروعها. ولاسيما أنه أشتمل على مقدمة واسعة تناولت نشأة العربية وخصائصها وأبنية الكلام فيها، والمتواتر والفصيح والمطرد والشاذ والمجازي والحقيقي والمشترك والضد والمترادف من ألفاظها، ثم عن آداب اللغوي وأصول عمله، وأئمة اللغة وثقاتهم ومراتبهم ووفياتهم وكناهم وأسانيدهم، إلى غير ذلك من المقاصد التي استمدت من كتاب المزهر للسيوطي وغيره من كتب اللغة المهمة. كما اشتمل كل باب من أبوابه على مقدمة قصيرة عن الحرف الذي عقد له الباب تتضمن بيان مخرج الحرف وطبيعته وصفاته وإبدالاته.

وقد أبدى الزبيدي في هذا المعجم اهتماماً ظاهراً بإبراز المعاني المجازية للكلمات إلى جانب تتبعه الدقيق لمعانيها الحقيقية، وبذكر كثير من الألفاظ والتراكيب الأعجمية الدخيلة، والمصطلحات العلمية التي عرفت في عصره، والألفاظ العامية، ولا سيما عامية مصر التي عاش الزبيدي فيها فترة طويلة من حياته. وباختصار فقد أظهر الزبيدي غزارة اطلاعه على كثير مما يتعلق بمواد معجمه من معارف.

لقد جعل الزبيدي من قاموسه موسوعة كبيرة، حتى فاق هذا القاموس في ضخامته وسعة محتواه وتنوع موضوعاته وشموليته معجم «لسان العرب» الذي سبق الحديث عما اتسم به من صفة الموسوعية، وربما فاق تاج العروس في هذه كل كتاب موسوعي سبق للعرب تأليفه، فليس هناك من أمر مهم متعلق باللغة كما سبق القول إلا أحاط به أو أشار إليه، وليس من شاهد أو تفسير أو حديث أو تعليق أو خلاف حول مادة لغوية إلا وتناوله، وما من فائدة علمية مدونة في كتب اللغة أو غيرها من المصادر الكثيرة التي رجع إليها ومرتبطة بمادة من مواد معجمه إلا وأحصاه. وهذا ما جعله يفوق «لسان العرب» في خروجه مضموناً وشكلاً عن طبيعة المعجم الخاص باللغة، وقربه من دائرة المعارف العامة، وإن كان المحور الأساسي فيه هوالمفردات اللغوية.

لقد أصبح «تاج العروس» بالمعارف الكثيرة المتنوعة التي احتواها كتاباً نفيساً جليل القدر عظيم الأهمية، وخزانة علم واسعة، تخدم المتعلم في مجالات عدة، ولكن هذه المعارف الواسعة الكثيرة أدت بهذا الكتاب إلى أن يصبح ثقيلاً، مربكاً للمراجع مرهقاً لفكره ونظره. لأنه لا يصل فيه إلى الكلمة التي يبحث عنها إلا بعد لأي ومشقة، هذا إن لم ينسها في أثناء بحثه أو ينصرف ذهنه عنها.

لابد للباحث في هذا المعجم من أن يمر بكمّ زاخر من المواد والصيغ والمعاني وبحشد كبير من المعلومات، ويعبر بحاراً وأنهاراً ومدناً وجبالاً وصحارى، ويسمع معشراً من اللغويين يخوضون في منازعاتهم وخلافاتهم حول مسائل شتى في اللغة والنحو والصرف، وأقواماً آخرين من الرواة والمتخصصين في مختلف العلوم والفنون ممن تملأ أحاديثهم عدداً من الصفحات في الفقه والحديث والتراجم والأنساب والأدب والشعر وطرائف العرب ونوادر العجم وتاريخ الأمم والحيوان والنبات والطب، يمر بذلك كله قبل أن يصل إلى الكلمة أو الصيغة اللغوية التي يريد الكشف عنها وعن معناها، ناهيك عما يلقاه من تشتت بين المعاني والصيغ وتباعد بين اشتقاقات المادة الواحدة وخلط في الأوزان والتراكيب، وتكرار واضطراب وتحريف وتصحيف في بعض الألفاظ واختلاف في بعض العروض والشروح.

ولقد قامت وزارة الإعلام في دولة الكويت بإخراج (تاج العروس) ضمن سلسلة التراث العربي محققاً من قبل العلماء العرب المختصين، في حلة أنيقة وطباعة عصرية فنية جميلة، فعملت على اجتذاب القارئ له نوعاً ما، بعد أن كانت طبعاته القديمة المتداولة سقيمة ترهق بصر

القارئ وفكره وتزيده نفوراً من المعجم أو انصرافاً عنه. إلا أنه ما زال يؤخذ على هذه الطبعة سماكة الصفحات وكبر حجم الحرف، بالإضافة إلى هوامش المحققين وملاحظاتهم وإشاراتهم الكثيرة، مما زاد من حجم الكتاب ومن عدد مجلداته، ومن تفرق مفردات اللغة بين هذه المجلدات، وأخيراً من ثقله وصعوبة البحث فيه.

5 - أساس البلاغة

يبرز معجم «أساس البلاغة» للزمخشري كأول معجم يهتم اهتماما كبيراً بالتوسع الدلالي. وكأول معجم مميز خاص بالتعبير العربي البليغ، بالإضافة إلى كونه أول معجم لغوي وضع على وفق المنهج الهجائي الجذري وحظي بشهرة واسعة على الرغم من صغره وقلة محتواه من المفردات اللغوية قياساً إلى المعاجم العربية الكبرى التي سبق ذكرها.

لقد تولى الزمخشري في هذا المعجم ذكر المعاني المجازية للكلمات بعد ذكر معانيها الحقيقية. كما اهتم بالتركيز على الكلمات والعبارات والأساليب المفضلة لدى البلغاء والأدباء: فضمن معجمه الكثير من آيات القرآن والنصوص الشعرية والأمثال والحكم والأقوال البليغة عامة. ولذلك كانت أهمية هذا المعجم في مجالي البلاغة والأدب كبيرة، بالإضافة إلى أهميته كمعجم لغوي واسع الاستدلال محكم التنظيم ميسر المنهج صغير الحجم نسبياً. رغم قلة استيفائه أو استقصائه للمواد اللغوية وعدم وفائه في شرح الكثير مما تضمنه منها.

يخدم هذا المعجم بما تضمنه من مواد لغوية وفوائد أدبية وبلاغية طوائف عديدة من الأدباء والمهتمين بالدراسات البلاغية وخاصة المثقفين بنحو عام . كما أنه يصلح لأن يكون مساعداً على تنمية المواهب الأدبية ومهارات التعبير لدى المتقدمين من الناشئة وشداة الأدب بنحو خاص، بما يقدمه لهم من ألفاظ مصوغة في عبارات منتقاة ونصوص بليغة راقية تصقل أذواقهم، وتهذب ألسنتهم، كما تثري حصائلهم من مفردات اللغة وتراكيبها الفصيحة. رغم قلتها النسبية، ورغم ما سجله عليه بعض الباحثين اللغويين من مآخذ[42].

ورد في تفسير أساس البلاغة لمادة (رأب) ما يلي:

«رأب - رأب الشَّعَابُ الصَّدْعَ. ورجُل مِرأبٌ صَنَعٌ: يحسن رأب الأشياء. وقوم مرائيبُ،

وهاتِ رُؤْبةً أرأب بها قدحي. قال ذوالرُّمة:

تدَهدَّى فطاحت رؤبةٌ من صميمه　　　فبُدِّل أخرى بالغِراء وبالشَّعبِ

ومن المجاز: فلان يرأب أمور الناس، وهو رَءَّاب أمور ومِرأبُ أمور: مصلحها. وهورءْب بني فلان. وهومِرأبٌ من مرائيب الثأي: قال الطِّرماح:

نُــصُرٌ للذليـــل في نــــدوة الحيِّ　　　مرائيـــبُ للثَّـأى المنهـــاضِ

وفي بني فلان ثلاثون رأبا أي سادات يرأبون أمورهم. وأنشد الأصمعي:

ثلاثــون رأبا أو تزيــــد ثلاثة

يقابلنا بالقِـــرن ألفٌ مقنَّـــعُ

وقال الكميت:

وفي حَسَنٍ كانت مصاديقُ لاسمه　　　ورأبٌ لصدْعيها المُهمَّيْن مِرأبُ

وكفى بفلان رأبا لأمرك بمعنى رائبا وهو وصف بالمصدر. وتقول: هو أربةُ عَقدِ الإخاء، ورؤبة صدع الصفاء، والأربة العقدة المحكمة من التأريب. ورأب الله بينهم: أصلح ذات بينهم. واللهم ارأبْ بينهم. وتقول: إن رأى أن يرأب بينهم الثأى فعل»(43).

فالزمخشري هنا يفسر المادة اللغوية ويشرح معناها من خلال السياقات التي يضعها فيها، ويضعها وما يشتق منها في عبارات تبين طرق استعمالها أو بعض نوعيات هذا الاستعمال على غرار ما كان يصنع في بعض المعاجم الموضوعية القديمة، مثل: الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن الهمذاني (ت320هـ) ومتخير الألفاظ لأحمد بن فارس (ت395هـ)، والتي تهدف أساساً إلى التدريب على كيفية تركيب الألفاظ على وفق معانيها المستعملة فيها وعلى صياغة العبارات البليغة وتأليف الكلام بنحو عام. ولذلك فإن «أساس البلاغة» يمكن أن يكون كتاباً خاصاً بتعليم طرق صياغة الكلمات وبيان أوجه استعمالها وطرق التعبير بها أكثر من كونه معجماً خاصاً بتفسيرها أو شرح معانيها.

وموجز القول إن «أساس البلاغة» للزمخشري يمكن أن يتخذ معجماً لغوياً خاصاً يمد طالب

اللغة الحديث عامة بما يحتاجه من ألفاظ أدبية فصيحة راقية تمكنه من فهم واستيعاب النصوص والصياغات التراثية البليغة القديمة، كما تساعده على تنمية مهاراته في استعمال الصيغ والتعبيرات البليغة المأثورة وفي التعبير بلغة أدبية تجمع بين أصالة الماضي وطرافة الحاضر، على قدر ما يحسن استعمال هذا المعجم والانتهال منه والصبر عليه وتجاوز سلبياته. وما له من خلفيات في الأدب والثقافة. ولهذا فهومعجم أقرب إلى خاصة المتعلمين أو المثقفين منه إلى عامتهم.ويمكن أن تكون من جملة المآخذ أو السلبيات الظاهرة على هذا المعجم ما يلي:

1 - لا يشتمل هذا المعجم على جميع الصور أو الصيغ الممكنة أو المستعملة للمادة، إذ الاهتمام موجه فيه بصورة أساسية إلى سوق التراكيب والأساليب الأدبية أو البلاغية التي تستخدم فيها المادة وليست المعاني والاشتقاقات المتخذة منها، ولذلك كان نصيب ماذكره من صيغ ومعاني المواد المذكورة فيه محدوداً، قياساً إلى المعاجم الأخرى السابقة لوجوده[44].

2 - لا يلتزم فيه مؤلفه بالابتداء بصيغة معينة من صيغ المادة، أو بترتيب معين للمعاني التي يسوقها، فقد يبدأ بالفعل من المادة أو بالصفة منها أو يبدأ بصياغة مشهورة أو تركيب جميل أو عبارة مستحسنة مستخدمة فيها. كقوله في تفسير مادة (خضض):

«خ ض ض ـ يُقالُ للعاطل: ما عليها خَضَاض وخَضَضٌ وهوخرز للإماء أبيض، قال:

ولوأشرقت من كفه الستر عاطلاً لقلتُ غزال ما عليه خَضَاض».

وقوله في تفسير مادة (تعب):

«ت ع ب ـ استخراج المُعَمَّى مَتعَبة للخواطر، وهذا أمر لو حُمِّل المصاعب للقيتَ منه المتاعب..»..

إن هذا النهج بطبيعة الحال يربك القارئ، إذ لا يمكنه من تحديد مكان الصيغة المطلوبة، لأنه لا يمكنه أن يبني على تدرج معلوم لصيغ المادة المدرجة.

3 - المواد التي تخص بالذكر والشرح والاهتمام في هذا المعجم غالبها من المواد الثلاثية الأصول، أما المواد غير الثلاثية فقلما تذكر أو يعنى بشرحها بنحو مستقل. ولقد أحصى

بعض الدارسين المواد غير الثلاثية في المعجم فبلغت اثنتين وستين مادة رباعية، ومادتين خماسيتين فقط وهما مادتا ص هـ ص ل ق، ع ن د ل ب [45]. ومع أن المواد الثلاثية الأصول هي الأكثر عدداً وأكثر استعمالاً وأعدل تركيباً في العربية. كما يشير إلى ذلك بن جني [46]، فإن المواد الأخرى لا تصل في الندرة أو القلة إلى الحد الذي وصلت إليه في «أساس البلاغة».

وعلاوة على قلة المواد غير الثلاثية في هذا المعجم فإن الزمخشري يداخل بينها وبين الثلاثية أحياناً، ولا يلتزم بالابتداء بالثلاثي أو بتوالي زيادة الأحرف على الكلمة. ففي تفسير مادة (ع ج ر) بدأ بعجر وصيغها وانتهى بـ (عجرف) وبعض اشتقاقاتها كما هو المعتاد في المعاجم الأخرى. ولكنه في تفسير مادة (زح ف) أدخل مادة (زحلف) وبين بعض اشتقاقاتها، ثم عاد لذكر المعاني المجازية لمادة (زحف)، ثم رجع مرة أخرى لذكر (الزحلفة) و(الزحاليف). وهكذا يكون التداخل بين المواد مسبباً للفوضى في عرضها وتفسيرها.

4 - تذكر اشتقاقات الكلمة وصيغها أو التراكيب والنصوص المستعملة فيها في هذا المعجم عادة قبل تعريفها وتحديد معناها، مما يصرف القارئ عن المعنى ويشتت ذهنه ويحيره أو ينفره، وقد يغفل ذكر معنى الكلمة الأصل تماماً ويكتفي بذكر المعاني الحقيقية أو المجازية لبعض اشتقاقاتها، كما رأيناه في المثال السابق.

5 - إن النصوص والتراكيب والصيغ التي يستشهد أو يمثل بها في هذا المعجم كثيراً ما تكون غريبة أو جافة موغلة في البداوة، أو غامضة تحتاج بنفسها إلى شرح وتفسير. فالأبيات التي أوردها في المثال السابق لكل من ذي الرمة والطرماح والكميت تحتاج بذاتها إلى شرح، ومتضمنة للكلمات: (الثّأى والمنهاضِ، والقِرن، ومصاديقُ)، التي تحتاج هي الأخرى إلى تفسير ليفهم السياق الذي أدرجت فيه.

إن طريقة الزمخشري في التفسير السياقي في حد ذاتها تعد من أهم طرق الشرح المعجمي في نظر طائفة كبيرة من المعجميين المعاصرين، كما سنبين ذلك لاحقاً، ولكن الكلمات التي ترتبط بالكلمة المفسَرة في السياقات التي يوردها المعجم يفترض أن تكون أقل غموضاً وأكثر شهرة من الكلمة المفسرة نفسها، وإلا لم يؤد الشاهد السياقي دوره في شرح المعنى أو توضيح طريقة الاستعمال.

6 - الطبعات التي صدرت لهذا المعجم كلها ولاسيما الطبعة التي بين يدي، والمشار إليها في هامش هذا البحث، لا تعين -حسب اطلاعي -على توضيح معاني الكلمات والنصوص الواردة فيه على النحو المطلوب؛ فالحروف فيها صغيرة مرصوصة مضغوطة، والحركات والنقاط باهتة نوعاً ما ووضعها على المواد أو الألفاظ الشارحة غير مطرد.

إن مجموع الصفات المذكورة لا تقلل من قيمة المعجم وأهميته في مجاله على نحو ما أشرنا، ولكنها ربما تقلل من فاعليته في تنمية حصائل الناشئة من مفردات اللغة ومعانيها، لأن بعضها يعمل على تقليل محتوى المعجم من المواد، وبالتالي تقليل نسبة ما يمكن أن يكتسب من هذه المواد، كما أن بعضها الآخر يوجد دوافع للانصراف عن المعجم أو يقلل من الانجذاب إليه وبالتالي محدودية الاستفادة منه. إلا أن تجرى عليه بعض التحسينات، فتهذب طريقته، وتصفّى مادته، وتعاد طباعته ويخرج في حلة تتناسب مع ما توصلت إليه صناعة المعجم وتقنيات الطباعة الحديثة من تطور.

الجزء الثالث

المعاجم اللغوية العامة الحديثة

1 - محيط المحيط

يعدُّ «محيط المحيط» لبطرس البستاني (ت 1883م) من أوائل المعجمات الحديثة ظهوراً وأبعدها أثراً في المعجمات العربية عامة، وفي المعجمات التي أنتجها اليسوعيون من بعده بوجه خاص سواء من حيث المنهج الهجائي الجذري الميسر المتبع فيه أم من حيث الاهتمام بالمصطلحات وألفاظ الحضارة، أم في التوسع والتسامح في احتواء المواد اللغوية بمستوياتها المختلفة بوجه عام.

أراد البستاني أن يشتمل معجمه المذكور على كل ما يحتاج إليه القارئ الحديث من مفردات اللغة، وأن يكون هذا الكتاب بمثابة دائرة معارف للغة وغيرها، ولذلك ضمنه كل ما جاء في «القاموس المحيط» للفيروزآبادي من مفردات اللغة، وأضاف إلى أصول الأركان فيه كما يصرح البستاني نفسه في فاتحة معجمه «فروعاً كثيرة وتفاصيل شتى وألحقتُ بذلك اصطلاحات العلوم والفنون وكثيراً من المسائل والقواعد والشوارد وغير ذلك مما لا يتعلق بمتن اللغة. وذكرتُ كثيراً من كلام المولدين وألفاظ العامة منبهاً في أماكنها على أنها خارجة عن أصل اللغة، وذلك لكي يكون هذا الكتاب كاملاً شاملاً يجد فيه كل طالب مطلوبه من هذا القبيل»[47].

لقد عُني البستاني في معجمه عناية كبيرة بالمصطلحات العلمية والفنية والفلسفية، وبالألفاظ والصيغ الدخيلة والعامية، وخاصة الشامية منها، والكلمات والعبارات التي تتصل بالعقيدة المسيحية، وحشا كتابه بكثير من المسائل والقواعد والشوارد وبمعلومات واستطرادات واسعة لا صلة لها بمهمة المعجم اللغوي، وأسهب في سرد بعض هذه المعلومات والاستطرادات، مازجاً إياها بأصول اللغة ومعانيها، وأكثر من ذكر الشواهد والأقوال والأمثال، فبدا معجمه ضخما فضفاضاً[48]، لا يتناسب مع مستويات عامة المثقفين ولا مع حاجات الطلبة وما يتطلبونه من اختصار وتركيز ومن سرعة في الوصول إلى ما يحتاجون إليه من مفردات اللغة. وقد أدرك البستاني نفسه ذلك، فاختصر معجمه هذا في معجم آخر سماه «قطر المحيط»، «هين المراس ــ كما يقول ــ سهل المأخذ ليكون للطلبة مصباحاً يكشف لهم عما أشكل عليهم من مفردات اللغة»، وسيأتي الحديث لاحقاً عن هذا المعجم، في سياق الحديث عن معاجم الطلبة.

ورغم أن البستاني أراد لمعجمه أن يكون حديثاً في منهجه فإنه لم يستطع التخلص من طريقة

القدامى في الشرح، ومن تفسير الغامض بالغامض والمشكل بالمشكل، وسرد الكلمات والعبارات سرداً متتابعاً مملاً يزيد من حيرة القارئ ويدعو إلى نفوره.

لقد ورد في باب الهمزة من معجم «محيط المحيط» على سبيل المثال العابر تفسير كلمة (الأبنة) بأنها «العقدة في العود والعيب أو النقيصة والحقد والرجل الخيضف وقيل الخصيف وغلصمة البعير وعلة معروفة». وفي تفسير (البرنجاسف) بأنه «نبات يشبه الإفسنتين له ورق دقاق بيض وصفر ويظهر في الربيع والصيف ويسمى بالبزر الخراساني». فالكلمات: (الخيضف أو الخصيف، وغلصمة، والإفسنتين، والبزر الخراساني) كلها كما يمكن أن يتصور معي القارئ كلمات غريبة وغامضة، ولاسيما على الناشئ، إذ إنها تحتاج بذاتها إلى تفسير وإيضاح.

أما من حيث الإخراج فقد ظهر «محيط المحيط» في طباعة غير مشوقة، تتقارب فيها الأسطر وتتزاحم الحروف وتتراكب الكلمات أو تتلاصق بعضها بالبعض الآخر، وتمتلئ الصفحات في بعض الطبعات إلى حد الاختناق، بحيث لا يبقى مكان فيها لرقم الصفحة، كما أغفلت علامات الترقيم، فبدت العبارات متداخلة والجمل متلاصقة غير بينة في كثير من الأحيان، وهكذا أصبح المعجم بالإضافة إلى كثافة مادته وضخامة حجمه وثقل وزنه منفراً للقارئ مرهقاً لبصره.

لا نريد أن نطيل في الحديث عن «محيط المحيط» ولا في تقصي الأخطاء الواقعة فيه. لأن ما ذكرناه كاف ـ في نظرنا المتواضع ـ لأن يعطي الانطباع المطلوب عن اتجاه المعجم ومستواه ومدى صلاحيته المحدودة لاستعمال الطلاب وعامة المثقفين، أو المثقفين غير المتخصصين. ومن جانب آخر فقد تعرض هذا المعجم للدراسة والنقد وتتبع الهفوات وإحصائها من عدد من الباحثين اللغويين، بما نعتقد أن فيه الكفاية للدارس المتتبع المهتم.

لقد أحصى إبراهيم اليازجي في كتابه «تنبيهات اليازجي على محيط البستاني» على هذا المعجم الكثير من الأخطاء والعثرات. كما ضمن الأب انستاس ماري الكرملي كتابه «المعجم المساعد» الكثير من التنبيهات والملاحظات عليه، هذا بالإضافة إلى ما نبه إليه عدد من الدارسين من جوانب الضعف أو القصور ضمن ما تحدثوا به عن هذا المعجم أو المعاجم الحديثة عامة[49]. إلا أنه يمكن الانتهاء إلى أن الهفوات والأخطاء وجوانب القصور التي أحصيت على هذا المعجم مهما كان حجمها ونوعها، لا تقلل من شأن هذا المعجم ولا من أهميته ومن دوره كرائد للمعاجم

الحديثة التي بين أيدينا، استطاع به صاحبه أن ينقل التأليف المعجمي العربي إلى منعطف جديد ومرحلة حاسمة لا تسمح بعودة الهيمنة الكاملة لأساليب الصناعة المعجمية القديمة، وإن لم تستطع التخلص منها ومن تبعاتها كلية. ويكفي من عظمة هذا المعجم ومن فضل صاحبه، أنه استطاع أن يفتح الطريق لمعجم عربي حديث جديد، وإن كان هذا المعجم لا يزال بعد في طور النمو أو في طريقه نحو الإزدهار.

2 - أقرب الموارد

يعد «أقرب الموارد» لسعيد الخوري الشرتوني(ت 1912م) من أوائل المعاجم التي صدرت في بدايات العصر الحديث ومن أضخمها وأوسعها مادة وجمعاً للألفاظ، فقد صدر هذا المعجم في عام 1889م في جزأين مجموع صفحاتهما (1504) صفحة، بثلاثة أعمدة في كل صفحة، وواحد وأربعين سطراً في كل عمود. ثم ألحق بـ «ذيل» له صدر عام 1894م في (548) صفحة مماثلة في عدد الأعمدة والسطور التي تحتويها لصفحات الجزأين السابقين، وبذلك يصبح المعجم في مجمله مكوناً من ثلاثة أجزاء في (2052) صفحة.

وقد وضع هذا المعجم في الأساس لطلاب المدارس، وقصد به أن يكون ميسراً قريب المأخذ سهل المنال خالياً من الألفاظ البذيئة مما يتعلق بالسوءات والعورات والجنس، رعاية لحرمة الأدب وتهذيباً للغة الناشئة، كما تفيد بذلك مقدمة المعجم نفسه[50]. بينما يكون في الوقت نفسه غنياً بما يحتاج إليه الطالب والباحث الحديث عامة من ألفاظ اللغة ومصطلحاتها وصيغها الحديثة.

وبالفعل فقد حوى هذا المعجم مادة غزيرة من الألفاظ والصيغ والتراكيب والمصطلحات، استمد القديم منها من أمهات المعاجم العربية، مثل القاموس المحيط ولسان العرب وتاج العروس. بينما استمد الحديث منها من معاجم اليسوعيين أو المسيحيين التي ألفت قبله، ومن أبرزها «محيط المحيط» للبستاني. هذا بالإضافة إلى كتب الأدب وكتب اللغة الأخرى. وقد تمكن الشرتوني بما كان له من فكر متطور وذوق لغوي مصقول وممارسة طويلة في دراسة العربية وتدريسها والتعامل مع نصوصها من أن يغربل وينقح ويهذب ويصحح مادة معجمه بقدرما استطاع، وينظم المفردات على وفق المنهج الهجائي الجذري، أي بحسب أوائل أصولها. ولقد استفاد الشرتوني من تجربة البستاني في معجمه «محيط المحيط» فتجنب ما وقع فيه الأخير من حشد للألفاظ

العامية والمسيحية ومن تكرار واستطراد في ذكر الفوائد النحوية والصرفية وأسماء الكتب والرواة وما إلى ذلك مما ليس له أهمية في توضيح معنى الكلمة أو بيان استعمالاتها، كما أوجز في الشرح والاستشهاد واختصر العبارة في التفسير وبسطها، ومن جانب آخر فقد استفاد من بعض ما توصلت إليه الطباعة العصرية من تطورات، فأخرج المعجم في طباعة جيدة وتنظيم حسن وشكل مقبول نوعاً ما.

وضع الشرتوني كل مدخل من مداخل معجمه بين لجمتين مميزتين، ووضع كل صيغة متفرعة عنه بين هلالين، وقدم الأفعال على الأسماء، وتدرج في ذكر الصيغ بحسب عدد حروف الزيادة التي تشتمل عليها وضبط الحركات بالنص والرسم، ورمز إلى الصيغة المعادة بشرطة (ـ) ليتجنب تكرارها، وقسم كل صفحة من صفحات المعجم كما أشرنا إلى ثلاثة جداول واضعاً على رأس كل جدول الكلمة التي يبدأ بها، ليتعرف الباحث على موضع الكلمة من الصفحة أو الباب بيسر. وهكذا أخرج لنا معجماً أكثر تطوراً وأسهل منالاً من سابقيه.

رغم ما تقدم ذكره من إيجابيات هذا المعجم وتميزه النسبي على ما وضع قبله من المعاجم الحديثة، فإن فيه من الصفات ما قد تجعله بعيداً عن الغرض الذي وضع من أجله، فقد وضع هذا المعجم كما تبين من قبل للطلبة، وكان الهدف منه تيسير اللغة وتوفير الوقت على الباحثين والمتعلمين في تحصيلهم لألفاظها وصيغها. إلا أن وضع هذا المعجم في ثلاثة أجزاء بالضخامة التي أشرنا إليها، وعلى النحو الذي تتفرق فيه مجموعات من الألفاظ بين الأصل والذيل الذي ألحق به، لا يجعل هذا المعجم قريباً من الطلبة ولا من عامة المثقفين. هذا بالإضافة إلى ما حذف من المعجم من كلمات لا غنى للطالب والمثقف الحديث عنها، وما فيه من زيادة هو في غنى عنها.

لقد تضمن «الذيل» الذي ألحق بالمعجم كما تفيد مقدمته كل ما ترك المؤلف ذكره في المعجم عمداً أو سهواً، وما استدركه على «لسان العرب» و«تاج العروس»، أو وجده في كتب الثقات في ما بعد. ثم ما ذكره هو في غير مكانه من الجزئين الآخرين من المعجم. وهذه المواد بمجموعها كثيرة، كما يمكن أن ندرك من خلال مجموع الصفحات التي تكون منها هذا الذيل. وقد يبحث المراجع عن كلمة في المعجم فلا يجدها ويحتاج إلى من يبحث مرة أخرى في الذيل وذلك مخالف لما أراد المؤلف توفيره من الجهد والوقت على الباحث.

ومن حيث المادة فقد حذفت من المعجم ألفاظ الجنس أو ألفاظ السوءات والعورات، وهذه لا غنى لطالب اللغة عن معرفتها، ولا صلة لذكرها أو عدم ذكرها برعاية حرمة الأدب، وألفاظ القبح والجمال في مستوى واحد في معجم اللغة، ولا بد لطالب اللغة من معرفتها جميعاً، ليمكنه التعبير عن هذا وذاك. وفي المقابل فقد اشتمل المعجم على مصطلحات العروض وأسماء الأعلام، ولهذه كتبها الخاصة غير المعجم اللغوي. وقد نبه على الدخيل والمعرب وما يقابلهما من لغاتهما الأصلية وهذا من وظيفة المعجم التأصيلي وليس المعجم اللغوي العام. وربما كان الاستغناء عنها وتخفيف المعجم منها خير من ذكرها وزيادة حجمه بها.

هذا وقد ضبطت الكلمات في هذا المعجم بالأوزان بالإضافة إلى الحركات فشارك ذلك في زيادة ضخامة المعجم ومن ثقله على مستخدمه. أما من حيث طريقة الشرح، فعلى الرغم من سعي مؤلف هذا المعجم إلى تجنب ما وقع فيه البستاني من أخطاء وهفوات في تفسيره لمواد معجمه «محيط المحيط» فقد وقع في الكثير منها، ففسر الغامض بالغامض، وأتى بالتفسيرات الدورية، وأكثر من الاستشهاد بالشعر والأسجاع والعبارات والأقوال المأثورة التي تحتاج بذاتها إلى شرح وتبسيط. أو لا ضرورة لذكرها أصلاً. وجاء في معجمه بالحشو والتكرار.

وهكذا فإن صاحب هذا المعجم كما يقول رشيد عطية صديق الشرتوني نفسه «تحدى في الجزأين الأولين من معجمه قاموس «محيط المحيط» فلم يزد على ما جاء فيه، ولا أصلح ما بدر من الهفوات في شرح بعض الألفاظ، بل اتبعها على علاتها، لم يغير فيها حرفاً، فكان في ذلك مقلداً أكثر منه مؤلفاً مدققاً»[51]. ولقد تتبع الشيخ أحمد رضا (ت 1952م) أخطاء «أقرب الموارد» ونشر ما عثر عليه منها في ثلاثمائة صفحة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق[52]. فأغنانا عن التمثيل عليها ضمن هذا المختصر، ولا سيما أننا لا نود أن نطيل في الحديث عن المعاجم التي تقل فاعليتها بين الطلاب وعامة المثقفين في الظروف الراهنة. علماً بأن هذا الاختصار لا يقلل من شأن المعجم كمصدر مهم للغة وكتاب مفيد لخاصة المثقفين والمتخصصين من المتعلمين.

3 - البستان

يعد «البستان» من أوائل المعاجم اللغوية الموسعة التي صدرت في هذا العصر. أراد به مؤلفه عبد الله البستاني (ت 1930م)، كما يبدو أن يكون «معجماً مطولاً وافياً بحاجة الطالب والمعلم

والمثقف وكل ناشد معرفة معاصر فضمنه مادة غزيرة شارفت على تحقيق الهدف.. وقد صدر هذا المعجم عن المطبعة الأمريكية ببيروت عام 1930م في مجلدين كبيرين، مزوداً بمقدمة مطولة بقلم الخوري بطرس البستاني استغرقت زهاء (17) صفحة، تضمن جزء منها الحديث عن اللغة ومكانتها وأقسامها وطبقاتها، والعربية وأصلها وحروفها وألفاظها وما فيها من ترادف واشتراك وتضاد وفروق، ثم عن طبيعة القياس وعمله في تكوين هذه الألفاظ وما يرتبط بذلك من مسائل متعلقة. أما الجزء الآخر من هذه المقدمة فقد تناول المعاجم العربية وتطور وضعها والشوائب والعيوب التي لحقت بها، ثم ما ينصح باجتنابه أو عمله من أجل التخلص من هذه الشوائب وتفادي هذه العيوب.. وهكذا تنتهي هذه المقدمة المطولة بطرح ما يشبه المخطط العام لمعجم عربي عصري جديد[53].

أما مادة «البستان» فهي مادة «محيط المحيط» لبطرس البستاني بعثها وسمينها كما يقول حسين نصار، لا تكاد تتجاوزها إلا بزيادات طفيفة في بعض المعاني والكلمات والأسجاع والتعليلات والعبارات والتفسيرات اعتمد المؤلف في نقلها أو صياغتها بالدرجة الأولى على معجم «تاج العروس» للزبيدي[54] مع بعض الحذف والتغيير والاختصار وإدخال بعض التحسينات على المنهج والشكل الطباعي مما لم يبعد بهذا المعجم في الواقع كثيراً عن سابقه المذكور «محيط المحيط». لا من حيث السعة والضخامة والفضفاضية، إن صح التعبير، ولا من حيث المنهج والشكل والطباعة ونوعية الإخراج.

وبما أن نقاط الاختلاف بين المعجمين قليلة وأوجه الاتفاق كثيرة على نحو ما تبين، والتجديد أو التغيير والتطوير في معجم «البستان» يسير، فإن حديثنا السابق عن «محيط المحيط» يمكن أن يغنينا عن الحديث عن هذا المعجم، هذا بالإضافة إلى أننا تحدثنا ضمن الفصل الخاص بمعاجم الطلاب عن «فاكهة البستان» أو «الوافي»، كما سمي في طبعته الأخيرة التي اعتمدناها، وهذا المعجم في الحقيقة إعادة لإصدار «البستان» نفسه في إطار جديد فيه شيء من الاختصار.

«فاكهة البستان» كما سيأتي الحديث عنه ضمن الفصل المشار إليه، هو اختصار لـ«البستان»، وضع نتيجة للشعور بطول الأصل وزيادة اتساعه وضخامة حجمه والخشية من عدم توفر الإقبال المطلوب عليه، والإحساس بضرورة إيجاد معجم ميسر يوجه للطلبة وعامة المثقفين، وقد نجح مؤلفه عبد الله البستاني إلى حد ما في أن يجعل من مختصره «فاكهة البستان» أقل مادة وأصغر حجماً

من أصله نسبياً، بما حذف منه من معان وصيغ وتعبيرات وتفسيرات واستطرادات وتفاصيل شائكة وكلمات أو استعمالات متعلقة بالجنس وبالعورات لم يحبذ إطلاع الناشئة عليها خشية إفسادهم كما يقول ! إلا أن الاختصار والحذف في ذلك كله كان في واقع الأمر محدوداً، لذلك فإن الفارق بين المعجمين من حيث المادة ليس كبيراً، وإن كان قد صدر الأصل في مجلدين والمختصر في مجلد واحد. أما من حيث المنهج المعتمد في ترتيب المفردات في (المختصر) فقد بقي كما هو عليه في الأصل. وطريقة التفسير والحشو والاستطراد ونواحي التقصير أو القصور في الشرح والتفسير والتعليق والاستشهاد بقيت كما هي في الأصل أيضاً. ولهذا فإن من يطلع على (المختصر) يستغني في إدراك هذه الصفات عن النظر في الأصل.

أما من حيث المستوى والأهمية ونواحي القصور فإذا كان (المختصر) عاجزاً عن الوفاء بحاجات العصر غير ملائم تمام الملاءمة لظروفه، كما بينا ذلك في حينه، رغم ما حذف منه من حشو وأجري عليه من تعديل وخضع له من غربلة وجرى فيه من تحسين في الطباعة والإخراج والحجم، فبالأولى أن لا يكون الأصل (البستان) كذلك.

وقد تضمنت المقدمة التي كتبها الخوري بطرس البستاني وصدر بها «البستان» في الواقع نقداً ضمنياً للمعجم نفسه وإشارات لما بقيت فيه من رواسب الماضي وشوائب المعاجم القديمة. كما تعرض لهجوم كثير من النقاد والباحثين اللغويين. ولا يهمنا هنا إحصاء سلبيات هذا المعجم وإيجابياته، للأسباب التي تقدمت الإشارة إليها. ونكتفي بالقول بأن هذا المعجم قد شارك ــ رغم ما اعترته من عيوب وشوائب ـ مشاركة فعالة في تطوير المعجم العربي وفي نقله من وضعه التقليدي القديم إلى وضع حديث أكثر مرونة وشمولية وانفتاح، كما أنه شكل مع سابقيه «محيط المحيط» للبستاني و«أقرب الموارد» للشرتوني قاعدة ثلاثية مهمة اعتمد عليها في وضع كثير من المعاجم الحديثة ولاسيما اللبنانية المسيحية منها.

4 - متن اللغة

ومن المعاجم اللغوية العامة الحديثة التي سبقت الإشارة إليها «معجم متن اللغة»، للشيخ أحمد رضا. وقد وضع هذا المعجم بناء على اقتراح المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1930م، وصدر عن دار الحياة ببيروت عام 1958م في خمسة أجزاء ضخمة من القطع الكبير، بمنهج

ميسر، هو المنهج الهجائي الجذري.

وقد حرص مؤلف هذا المعجم أن يضمن معجمه ـ كما صرح هو نفسه ـ [55] كل مادة ذكرت في لسان العرب وتاج العروس، وأن يجعله جامعاً لكل ما يمكن أن يطلبه طالب اللغة فلا تمر كلمة من كلماتهما إلا ويكون لها تفسير فيه. كما ضمنه كثيراً من العامي الذي يمكن رده إلى الفصيح من ألفاظ لهجة بلاد الشام من سفوح لبنان، بينما تحاشى ذكر اصطلاحات العلوم والفنون، لأنها على حد قوله: خارجة عن اللغة. ولكنه ضمن المعجم بعض ما وضعه أو صحح إطلاقه مجمعا اللغة في كل من دمشق والقاهرة من الأسماء الجديدة للمسميات الحديثة. وقد تجنب ذكر الاستشهادات والشروح المطولة، فأصبح معجمه بذلك جامعاً مانعاً إلى حد ما. يصلح لفئات مختلفة من المثقفين، ولكنه لا يفي بحاجتهم من الألفاظ والصيغ التي تتطلبها كل النشاطات اللغوية في العصر الحاضر.

ويبدوأن مؤلف «متن اللغة» كان يسعى لأن يصبح معجمه متمشياً مع روح العصر منهجاً ومضمونا، فوضعه على وفق المنهج الهجائي الجذري الذي وضعت عليه معظم المعاجم العربية الحديثة مدخلاً بعض التعديلات عليه. وأضاف إلى ما أخذه من أمهات المعاجم القديمة من مواد بعض ما استحدث أو عرّب وأدخل أو جرى على أقلام الشعراء والكتاب في العصر الحاضر من الألفاظ الغريبة، وما عربه أو ترجمه هونفسه. كما ذكر أسماء الموازين والمقاييس القديمة والحديثة. إلا أن المؤلف، مع كل ما سعى إليه من تجديد في معجمه لم يستطع التخلص كلياً من تبعات الماضي، ولاسيما الاستطراد في ذكر أسماء المواضع والمواقع الجغرافية وغيرها من المواد الموسوعية.

ورد على نحو المثال تحت مادة (أثل) تفسير لفظ (الأثال) بما نصه: «الأثال: جبل وماء لعبس أو حصنٌ لهم. وقرية بالقاعة. وواد يصب في وادي الستارة. وماء قرب غُمازة. وموضع بين الغمير وبستان ابن عامر. الأثلة: موضع قرب المدينة. وقرية ببغداد. وموضع ببلاد هذيل. الأثيل: واد بنواحي المدينة أو هو ذو أثيل بين بدر والصفراء كثير النخل. والأثيل: موضع. وذو المأثول وذات الأثل والأثيلة: مواضع. الإثلب والأثلب «والفتح أكثر»: الحَجَر أو دقاق الحجارة أو التراب» [56].

إن المواقع الجغرافية والمواضع التي ذكرت ضمن هذه الفقرة معظمها مواقع أثرية قديمة تقل

الحاجة إلى معرفتها، وعلى افتراض أنها مهمة ويحسن التعرف عليها لاحتمال ورودها في بعض النصوص الأدبية أو التراثية القديمة عامة، فإن أماكنها المناسبة كما سبق القول هي الموسوعات المعرفية ومعاجم البلدان والمناطق الجغرافية وليس معاجم اللغة. علماً بأن المواقع الواردة في النص ذكرت من دون تحديد أو تعريف أو نسبة إلى أماكنها أو جهاتها الموجودة فيها. وقد خلص المؤلف الجليل معجمه من أسماء الرواة التي اعتاد معظم المعجميين السابقين إيرادها ليبدلها بأقوال وآراء المجامع اللغوية المختلفة، وخاصة مجمعي اللغة بالقاهرة ودمشق. كما أنه تحاشى ذكر اصطلاحات العلوم والفنون على اعتبار أنها خارجة عن اللغة، بينما لم يجد بأساً من ذكر بعض الألفاظ الأجنبية بحروفها اللاتينية الأصلية أحيانا. مما لا يتناسب مع معجم لغوي أحادي اللغة.

لقد ورد في تعريف (الإبزيم): «الإبْزِيم والابزام: ما يكون في رأس المنطقة، أو شبهها له لسان يَدخلُ في الطرف الآخر، ج أبازيم. و-: القُفْل (ز) البخيل (ز) وفسّره مجمع دمشق باللوح المعدني الذي يربُط طرفي الزنار الجلدي. جدول: م د: 107. وفسره مجمع مصر، الحلقة ذات اللسان في رأس المنطقة يدخل فيها الطرف الآخر وهي بالفرنسية Boucle جدول: م م: 74»[57]

ولم يتخلص مؤلف «متن اللغة» من حوشي أو وحشي الكلمات التي لا تلائم العصر. بل إنه أدخل في معجمه من العامي الذي يرجع إلى أصل فصيح ما يصلح لأن يجمع ويصدر في معجم أو كتاب مستقل به. وقد أصدره فيما بعد فعلاً في كتاب مستقل أسماه «رد العامي إلى الفصيح». كما أنه قدم للمعجم بدراسة مستفيضة عن اللغة العربية وعن كثير مما يتعلق بها من موضوعات ومسائل، جاءت في نحو من خمسين (50) صفحة، ولهذه الأسباب والأسباب الأخرى التي مضى ذكرها أصبح معجمه «متن اللغة» ضخماً متعدد الأجزاء ثقيلاً في الاستخدام على الناشئة.

5 - المنجد في اللغة والأعلام

يحتل «المنجد في اللغة» الذي ألف الأصل منه الأب لويس معلوف اليسوعي مكانة كبيرة بين المعاجم العربية الحديثة في العصر الحاضر، رغم ما وجد عليه من مآخذ؛ فقد أعيدت طباعة هذا المعجم مرات عديدة ربما تتجاوز الثلاثين مرة، ولاقى من الإقبال والانتشار بين المتعلمين وبين خاصة المثقفين وعامتهم ما لم يلاقه أي معجم عربي آخر حتى وقتنا الراهن. والحقيقة أن لهذا الإقبال وهذا الانتشار أسبابه ومبرراته الكثيرة.

لقد استفاد مؤلف «المنجد» ومن خَلفه في الإشراف عليه مما توصلت إليه المعاجم الأوربية الحديثة من تطور. وماحققته الحضارة الجديدة من تقدم وازدهار في الطباعة وصناعة الكتاب، ووفق لإخراج معجمه في منهج سهل ميسر، وطباعة عصرية واضحة أنيقة وحجم ملائم نسبياً، ومادة تجمع بين كثير مما يحتاجه المتعلم من مفردات اللغة ومعانيها وصيغها الأصيلة القديمة وألفاظها وتراكيبها ومعانيها الحضارية المستحدثة، هذا بالإضافة إلى مجموعة جيدة من الاصطلاحات التي يحتاج إليها ذوو العلم والاختصاص في عدد من ميادين المعرفة.

وقد اعتمد هذا المعجم طريقة مختصرة مبسطة في الشرح والتفسير والاستشهاد، ونظاماً محكماً في التمييز بين أصول الكلمات وفروعها وفي تصنيف وترتيب المشتقات وتفصيل وترقيم المعاني وما يتفرع عنها. وتوسع في استخدام الرموز فتفادى الكثير من التكرار وتخلص مما يمكن أن يضاعف من حجم المعجم ويزيد من وزنه وثقله على حامله. واتخذ مسلكاً من التوضيح الصوري، يجذب المراجع دون أن يلهيه أو يشغله أو يصرفه عن الكلمة ومعناها الموضح كتابة. فضم إلى المعجم مجموعة من اللوحات الملونة والرسوم أو الشرائح واللقطات والمشاهد المصورة التي تساعد على تحديد أو توضيح بعض المفاهيم أو المعاني الدقيقة، وجعلها في أطر رشيقة تتخلل كل باب من أبواب الكتاب، مشيراً في المتن إلى مدلول الكلمة المصور فيها.

بهذه الإجراءات أصبح العثور على الكلمة وتحديد معناها في هذا «المنجد» أمراً سهلاً على كثير من المتعلمين وعامة المثقفين فضلاً عن خاصتهم، قياساً إلى المعاجم المتوفرة الأخرى، ولاسيما القديمة منها. إذ لا يجدون فيه ما ينفرهم منه أو يصدهم عن الرجوع إليه، ولا يلقون كبير عناء في التعرف على منهجه. بل إن منهم من يجد في وفرة كلماته وبساطة شرحه وطرافة عبارته ودقة ترتيبه للألفاظ ما يشده إليه ويدعوه إلى تفضيله على غيره من المعاجم الحديثة، وهذا ما لمسته وألمسه شخصياً لدى عدد كبير من تلاميذي في مساق المعاجم والمصطلحات الذي أتولى تدريسه.

ولقد زاد من إقبال كثير من المعلمين والمتعلمين على المنجد الفصل القصير الذي ضم إليه تحت عنوان: «فرائد الأدب في الأمثال والأقوال السائرة عند العرب»، ثم الجزء الذي ألحق به فيما بعد بعنوان: «المنجد في الأدب والعلوم» أو «المنجد في الأعلام»، اسمه الآخر الجديد. فقد جاء هذا الملحق بمثابة معجم آخر مختصر لأعلام الشرق والغرب، وموسوعة لمعارف وحقائق جغرافية وتاريخية وسياسية وأدبية وفكرية كثيرة، زينت بالرسوم والجداول والخرائط واللوحات الفنية الملونة

وغير الملونة. وبذلك أصبح «المنجد» بجزأيه في نظر هؤلاء كتابين في كتاب واحد، وسفراً مشوقاً، يختصر الطريق إلى المعرفة لغة وفكرا، ودائرة معارف مصغرة يستمدون منها الكثير مما يحتاجون إليه من مفردات اللغة ومن المعارف والمعلومات. وإذا كانت هذه المعارف مقتضبة موجزة وهذه المعلومات قليلة أو غير مفصلة، فهذا هو المطلوب في هذا العصر، عصر السرعة وعصر الملخصات والمختصرات والاختزال والزهد الثقافي عامة.

رغم ما لمعجم «المنجد» بجزأيه من خصائص إيجابية من حيث المنهج ومن حيث الطباعة والإخراج والمنفعة، ورغم سعة انتشاره وملاءمته لمستويات طوائف كثيرة من المتعلمين، ورغم عناية المشرفين عليه والقائمين على إعادة طبعه وإخراجه وعملهم الدائب على تنقيحه وتطويره وإثراء مادته، فلا تزال عليه مؤاخذات كثيرة، سواء من حيث مادته اللغوية وطريقة عرض هذه المادة وتمحيصها وضبطها، أم من حيث مادته الموسوعية المعرفية المتمثلة في جزئه الثاني الملحق به تتبعها وأحصاها عدد من الدارسين والمهتمين باللغة والمعرفة خلال الأعوام السابقة[58].

ومن أبرز ما أخذ ويؤخذ عليه من حيث مادته اللغوية احتواؤه على كثير من الألفاظ الأجنبية والعامية الإقليمية والاصطلاحات المسيحية، دون الإشارة إلى أصولها ومواردها ومواطن استعمالاتها. مما يوهم الناشئ أو المتعلم الغر بأنها ألفاظ عربية سليمة أصيلة قابلة للاستعمال في أي نشاط لغوي فصيح، بينما هي في حقيقتها دخيلة على اللغة، أجنبية عنها، غير معترف بها أو غير مصادق عليها من قبل المؤسسات اللغوية القومية، وليست مقبولة في مجالات التعبير الفصيح. أو أنها ألفاظ واصطلاحات طائفية أو محلية خاصة لا يحسن استعمالها إلا في بيئتها المحددة وليس محلّها معجم لغوي عام وإنما معاجم اللهجات المحلية..

لقد أورد أحد الباحثين ضمن ما ذكره من أغلاط المنجد في طبعاته الأخيرة نماذج تؤكد ما سبق لنا ذكره قائلاً : «أما الأعجمي والعامي من اللفظ فلست أدري كيف يذكر في معجم عربي.. ولقد أصر الذين يريدون خدمة اللغة العربية من أصحاب المنجد على كتابة مثل: برنيطة، برنس، بارامون، بيّرمون بالون، بروتستو ومشناه برتستوان والجمع بروتستوات، البريفه ـ وهي على حد قول المنجد ـ الشهادة الابتدائية العليا !!، البزبورط أو البسابورط، البسطرما، البسكوتي، البسيكلوجيا، البطّارية، البكلة، البخت، البصّارة، البطرشيل، البكالوريا، البكليك، البلاستيك، البلطة، البلطجي، البنجرة، البنزين، بنطلون، البنك، البورصة، بولفار، بوليس، بوليصة، البيجاما،

البيّادة، البيداغوجيا، البيرة، بيك.

وهذه الألفاظ كلها من باب واحد هو حرف الباء، وأنت واجد مثلها في كل مادة من مواد هذا المعجم اللغوي المختصر!! الذي وضع ليعلم الطلاب وغيرهم اللغة العربية الشريفة»[59].

لاشك أن المشرفين على إصدار «المنجد» قد عملوا على تنقية طبعاته الأخيرة من بعض الألفاظ المشار إليها في إطار جهودهم الدؤوبة لإصلاح الأخطاء الموجودة فيه، كما أن طائفة من هذه الألفاظ أو ما شابهها قد أصبحت مألوفة الاستعمال جارية على الألسن غير مرفوضة، إلا أن مجموعة أخرى منها ما تزال موجودة في المعجم بنحو يبدو أنه غير مصادق عليها أو على معانيها من قبل المؤسسات اللغوية العربية المعتمدة، مما يقتضي توجيه المتعلمين من قبل من يقوم على تعليمهم أو تنشئتهم إلى تمييزها والتنبه إليها والتثبت في استعمالها قي حال رجوعهم إلى هذا المعجم.

ومما يؤخذ على الملحق المعرفي المرفق بالمنجد تركيزه على المعلومات المتعلقة بالمسيحية والمسيحيين من جانب وعدم وثاقة كثير من المعلومات والحقائق المتعلقة بالإسلام والمسلمين وعقائدهم ومقدساتهم ورجالاتهم من جانب آخر، وهذا هو الجانب الخطير في هذا المعجم.

يعتقد أن الأخطاء المتعلقة ببعض المعلومات والحقائق والأفكار والتعاليم الإسلامية المدونة في هذا المعجم متعمدة ومقصودة، قد أريد بها التحريف والتشويه والإساءة لسمعة المسلمين أو النيل منهم، ومع أن هذا غير مستبعد، فإن من المرجح أن يكون معظم هذه الأخطاء ناشئاً عن اعتماد مؤلف هذا الملحق؛ الأب (فرديناند توتل) ومن خَلفه في التصنيف والإشراف والإخراج وكلهم من المسيحيين على مصادر مسيحية أجنبية أو عربية ثانوية، يكثر فيها التحريف المقصود وغير المقصود. وهذا بالطبع عمل غير سليم من الوجهة العلمية. فقد كان من المفترض أن يرجع ذلك الفريق «من رجال الاختصاص» الذين عكفوا على تصنيف المنجد أو تنقيحه إلى أمهات المصادر، وأن يستقوا معلوماتهم ومعارفهم من مظانها الأصلية الموثوقة الصافية، وأن يكونوا أمينين على تراث أمتهم، مخلصين في أداء أمانتهم.

ومهما كانت أسباب الخطأ أو التحريف في المعلومات والحقائق المذكورة فإن «للمنجد» بهذا الخطأ والتحريف على النحو المذكور له آثاره السيئة على ناشئة المسلمين وعامة مثقفيهم، ممن

يعولون على المعجم ويعتبرونه حجة، لاعتقادهم بوثاقته وصحة ما يذكر فيه. بل إن له آثاره الخطيرة على واقع المسلمين عامة. وبها يصبح هذا الكتاب سلاحاً ذا حدين، إلا لدى من استعمله بروية وتثبت وحذر.

أما من حيث إخراج «المنجد» وشكله، فإنه على الرغم من جمال طباعة هذا الكتاب وحسن ورقه ودقة حروفه ونصاعة صوره، فإن الخط فيه صغير، قد يرهق بصر الباحث أو يتعبه، كما أن الاشتقاقات المميزة باللون الأحمر الفاتح تبدو باهتة في بعض طبعات الكتاب إن لم يكن كلها، وقد يضيق بذلك كله من ضعف بصره أو قل حلمه فيتباطأ في الرجوع إلى المعجم أو يعزف عنه كلية.

وقد أحسن الأب لويس معلوف بأن جعل معجمه خاصاً بمفردات اللغة، وأحسن خلفاؤه من بعده بأن جعلوا الجزء الخاص بالمعارف العامة في ملحق مستقل، إلا أن حجم المعجم بهذا الملحق مع ذلك أصبح فيما بعد ضخماً ثقيلاً على كثير من المتعلمين، وربما لم يعد من المقبول لدى عامة المتعلمين أن يبقى «المنجد» معجماً للغة وموسوعة معرفية عامة في آن.

إن مفردات اللغة في نمو وتزايد مستمر، والمعارف في تشعب وتفرع وتطور واتساع دائم، فإما أن يقف المعجم عند حده في التوسع ليبقى حجمه في وضعه المرضي، أو أنه يساير تطورات الحياة ويستوعب مستجداتها اللغوية والمعرفية القادمة، فيتجاوز بذلك حجمه الحالي شيئاً فشيئاً ليصبح حينها عبئاً على حامله وعملاً شاقاً على مستعمله.

ولقد كنت أتمنى وأنا أرى المنجد يكبر ويزداد ضخامة في طبعاته المتأخرة أن يخرج الجزء الخاص منه بالمعارف العامة، أو ما سمي بـ «المنجد في الأدب والعلوم» أو «المنجد في الأعلام» في كتاب مستقل منفصل عن معجم اللغة الأصلي، ليكون دائرة معارف مختصرة للناشئة، وأن يحذف كذلك الفصل الخاص بالأمثال أو بـ «فرائد الأدب في الأمثال والأقوال السائرة عند العرب»، ويخرج كتاب صغير ملائم لمستويات الناشئة في هذا الباب. وبذلك يصبح «المنجد في اللغة» معجماً لمفردات اللغة وحدها، له استقلاله وله وظيفته الخاصة به، وليس كتاباً للكلمات والأقوال والأمثال والأعلام والخرائط والجداول واللوحات والتواريخ والحوادث والمواضع والمعالم والمدن... فهذه وظيفة دائرة المعارف وليست وظيفة المعجم اللغوي، وإن كان الجزء الخاص باللغة هنا مميزاً

والجزء الخاص بالمعارف جاء على شكل ملحق. لقد كنا نعيب على المعاجم العربية القديمة مثل هذا التوسع والاستطراد المعرفي ومثل هذه الفضفضة، بينما تتكرر هذه العيوب لدينا وتتجدد في معجم حديث في شكل آخر وثوب جديد.

لقد أدرك المسؤولون عن العناية بـ «المنجد» والإشراف عليه الحقائق السابقة الذكر فيما يبدو، وبادروا إلى إخراج هذا المعجم في طبعته (33) الصادرة عن دار المشرق عام 1992م في مجلد واحد خاص باللغة وحدها، وفي قطع أكبر من قطعه المألوف، ونظام أكثر تطورا. فقد أشير إلى الحروف التي عقدت لها الأبواب بإشارات بارزة محفورة في حاشية الكتاب، على نحو ما هو معمول به في المعاجم الأوربية المتطورة، فأصبح تحديد الحرف والفتح على الباب الذي عقد له سهلاً ميسراً لا يتطلب سوى وضع الإبهام عليه.

6 - المعجم الوسيط

إذا كان المنجد قد حظي بإقبال كبير ونال شهرة واسعة في أوساط عامة المتعلمين والمثقفين، فإن «المعجم الوسيط» الذي تم وضعه تحت إشراف مجمع اللغة، وعلى يد هيئة علمية مختصة، قد حظي هو الآخر باحترام خاصة المثقفين وباهتمام كثير من الدارسين من علماء اللغة العربية وغيرهم. حيث عد هذا المعجم من أفضل المعجمات العربية الحديثة جمعاً وترتيباً.

لقد كلف مجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة من خيرة أعضائه بوضع هذا المعجم وإخراجه ومتابعة الإشراف عليه. وقد صدرت الطبعة الأولى منه عام 1960م في جزأين كبيرين يحتويان على 1200 صفحة من ثلاثة أعمدة، واشتمل على نحو 30 ألف كلمة.

حرصت اللجنة المكلفة بإصدار هذا المعجم على أن تجعل منه معجماً مميزاً، متمشياً مع سير الحياة وتطوراتها، مواجهاً لحاجات العصر ومقتضياته، وافياً بمعرفة معظم ألفاظ اللغة ودلالاتها المختلفة. يمد القارئ المثقف بما يسد حاجته ويسعف الدارس الحديث بما يعينه على فهم نص قديم من المنثور أو المنظوم، وأن يكون بالإضافة إلى كل ذلك محكم الترتيب والتبويب، دقيق الضبط، ميسر الشرح، سلس التعبير، قريب المأخذ، سهل التناول. وقد وفقت اللجنة في تحقيق بعض أهدافها، وجاء المعجم متابعاً التطورات العصرية الحديثة إلى حد كبير، مواكباً لتطلعات المجمع في تيسير وتطوير اللغة ومسايراً لما وضعه من قواعد ومقررات، متصفاً بخصائص

ومزايا جيدة من أبرزها:

1 - لقد انتقيت مواد المعجم وصيغت على وفق قواعد مجمع اللغة وقراراته، كما سبقت الإشارة، وفتح المجمع باب الوضع للمحدثين وعمم القياس فيما لم يقس عليه وحرر السماع من قيود المكان والزمان، وسوى في الأهمية والاعتداد بين الألفاظ القديمة المأثورة والألفاظ المولدة الحديثة. وعلى ضوء ذلك جاء المعجم ثرياً في مادته، جامعاً بين قديم ألفاظ اللغة وجديدها، مشتملاً على الكثير مما يحتاج إليه الدارس المعاصر من الألفاظ والصيغ القديمة، متضمناً طوائف كبيرة من المصطلحات العلمية والفنية والكلمات الدخيلة وألفاظ الحضارة التي أقرها مجمع اللغة والألفاظ والصيغ الدخيلة والمولدة والمحدثة التي ارتضاها الأدباء والشعراء فتحركت بها ألسنتهم وجرت بها أقلامهم بلغت نسبتها (9%) من مجموع مواد المعجم، كما أحصاها أحد الباحثين[60]، هذا بالإضافة إلى احتوائه على مجموعة مما هو متداول بين أرباب المهن والحرف والأعمال في عصرنا الحاضر من الألفاظ التي انحدرت من أصول فصيحة، أو جرى عليها بعض التحوير أو التحريف الذي لا يخرجها عن أصلها. بينما حذف منه في الوقت نفسه كثير من الألفاظ الحوشية والغريبة الجافية التي تضمنتها المعاجم العربية القديمة، وإن يكن قد بقي فيه قسم آخر منها.

2 - جعلت كل مادة من المواد الأساسية وكل صيغة متفرعة عنها بين قوسين ووضعت في بداية سطر لتمييزها من غيرها وعن الشروح والمعاني الواردة لها، وبذلك أصبح من السهل على المراجع تحديدها أو العثور عليها.

3 - وضع المعجم على أساس النظام الهجائي الجذري الذي ترجع فيه الكلمات إلى أصول ثلاثية وتصنف حسب أوائل هذه الأصول. وقد روعي في تدرج وضع المواد طريقة خاصة تتلخص في تقديم الأفعال على الأسماء وتقديم الأفعال المجردة على المزيدة واللازمة على المتعدية وتقديم المعاني الحسية على العقلية والمعاني الحقيقية على المجازية. وهذا الإجراء يخدم القارئ العارف به بلاشك، إذ يسرع به في تحديد موقع اللفظة أو الصيغة اللغوية المطلوب معرفة معناها.

4 - عززت طائفة كثيرة من الشروح والتفسيرات بالشواهد من القرآن الكريم أو الأحاديث

النبوية الشريفة أو الأمثال العربية والتراكيب البلاغية المأثورة عن فصحاء الكتاب والشعراء. ومن الملاحظ أن هذه الشواهد في الغالب قصيرة، لا تستوعب الكثير من مساحة المعجم، كما أن الكثير منها مبسط مفهوم، رغم وجود بعض ما يمكن النظر فيه والتحفظ عليه في ذلك، مما سنشير إليه لاحقا.

5 - اشتمل المعجم على طائفة من الرسوم التوضيحية لتحديد بعض المعاني الدقيقة، ولاسيما ما يتعلق منها بالطيور والنباتات والأدوات الحديثة.

6 - حددت نوعيات ومصادر مجموعة من الكلمات ذات الأصول الأجنبية. كما استخدمت الرموز للتمييز بين المولد منها والمعرب والمجمعي والدخيل من الألفاظ، واستعيض بخط (ـــ) عن تكرار الكلمة لمعنى أو استعمال جديد، واعتمد في ضبط عين المضارع بوضع الحركة على خط مثله (ـُ)، مما قلل من ضخامة المعجم.

مع ما حفل به «المعجم الوسيط» من مزايا وما لاقاه في طبعته الأولى من إقبال كبير بين فئات المثقفين من أبناء العربية، وما حظي به من قبول حسن لدى كثير من المختصين، فإنه لم يخل من المآخذ، فقد تعقبه عدد من رجال اللغة والأدب بالدراسة والنقد والتمحيص والتدقيق محتوى ومنهجاً وأسلوباً، بل لم يسلم حتى من الهجوم والاتهام بالهزال والقصور وعدم الفاعلية أو الصلاحية[61]. وربما كان من أخف الانتقادات أو الملاحظات عليه حدة وأهدئها لهجة اعتباره مجرد تلخيص لمعجم «لسان العرب» مع الإقرار بنسبة جيدة من التجديد فيه، أو اعتباره صورة مهذبة مشذبة للمعجم القديم[62]، ومهما كان من أمر الحكم عليه ومن إفراط أو تفريط في تقديره فقد عد عليه البعض الكثير من الهفوات والأخطاء. وكان من أبرز من تعقب مواده ودرس خطته وأسلوبه بنحو موسع ودقيق، وأبدى ملاحظاته وآرائه فيه الدكتور عدنان الخطيب في كتابه «المعجم العربي ونظرات في المعجم الوسيط» الذي أخرجه مجمع اللغة العربية بدمشق[63].

وقد حرص القائمون على وضع المعجم وإخراجه بلاشك على الاستفادة من الآراء والملاحظات والمقترحات التي طرحت حوله وتلقوها بجدية واهتمام وصدر رحب وروح علمية مرنة، وأعادوا طباعة المعجم بعد معاودة النظر فيه وإدخال كثير من التعديلات عليه. غير أن المعجم رغم كل ذلك لم يسلم في طبعته الثانية أيضاً من العثرات والهفوات، إذ ما تزال تشوبه

بعض الأخطاء وتعلق به بعض رواسب الماضي التي لحقت بعدد من المعاجم الحديثة الأخرى، ومن أبرز ما يمكن أن نسجله من ملاحظاتنا الخاصة على هذا المعجم في واقعه الفعلي ما يأتي:

1 - وردت في المعجم تحت شعار «الأخذ بما استقر من ألفاظ الحياة العامة والإقرار بكثير من الألفاظ المولدة والمعربة الحديثة»[64] كلمات دخيلة كثيرة توجد لبعضها بدائل فصيحة من أصل اللغة، كما وردت كلمات أخرى محدودة في إدراك مدلولاتها بحدود إقليمية أو محلية ضيقة مثل: (الإبزيم، الإبليز، أبيس، البشنين، البشكير، بلاّص أو البلاّصي، البشملة، والنيلوفر. برنيطة، بروتستو، البكلة، البخت، البصّارة، البلطة، برنيقا، برواز، كنبه، كرباج، كاست، القازوزة أو الكازوزة، الإصطفلين، الطرشول...) وغير ذلك مما عيب وجوده من ألفاظ في بعض المعاجم الحديثة السابقة الذكر.

2 - لا يؤخذ بعين الاعتبار بنحو دائم في المعجم المذكور التدرج الصحيح أو المألوف عملياً في ذكر معاني الكلمات أو مرادفاتها أو استعمالاتها، أي بعبارة أخرى لا يراعي مستوى الشيوع ومقدار الأهمية في تواليها، وذلك للتدرج التقليدي الذي اعتمده من تقديم الحقيقي على المجازي والمادي على المعنوي واللازم على المتعدي وما إلى ذلك مما يهمل أو يتجاهل قضية شيوع المعنى أو الاستعمال في كثير من الحالات. وكشاهد على ذلك نسوق المثل التالي في تفسير مادتي (حَوَاريّ) و(حُور).

ورد في المعجم: «(الحَوَارِيّ): مُبَيِّض الثياب. والذي أخلص واختير ونقي من كل عيب. والصاحب والناصر. (ج) حَواريون. والحَواريون: أنصار عيسى عليه السلام. [و] (الحُورُ): النقص والهلاك. ويقال: إنه في حور وبور: في غير صنعة ولا إجادة، أو في ضَلال. والباطل في حُور: في نقص وتراجع و(حُور) جمع حوراء. و(الحُور) خشب أبيض اللون، له مظهر متجانس، يستعمل في صنع ألواح خشب الطبقات: [الأبلكاش]..»[65].

لقد بدأ في تفسير كلمة (الحَوَارِيّ) بعبارة (مُبيّض الثياب) جرياً على ما هومتبع فيه من تقديم المعنى الحقيقي على المعنى المجازي، بينما المعنى أو التفسير الثالث والمعنى الثاني أكثر شيوعاً وأكثر استعمالاً في عصرنا الحاضر من المعنى الأول، ويدل على ذلك الاكتفاء بذكرهما في «المعجم الوجيز» الذي أصدره مجمع اللغة العربية نفسه عقب إصداره لـ «المعجم الوسيط» مكتوباً ـ كما

نص في مقدمته ـ بروح العصر ولغته ميسراً اللغة لطالبها بعيداً عن الحوشي والغريب(66)

أما في تفسير مادة (حُورُ) فـقـد قدم معنى (النقص والهلاك) على المعاني الأخرى التي تلته، مع أن المعنى الأخير منها (خشب أبيض اللون، له مظهر متجانس) أكثر شهرة وأقرب استعمالا من غيره في عصرنا الحاضر، ويدل على ذلك أيضاً وروده نفسه في «المعجم الوجيز» وعـدم ورود المعاني الأخرى المذكورة. وهكذا أصبح التزام تقديم الحقيقي على المجازي هنا عائقاً في ذكر الأهم على المهم أو تأخير الشائع الذي يمهد لمعرفة الغريب أو القليل الاستعمال.

3 - وردت في المعجم بعض الكلمات المفسِرة والشروح والشواهد التوضيحية الغامضة التي تحتاج هي نفسها إلى إيضاح أو تفسير. فقد جاء على سبيل المثال من معاني (السلفة): «غرلة الصبي». و(الإطنابة): سير يُعقد إلى الإبزيم، و(الرأم): البَوّ...

وجاء في تفسير كلمة اخْتَلَطَ: «(اخْتَلَطَ) عقْلُهُ: فسَد. و- الشيءُ بالشيء: خالطه. ويقال: اختلَطوا في الحديث: اشتبكوا. وفي المثل: «اختْلطَ الخاثِرُ بالزُّبّاد»: يضرب للقوم يقعون في التخليط من أمرهم». كما جاء في تفسير كلمة أجذى: «(أَجْذَى) الشيءُ: ثبت قائماً. فهومجْذ. وفي الحديث: «مثل المنافق مثل الأرْزة المُجْذية على الأرض حتى يكون انجعافها بمرّة». و- الفصيلُ: حَمَلَ في سنامه شحماً. و- الإنسان وغيره عنه: جَذَاه. و- الحَجر: رفَعَهُ. وفي حديث ابن عباس: «مرّ بقومٍ يُجْذُون حجراً». و- طَرْفَهُ: نَصَبهُ ورمى به أمامه».

الكلمات (غرلة) في المثال الأول، و(الإبزيم) في المثال الثاني و(البَوّ) في المثال الثالث يغلب أن تكون كلها غامضة على من لا يعرف معنى الكلمات الأخرى المفَسِّرة، وربما كانت أكثر منها غموضاً وغرابة، ويحتاج المراجع لأن يبحث عنهما في مكانهما من المعجم أولاً ليعرف قريناتها المفَسّرة. أما المثل الذي ذكر في المثال الرابع «اختْلطَ الخاثِرُ بالزُّبّاد» فإنه يشتمل على كلمتين لاشك أنهما أكثر بعداً وغرابة في معناهما واستعمالهما بالنسبة للقارئ العادي من كلمة (اختلط)، وهما «الخاثِرُ» و«الزُّبّاد». وبذلك يحتاج القارئ لمعرفة معنى كل منهما ليدرك مضمون المثل وفحواه التام. وعبارة «حتى يكون انجعافها بمرّة» الواردة في الحديث الموضح لكلمة (أجذى) عبارة يشوبها الكثير من الإبهام والتعقيد لوجود كلمة (انجعاف) الغامضة فيها، ووضعها في صياغة مبهمة لا جدوى منها بالنسبة للقارئ، بل إنها قد تشغله بالتفكير في

مضمونها فتصرفه عن المعنى أو اللفظ المطلوب..

4 - ومما قد يلحق بما سبق بيانه في الفقرة السابقة، ذكر بعض التفسيرات الدورية التي اعتادت عليها المعاجم العربية القديمة: مثل قول المعجم: «النطسة: الكثير التنطس. و«خنب فلان ـ خَنَباً، أصابه الخَنَب». و«حصِبَ الطفل ـ حَصَباً: أصابته الحَصبَة فهومحصوب». و«حشِكَ الحيوان ـ حَشَكاً: قضِمَ الحشيكة، فهوحَشِك». و«خُلع: أصابه الخالع»...

وقد يقال إن الكلمات المفسرة التي ورد ذكر أمثلة لها ليست غامضة لسبق تفسيرها ضمن اشتقاقات أصولها، إلا أنه يمكن القول كرد على ذلك: بأن ذكر الصيغة التي سبق تفسيرها لتوضيح صيغة أخرى يحوج القارئ لأن يبحث عن معنى الصيغة الأولى، ليتعرف على معنى الصيغة الثانية، وقد تكون هذه الصيغة غير قريبة، مما يحوجه إلى العودة لاستعراض كل الصيغ المذكورة للكلمة واستغراق وقت وجهد مضاعف في ذلك.

5 - لم يتخلص هذا المعجم من الألفاظ الحوشية والغريبة الجافية، خلافاً لما نصت عليه مقدمته، وما نصت عليه قرارات المجمع اللغوي في هذا الصدد، وإن يكن قد تخفف منها نوعاً ما في طبعته الأخيرة ، وقد أثبتت ذلك دراسات إحصائية ودراسة مقارنة قام بها بعض الباحثين[67] كما كشفت عنه دراستنا الفعلية لهذا المعجم. فقد عثرنا في أثناء بحثنا فيه بالفعل على مجموعة كبيرة من الكلمات التي يندر أو يبعد استعمالها، إما لغرابتها أو غرابة معانيها وعدم تداول مدلولاتها في هذا العصر، أو لجفاوتها وثقلها ووجود بدائل لها أخف وقعاً وأحلى جرساً وأحسن قبولاً. وذلك مثل: تبرقط ، انبَعَقَ، الجَعثَن، الدرابس، السُّبَيطر، سجنجل، استشزر، تطحطح، طخواء، أعلوط، الإعليط، العلطة، والعلبط، العنظاب، الفَيلَم، تفَشّق، القُحارية، النقاخ، الهرجول، الهرشقة، الهفنق، والهقلس، الهلقام، الهيذان، الهيذام، الهيذَم، الهذاهذ، الهَيزَعة، الهمرش... لقد ندر استعمال مثل هذه الكلمات حتى في النصوص العربية القديمة، فضلاً عن النصوص الحديثة.

6 - في الوقت الذي ينحو المعجم فيه إلى الإيجاز في التعريف والتفسير والاستشهاد، فإنه يتضمن من المعارف والشواهد والتفصيلات مايمكن الاستغناء عنه، أو ما يجدر أن يكون

مكانه في غير المعجم اللغوي العام. مثل تفصيل المعجم في التمثيل والشرح والتعداد لحالات استعمال (بل) أو استعمال (ما) وغيرها مما يفترض أن يكون محله في كتب النحو والصرف... ومثل ذكره لشواهد شعرية توضح معنى كلمة (صحن) أو كلمة (فوضى) وما شابهها من الكلمات التي لا يحتاج معناها في الأساس إلى تفصيل في الشرح أو التفسير، لوضوحه وكثرة تداوله، فضلاً عن الاستشهاد بالأمثلة الشعرية عليه.

7 - لا يواكب هذا المعجم التطورات المعنوية للكلمات والتغيرات الحاصلة في استعمالاتها بنحو متتبع دقيق كاف. فكلمة «المناوشة» على سبيل المثال لم تثبت، واكتفي بتثبيت فعلها. ولم يشر إلى المعنى المتداول لها في الوقت الحاضر، وهو «التنازع الكلامي أو المبارزة والمشادة الكلامية»، عند ذكر فعلها. وقد ذكر هذا المعنى في المعجم العربي الأساسي الذي سيجري الحديث عنه لاحقاً.

8 - معظم الطبعات المتوافرة في الأسواق لهذا المعجم لا تصل في مستواها من الجودة والدقة إلى ما وصلت إليه معظم المعاجم اللبنانية الحديثة، من جودة الورق، وبروز الحروف ودقتها ووضوحها. كما أن الطبعات التي صدر فيها المعجم في جزء واحد لم تميز فيها المداخل على نحو جيد. فهي إما مميزة باللون الأحمر الباهت الذي تختلط فيه الرؤية أو محاطة بأقواس غير بارزة، ومشابهة في لونها الأسود العادي للون الكلمات أو العبارات الشارحة، مختلطة بها، مما يصعب تمييزها عنها أحياناً.

7 - الرائد

لقد صدر معجم «الرائد» لجبران مسعود في طبعته الأولى عام 1965م، في جزأين متوسطي الحجم يحتويان على 1638 صفحة من عمودين. ويعد «الرائد» أول معجم حديث وضع على وفق النظام النطقي وصدر كاملاً. فقد خطط عبد الله العلايلي لمعجم لغوي علمي وسيط له سماه «المرجع» أن يسير على وفق هذا النظام، ولكنه لم يكمل من هذا المعجم إلا جزءاً واحداً صدر في عام 1963م، وقد رتبت الأسماء والمصطلحات فيه حسب أوائل حروفها، أصلية كانت أو مزيدة.

ولقد أريد لهذا المعجم أن يكون معجماً عصرياً متجدداً، «يحدث انقلاباً في المظهر ويساعد

على تطوير الجوهر»، كما يقول مؤلفه، ويكون ملائماً لروح العصر ملبياً لحاجاته ومتطلباته، متمشياً مع الحياة الجديدة ومستفيداً مما حققته هذه الحياة من معطيات ومن تفاعل وتلاقح حضاري، مستضيئاً بما أحرزته الأمم المتقدمة من تطور في صناعة المعجم. يسهم في سد بعض الثغر التي تؤخذ بها معاجم العربية التقليدية ويساعد على «إحياء العربية وإغنائها وتقريبها وخدمة مريديها والقضاء على عقوق أبنائها»[68]

وتحقيقاً للأهداف السابقة الذكر فقد رتبت الألفاظ في «الرائد» بحسب نطقها، على غرار المعاجم الأوربية الحديثة، وبذلك فلا يرى المتعلم فارقاً في التناول بين هذا المعجم وبين معاجم اللغة أو اللغات الأجنبية التي قد يكون اعتاد على استعمالها في مجال من مجالات تخصصه، ولا يجد صعوبة في الكشف عن الكلمات فيه؛ إذ سوف لا يحوجه ذلك إلى تجريدها ولا إلى النظر فيما هومقلوب أو معلول أو مبدل من حروفها، وإنما سيجدها فيه كما يتلفظها. وقد غير في جوهر هذا المعجم ومادته كما غير في شكله ومنهجه. فأضيفت إلى الألفاظ القديمة فيه ألفاظ وصيغ واشتقاقات واصطلاحات جديدة من فروع علمية وفنية شتى، ووضعت إلى جانب المعاني الموروثة معاني ومفاهيم أخرى مستحدثة، وإلى جانب الاستعمالات العربية الفصيحة المعروفة استعمالات غيرها مولدة ودخيلة وعامية أيضاً. وبسطت أو اختصرت الشروح ونظمت المعاني ورقمت متسلسلة بحسب أهميتها أو أفضلية شيوعها، وحذفت الشواهد إلا ما ندر، وزود المعجم بطائفة من الرسوم والصور الموضحة.

لا ينكر أن هذا المعجم في وضعه الحالي وطبعته المشار إليها مقبول الحجم نوعاً ما، جيد الورق واضح الحروف إلى حد ما، ميسر المنهج، سلس الطريقة، سهل الاستعمال، متضمناً مجموعة جيدة مما يحتاج إليه المتعلم في هذا العصر من الألفاظ والصيغ والاصطلاحات العلمية والفنية والحرفية، وبعض المعاني المدرجة فيه ــ وليست كلها ــ منظمة إلى حد ما، كما أراد لها صاحب المعجم. ولكن هذا المعجم مع ذلك كله وبرغم تأخر وضعه زمناً، فليس فيه ما يميزه من المعاجم العربية الحديثة السابقة الذكر، أو يجعله متفوقاً عليها. فلم يستفد مؤلفه من الأخطاء والهفوات والهنات التي وقع فيها سابقوه بالقدر الكافي، ولذلك خرج معجمه مشابهاً لمعاجمهم، إن لم يكن قاصراً عنها. لا يُعدّ «الرائد» رائداً في التزام المنهج النطقي رغم ما عليه من المآخذ؛ لأن «المرجع» للعلايلي سابق له في اعتماد هذا المنهج على نحو ما ذكرنا.

كما أنه لا يُعدَ رائداً بشروحه وتفسيراته المبسطة وعباراته القصيرة ومعانيه المرقمة ورسوماته الموضحة والاستغناء فيه عن الشواهد؛ لأن «المنجد» للويس معلوف يعد مشابهاً له في هذه الصفات إلى حد كبير، مع تميز «المنجد» عليه بالدقة والإحكام والعمق في التحديد والتعبير والاستقصاء وفي التتبع والسعة والإحاطة. بل وحتى في الحشو الكثير من الكلمات الدخيلة والعامية العربية والتراكيب والاستعمالات المحلية الشامية لا يعدّ «الرائد» رائداً فيه ! فقد سبقه لمثل هذه (المنقبة !) قرينه «محيط المحيط» للبستاني. وعلى النقيض من ذلك، فإن في «الرائد» نقصاً في المادة وقصوراً في التتبع والاستقصاء والتثبت والعرض لم يسبقه إليه معجم آخر. هذا إضافة إلى ما يحتويه من الأخطاء والهفوات التي ألفنا وجودها في كثير من المعاجم القديمة والمعاجم التقليدية الحديثة الأخرى. ويمكن أن نشير فيما يلي، وبنحو سريع مجمل إلى أبرز ما في هذا المعجم من الهفوات ونواحي القصور:

1 - لقد أقحمت في هذا المعجم أعداد كبيرة من الاشتقاقات والصيغ المخترعة والأوزان والمعاني الغريبة المصطنعة، التي نتجت عن تطويع بعض الألفاظ تطويعاً خارقاً للذوق أو خارجاً عن المقاييس والنظم الصرفية المألوفة أحياناً. من مثل: أتْأب، إتأس، إتّقف، تَبالغَ التبْذار، التَبَختُريّة، إنقَعصَ، إنقعشَ، تَحَترَشَ، تَبرقَحَ، التَفَاريج. التَلمّاضَة. المنازيح (أي النازحون)، الكييكة (مصغّر كيكة)، ومثل: «اتّكرَ اتّكاراً: الطائر اتخَذَ وكراً». و«تَبربَرَ: كان كالبربر». و«التُبرَة واحدة التّبر». أي الذهب، و«تَبرْقَطَ تبرقُطاً. (ب ر ق) وقع على قفاه». واستبلَى بمعنى اختبر، واستبغَى بمعنى طلب واستجافَ، بمعنى وجده أجوف، واستخرَبَ بمعنى خرب أو انكسر وثقب واشتاق، واستخرَطَ استخراطاً في البكاء أي اشتد فيه واستنهر بمعنى جرى بقوة كالنهر أو اتخذ له مجرى كالنهر... وما إلى ذلك من الصيغ والأوزان والجموع، مما لا يوجد له أصل صريح في متن اللغة الفصحى، أو لا يستساغ في الاستعمال. أو ما لا ضرورة لوضعه وإقحامه، لوجود بدائل له أفضل وأكثر منه تلاؤماً مع الذوق العربي ومع جرس كلمات العربية وحروفها.

2 - ومع ما ينادي به جبران مسعود من حماية الفصحى من الأخطار الداخلية والخارجية وما يظهره من غيرة على اللغة واهتمام بألفاظها وصيغها الفصيحة الأصيلة[69] فقد حشد في معجمه بحجة التجديد الكثير من الكلمات الأعجمية الدخيلة التي لم تقرها المجامع

اللغوية، أو التي لا ضرورة لاقتراضها لوجود بدائل صالحة لها في الأصل أو في ما سبق اقتراضه أو إيجاد مقابل له، من مثل: كمنجة، والأفوكاتو، والبوظة، والبسيوكولوجيا، برنيطة، بارامون، البريفه ـ البطّارية، البسطرما، البطرشيل، كتخدا... كما حشد الكثير من الألفاظ العامية والتراكيب والمعاني والاستعمالات المحلية، ولاسيما عامية البلاد الشامية، مما هو غير معروف أو غير مأنوس أو غير مستعمل في بلدان عربية أخرى مثل: البرشان، النربيج، التأمورة، بشتختة، برشامة، الخردة، والخردجي، الخُدُقة، الطبنجة، والميجرة، والميجنة، الغرزال، طلاّسة... وغير ذلك مما لا سبيل في هذا المجال إلى إحصائه وحصره أو التفصيل في الدلالة أو الاستشهاد عليه.

الكلمات الأعجمية أو العامية السابقة الذكر أدرجت في المعجم خلافاً لما قرر المؤلف من أن تكون الألفاظ الجديدة المضافة إلى المعجم «صحيحة النسبة للعربية»، إذ لا مبرر أو ضرورة لنسبتها للعربية. كما أنها ليست كما يقول مؤلف المعجم: من «ما لا يمكن إغفاله أو طرحه»(70)

وإذا كانت المعاجم الأخرى قد فرقت بين الأصيل والدخيل وميزت بين العامي والفصيح من الألفاظ، وأشارت إلى غير القياسي من الصيغ والأوزان أو اتخذت لكل من ذلك رمزاً خاصاً إن لم تبينه صراحة، فإن معجم «الرائد» لم يشر إلى ذلك لا من بعيد ولا من قريب، فبدت فيه الكلمات والصيغ والأوزان مختلطة، في فوضى لا يبين فيها أصل اللفظ ولا مصدره، ولا يعرف عند غير الخبير ما إذا كان منحدراً من أصل الفصحى أو وافداً عليها أو مصطنعاً مقحماً فيها. وقد يستعمله الطالب الغر أو يستعمل صيغة من صيغه وفرعاً من فروعه في تعبير له بناء على أنه فصيح، فيظهر خلاف ذلك ويكون غير مستساغ أو غير مقبول عند من يعرف اللغة.

إن اصطناع الصيغ والأوزان جائز إذا كان جارياً على أصول ثابتة معترف بها لدى المؤسسات اللغوية القومية، واقتراض الألفاظ الأجنبية مستساغ ومقبول، إذا جرى تحت إشراف سدنة اللغة من علمائها أو أقرّه هؤلاء وكانت اللغة فعلاً في حاجة إليه، ولا يشكل أي خطر عليها. أما أن تزاح ألفاظ اللغة الأصلية وتستبعد أو تهمل، وتحشر الألفاظ الأجنبية والتراكيب والمعاني العامية الكثيرة، وتفرغ الكلمات وتصطنع الصيغ والأوزان كيفما اتفق، وعلى وفق اجتهاد شخصي محض، على نحو ما عمل في «الرائد»، فهذا ليس من الغيرة على اللغة في شيء، إذ إنه لا يحمي

اللغة ولا يصونها، كما أراد الأستاذ جبران مسعود. وإنما يمسخها أو يشوهها ويبين فقرها ويظهرها في نوع من الفوضى.

لقد كان إقحام الأعداد الكبيرة من الصيغ والأوزان والمعاني المصطنعة وحشد الكثير من الكلمات الدخيلة والألفاظ والمعاني العامية المحلية في معجم «الرائد» في الحقيقة على حساب التقليل أو التقصير في استقصاء الكلمات والصيغ والتراكيب العربية الفصيحة، فلو أحصينا هذه الصيغ والأوزان والكلمات التي أقحمت في هذا المعجم لوجدنا أنها تحتل جزءاً كبيراً منه، كان من الممكن أن تحتله أو تحتل قسطاً منه كلمات فصحى أصيلة، قابلة للحياة والتكاثر والتداول تظهر قدرة اللغة ومرونتها وقابليتها على مواكبة تطورات الحياة. فهناك ــ كما يملي الإحساس ويدل النظر الفاحص المتأني ــ الكثير من قديم الألفاظ العربية الفصحى «ما هو دائم الحيوية، لا تعفّيه الأزمنة ولا تدول له أصالة، ولا ينبو عن حاجات العصر» قد أغفل واستبعد من هذا المعجم أو تساهل المصنف في انتقائه أو البحث عنه. ولا سيما أنه اقتصر في مراجعه على عدد قليل محدود، كما يظهر ذلك في مقدمته لمعجمه. بينما هناك كلمات قديمة نادرة الاستعمال أو مهجورة يغلب أن «تنبو عن حاجات العصر».

وردت في المعجم كلمات مثل: الاطاميم: «القوائم» / التّفّان: «الحين، الأوان» / إقلحمّ: «اسبطّر: أمتد / اضطجع / أسرع / استقام» / البلقعي: «من السهام اونحوها: الصافي النصل» / البلهنية: «سعة العيش» / الإسبيداج: «بياض الرصاص» / الزغرُبة: «من الآبار: كثيرة الماء» / افرنقع: «تنحى، عدا عدواً شديداً» / القعطل: «السريع» / العيدف: «القطعة من الشيء» / العيطبول: «المرأة الفتية الجميلة أو الطويلة العنق». إن من المستبعد أو النادر الشاذ بلاشك أن يلجأ إلى استعمال هذه الكلمات بمعانيها المشار إليها في هذا العصر، والواردة في الرائد نفسه، بل يندر أن نجدها في غير النصوص العربية القديمة الجافية أو المتكلفة أو المغرقة في الصنعة..

إن ما أخذنا به «الرائد» من الكثرة في الكلمات الأعجمية الدخيلة والعامية المحلية والصيغ والأوزان المخترعة لا يعني بأية حال من الأحوال الدعوة إلى إغفال الكلمات الدخيلة والاصطلاحات والصيغ اللغوية الوافدة التي لا بدائل لها في متن اللغة، أو لا غنى للغة ولأصحابها عنها، أو لا سبيل لاستئصالها أو تجنب استعمالها، كما أنه لا يعني إغلاق باب الاشتقاق والقياس والتعريب والتوليد وغير ذلك من الطرق الضرورية لتنمية اللغة وتطويرها، وإبقاء اللغة حياة راكدة وكياناً جامداً متحجراً.

3 - ربما كان للمنهج النطقي المتبع في هذا المعجم آثاره الإيجابية في الإسراع في الكشف عن الكلمات إذ لا يحتاج المراجع مع هذا المنهج لاستعراض كل ما يرد للكلمة من اشتقاقات وتصاريف وصيغ ومعان ليصل إلى اللفظ المطلوب، كما هو الحال بالنسبة لما يقتضيه المنهج الهجائي الجذري المتبع في غالب المعاجم الحديثة الأخرى، كما أنه لا يحتاج مع هذا المنهج ـ كما سبقت الإشارة ـ إلى تجريد الكلمات لمعرفة أصولها، ولا إلى معرفة الجامد من المتصرف أو المزيد من المنقوص، ولا يحتار في تحديد مواقع ألفاظ صعبة من مثل: هبْ، هات، طالما، تعالَ، هلمَّ شدّما، رجل. إمرأة... أو ألفاظ جمعها من غير لفظها، مثل: «نساء» جمع إمرأة، وكلمة «الناس»، واحدها «إنسان». ولايتردد في الكشف عن كلمة (جلمود) لأنه لا يعرف أن أصلها (جلم) أو كلمة (حشاشة) لأنه لا يعرف أن أصلها (حشّ أو حشش)، أو كلمة (اضمحل) لأنه لا يعرف أن أصلها (ضمح)، أو كلمة (عقابيل)، لأنه لا يعرف أن أصلها (عقب)، أو كلمة (قناة) لأنه لا يعرف أن أصلها (قنو)، أو كلمة (توغل) لأنه لا يعرف أن أصلها (وغل) وهكذا... سيجد كل هذه الكلمات مرتبة بحسب أوائل حروفها الظاهرة المنطوقة وعلى وفق تسلسل هجائي بيّن.

ولا شك أن هذا المنهج أيضاً ينطوي على نوع من الفهم العصري للجانب الوظيفي من المعجم ولمتطلبات الحياة المعاصرة وظروف الناشئة وما هم عليه من ضعف عام في لغتهم ومن افتقار للصبر على التفتيش والبحث المتعمق، وفهم لظروف اللغة نفسها وما هي عليه من تطور ومن استقبال مستمر للاصطلاحات واضطرار للنقل الحرفي للألفاظ والتراكيب اللغوية الأجنبية وإدراجها في المعجم الجديد على صورها وأشكالها في لغاتها التي ترد منها. إلا أن لهذا المنهج مع كل ما ذكر آثاراً سلبية كثيرة على اللغة وعلى محصول المراجع من صيغ وألفاظ هذه اللغة، ثم على حجم المعجم ومستوى تداوله.

إن اللغة العربية كما يقول بعض الباحثين: «لغة اشتقاقية يتلقاها المتعلم جذوراً تلد الصيغ، مجردة ومزيدة، وعلى هذا الأساس تتكون سليقته، فهوليس مضطراً إلى أن يحفظ كل الكلمات ليتمكن من استعمالها كما هو الحال في اللغات اللاتينية، بل يكفيه أن يعرف قياسها وانتماءها إلى جذورها ليمكنه أن يستدعيها عند اللزوم فتقفز إلى لسانه وبيانه»[71]. والمنهج الهجائي الجذري يفترض أن يعين على معرفة القياس ويساعد على إدراك الانتماء، كما يساعد على استدعاء ما

ينتمي إلى جذور الكلمة الواحدة من صيغ مختلفة أو على التعرف عليها إن لم تكن معروفة؛ لأنه يقضي باجتماع الكلمات التي تعود إلى أصل واحد، ويضعها في تسلسل متآزر منتظم يعين الباحث على احتوائها أو على تذكرها، وقد تمكنه ملكته من زيادتها مستقبلاً، تبعاً لما تمليه عليه ظروف الحياة وحاجاتها، تماماً كما تزايدت وتناسلت هذه الصيغ أو المشتقات على ألسنة الناس عبر العصور والأزمان السالفة. بينما يباعد المنهج النطقي بين مشتقات المادة اللغوية الواحدة وصيغها ومعانيها، ويشتت شملها بين الأبواب والفصول فيتشتت ذهن المراجع بينها[72]، وتضعف لديه القدرة على الربط بينها وعلى إدراك انتماءاتها ووشائج الربط بينها وأصول تفريعها وتصريفها، فلا يعينه بعضها على استدعاء وتصور بعضها الآخر. وهكذا يقل اكتسابه لها ويصعب تذكره لما اكتسبه منها.

يضاف إلى ما سبق ذكره أن اتباع المنهج النطقي يؤدي في العادة إلى زيادة ضخامة المعجم؛ لما يحدث من تكرار في ذكر الجذور الأولى للصيغ والاشتقاقات التي ترد لكل مادة من المواد، والتي تختلف أوائلها في الغالب عن أوائل أصولها بسبب حروف الزيادة التي تدخل عليها، ثم كثرة الإحالات إلى هذه الأصول، أو إلى معان وتحديدات قد تكون مشتركة بين بعض فروع المادة الواحدة، كما هو متبع فعلاً في معجم «الرائد».. ولا شك أن لضخامة المعجم آثاراً سلبية، حيث يصبح أثقل وزناً وأقل جاذبية، وبالتالي أقل تداولاً وأقل فاعلية.

4 - ينعى مؤلف «الرائد» على بعض المعاجم صعوبة شروحها، بحيث يبيت الباحث كما يقول: «بحاجة إلى شرح الشرح ! ففي معاني (القصرة) مثلاً نرى: القصرة: زمكي الطائر... و(الزمكي) هي منبت الذنب أو أصله». فلماذا لا يقال في شرح (القصرة): أصل ذنب الطائر، أو منبته ؟»[73]، ولكنه يقع نفسه في مثل هذا الخطأ مرات عديدة لا تحصى. ورد في معجم «الرائد» على سبيل المثال: «الأشوع (شوع) ذوالشوع (ر. الشوع)، جمع شُوع، م شوعاء». وكذلك: «تبرأل تبرولاً (ب ر أ). ر. برأل». وورد أيضاً: «تفأم، تفؤماً. ر. فثم». و«تبرقح تبرقحاً. (ب ر ق). ر. برقع». و«الفشغاء. ر. الفاشغة». و«العيصوم. ر. العَصوم»، «العيطبول. ر. العطبول». أليست شروح هذه الكلمات ـ النادرة الغريبة ـ تحتاج هي نفسها إلى شروح ؟ ألا يمكن ذكر معنى من معانيها القريبة بدلاً من الإحالة إلى كلمة أخرى قد يحتاج المراجع بذل مزيد من الجهد والوقت في سبيل البحث والتفتيش عنها، أو أنه يسأم

البحث ويعزف عن المعجم متبرماً يائسا !.

5 - يشتمل المعجم على تفسيرات عديدة غير صحيحة أو غير دقيقة. ولاسيما ما يرتبط منها ببعض الكلمات والاصطلاحات المستخدمة بين المسلمين، فالمعجم على سبيل المثال يفسر لفظة (الجنابة) بأنها «النجاسة» بينما لا تعني هذه اللفظة في حقيقتها مطلق النجاسة، وإنما تعني كما هومتعارف عليه عند المسلمين ومبين في معظم المعاجم العربية «حال من ينزل منه منيٌ أو يكون منه جماع. فيقال اغتسل من الجنابة». أما كلمة (أسبوع) فقد ورد في تفسيرها: «ج أسابيع. (س ب ع). 1 - مجموعة الأيام السبعة المبتدئة بالأحد والمنتهية بالسبت. 2 - عند المسلمين: ذكرى انقضاء سبعة أيام على وفاة امرىء ما. ويحتفل بها عادة في منزل الفقيد بتلاوة ما يتيسر من آي الذكر الحكيم». فإذا كانت هذه الكلمة تستعمل بهذه المعاني بين المسيحيين، فمن المفترض أن يشار إلى ذلك في المعجم، وأن تفسر الكلمة بمعناها المستعمل بين الغالبية من العرب وهم المسلمون، لا أن يقتصر على ذكر معناها السائد بين أفراد طائفة معينة تشكل الأقلية فيهم.

وفي تفسير أسماء الأشهر القمرية المستخدمة بين المسلمين يحدد «الرائد» أيام الأشهر، على غرار أشهر السنة الميلادية، فيقول على سبيل المثال: «رجب: الشهر السابع من السنة القمرية، أيامه 30». و«شعبان الشهر الثامن من السنة القمرية، أيامه 29». و«رمضان: الشهر التاسع من السنة القمرية. أيامه 30». و«شوال: الشهر العاشر من السنة القمرية، أيامه 29».

والمعروف أن المسلمين لا يعتمدون في تقويمهم على هذا التحديد، وإنما يعتمدون على رؤية هلال الشهر في تحديد أيامه.

6 - وفيما يخص الأمثلة الصورية أو الرسوم الموضحة في هذا المعجم، فالعادة أن يوضح بالصورة ما لا يتضح معناه بالكلمات والعبارات على نحو كامل ودقيق، إلا أن المعجم حوى كثيراً من الصور التي لا ضرورة لها، لوضوح ما تدل عليه. فقد وردت صور موضحة لكلمات مثل: بدو، بوابة، برميل، تلفزيون، تنور، ثلج، ثلاجة، جبال، حصاد، حطب، غلاف، طباخة، كرسي، كأس... فهذه كلمات واضحة المعاني، إضافة إلى أنه قد يكون لبعضها أكثر من شكل، ولا يمكن أن تحدد بالصورة أو الرسم الوارد لها وحده. ومن جانب آخر فإن في هذا المعجم صوراً لم تتضح المعاني المقصودة فيها على النحو البيّن الدقيق، إما

لعدم إتقان رسم هذه الصور أو لأن هذه الصور تحمل معاني أو مدلولات متعددة ولم يحدد المعنى المراد منها، وذلك مثل: صدف. أضلع، ضريح، ضغط، طبق، طؤرة، عباءة، عش، فك، فرو، قبان، قربة، قلعة، كبد، كوفية..

يفتتح في كل باب من أبواب المعجم بصورة تبدأ لفظها بالحرف الذي عقد له الباب وكثيراً ما توضع صور أو مشاهد ومناظر لا تدل على معان ذات قيمة أو ذات أهمية أو ذات ارتباط وثيق بالباب غير ابتدائها بالحرف نفسه. وليست بذات جدوى، بل إنها أحياناً غير واضحة على النحو المطلوب وتستغرق مساحة كبيرة من الصفحات التي توضع فيها وبالتالي من مساحة المعجم فتزيد من حجمه ومن ضخامته.

وخلاصة ما يمكن الانتهاء إليه أن معجم «الرائد» معجم سهل التناول، مقبول من حيث الحجم في بعض طبعاته، يغري الكثير من الطلاب بمنهجه الهجائي النطقي وشروحه المبسطة وتفسيراته المختصرة، ولا شك أنه يسد ثغرة، ويصلح بمنهجه السهل وطريقته الميسرة للطالب في مختلف مراحل تعليمه وللمثقف العام على تعدد مستواه. هذا إذا امتنع البديل الأحسن وعز المرجع الأفضل. لأن هذا المعجم في حقيقته قاصر عن أن يمكن الطالب أو المثقف من لغته الفصحى النقية ويمده بكل ما يحتاجه من ألفاظها واصطلاحاتها وصيغها السليمة على النحو المطلوب. فكم المفردات فيه ما يزال قاصراً عما يلزمه منها، ومواده تشوبها الفوضى، حيث يختلط فيها الأصيل بالدخيل والعامي بالفصيح والدارج بالمصطنع، ويقحم فيه الكثير من الأوزان والصيغ على وفق مزاج واجتهاد شخصي، وتفصم عرى الكلمات وتبث اشتقاقاتها وتفرق بين الأبواب والفصول، فتمنع من التفكير في الروابط الأسرية التي تجمع بينها والوشائج المعنوية التي تصل بين الكثير منها، وبذلك تضعف قدرة الناشئ أو القارئ عامة على الربط والتفريع والتطوير والإثراء المعنوي واللفظي الذاتي.

وعلاوة على ما سبق ذكره فإن كثيراً من المعاني والمفاهيم والاصطلاحات في هذا المعجم مختلطة، لا يميز فيها الإسلامي عن المسيحي ولا اللفظ الشامي المحلي عن العربي المنحدر من أصل اللغة، فهي بمجموعها تفتقر إلى مزيد من الغربلة والتدقيق والتمحيص والتصحيح. وقد تدفع ثقة الطالب بالمعجم كمصدر أساسي إلى استعمال ما يستمده منه من الألفاظ والمعاني والصيغ دون قدرة على التمييز بين ما يقبل في مجال التعبير الفصيح منها وبين ما لا يقبل، فيواجه في ذلك حرجاً أو رفضاً ممن يعرف فصيح اللغة وسليم ألفاظها... وبناء على ذلك فإن استعمال هذا

المعجم يحتاج إلى كثير من التبصر والتحوط والحذر مما قد لا يمتلكه الطالب أو لا يعرفه.

8 ـ القاموس الجديد: (الألفبائي)

صدر هذا المعجم على وفق ما هو منصوص في مقدمته بتوصية من «ندوة التربية الأولى لبلدان المغرب العربي» ليكون قاموساً مدرسياً عصرياً. إلا أن واضعيه فيما يبدو توسعوا في طبعاته الأخيرة نوعاً ما فتوجهوا به للطلبة وغيرهم، وأصبح «للطالب والمربي والكاتب والقارئ المستفيد ولمريدي العربية ومحبيها وطلابها عامة»[74].

ظهر هذا المعجم في طبعته الأولى عام 1979م، ثم تعددت طبعاته نتيجة لما لاقى من إقبال في أوساط المتعلمين والمربين كما يصرح واضعوه. والطبعة التي بين أيدينا منه هي العاشرة، وقد صدرت عام 1412هـ ـ 1992م تحت إشراف جماعة من أساتذة التعليم العالي وخبراء اللغة عملت على تهذيب المعجم وتخليصه من كثير مما أخذ عليه في طبعاته السابقة ـ من أخطاء وشوائب، دون مساس بمنهجه الأصلي. وجاء المعجم في هذه الطبعة في مجلد واحد مكوناً من (1062) صفحة من القطع الاعتيادي، كل صفحة من ثلاثة أعمدة. ومطبوعاً طباعة واضحة أنيقة جيدة الحروف وعلى ورق أبيض ناصع غير ثقيل. كما جاء مذيلاً بخلاصة في النحو والصرف وخلاصة أخرى في العروض. تضمنت الأولى ذكر الأفعال وتصاريفها وصيغها وأحكامها، والأسماء وأنواعها، مع شيء في الإملاء وقواعد كتابة الهمزة. بينما تضمنت الخلاصة الثانية ذكر أوزان الشعر العربي وبحوره وتفعيلاته وما يطرأ على هذه التفعيلات من تغيرات. وقد وقعت الخلاصتان في (30) صفحة أضيفت إلى صفحات المعجم المذكورة.

ويشتمل المعجم في طبعته الأخيرة المشار إليها على (27000) مفردة، تتضمن مجموعة كبيرة من المصطلحات العلمية والتقنية التي أقرتها المجامع اللغوية ومؤسسات التعليم العالي في الوطن العربي، كما تتضمن طوائف من المفردات التي تشكل الرصيد اللغوي مما أعدته في الأصل لجنة مختصة تابعة للهيئة الاستشارية للمغرب العربي في التربية والتعليم[75]. وقد دعمت الشروح والتفسيرات في هذا المعجم بشواهد كثيرة، بلغت (3137) آية قرآنية و(387) حديثاً نبوياً شريفاً و(304) أمثال عربية و(1663) بيتاً من الشعر القديم والحديث، هذا بالإضافة إلى مجموعة من الرسوم والصور الموضحة.

ويسير المنهج في تبويب مادته وتصنيف مداخله على وفق المنهج الألفبائي النطقي الذي يقضي بترتيب الكلمات حسب نطقها وتتابع الحروف الهجائية فيها، وليس بحسب تصريفها، وهوالمنهج الذي اتبع من قبل في عدد من المعاجم العربية السابقة الذكر مثل: «المرجع» لعبد الله العلايلي و«الرائد» لجبران مسعود، و«معجم لاروس» لخليل الجر. ولذلك فليس لمؤلفي هذا المعجم ريادة في اتخاذ هذا المنهج ـ كما يمكن أن يوحي عنوان المعجم نفسه وتشير مقدمته. وقد ظهرت المداخل على صفحات هذا المعجم بارزة منفصلة عن كلمات السطر الذي هي فيه ومعاد كتابتها على السطر باللون الأسود الغامق المميز، بحيث لا يصعب على الباحث تحديدها أو يبطئ في العثور عليها. كما شكلت هذه المداخل مع كل ما ذكر من اشتقاقاتها والشواهد القرآنية والشعرية الواردة عليها شكلاً تاماً يعين على تمييزها وسلامة نطقها وكتابتها الصحيحة، وشرحت هذه المداخل بأسلوب واضح مبسط في الغالب، يبدأ بذكر معانيها الحقيقية ثم معانيها المجازية التي ترد ضمن أمثلة وشواهد شعرية في الغالب.

لقد تحقق في «القاموس الجديد» بلا شك الكثير مما تطلع واضعوه إلى إنجازه وتحقيقه من التيسير والتجديد ومن جعل هذا المعجم «رابطاً بين القديم والحديث، دالاً على أن العربية لغة متطورة، لا يختص بها مكان بعينه أو زمان بعينه، وأنها اللغة الحية القادرة على التعبير عن حاجات العصر..»[76]. فقد اشتمل هذا المعجم بالإضافة إلى جمال طباعته وحسن إخراجه واعتدال حجمه والبساطة والاختصار في شرح مواده على الكثير من الألفاظ القديمة التي يحتاج إليها المتعلم العربي الحديث للارتباط بتراثه العلمي والأدبي وللتعبير عن فكره الأصيل ومن ألفاظ الحضارة والحياة الجديدة التي تصله بحاضره وتشكل جانباً مهمًا مما يحتاجه في التعبير عن هذا الحاضر بمختلف جوانبه وشؤونه. مما يجعل من هذا المعجم بحق إنجازاً متميزاً وعملاً مثمراً كثير الفائدة للمتعلمين في مراحلهم الإعدادية والثانوية، ولاسيما على المستوى الإقليمي المغاربي. حيث يضم المعجم ـ كما سبقت الإشارة ـ مجموعات كثيرة من الألفاظ والاصطلاحات والمعاني والتعابير الوظيفية المتداولة في بلدان المغرب العربي. وإن كان قاصراً عن ما تتطلبه حاجات الناشئة في مراحلهم التعليمية ومستوياتهم الثقافية المتقدمة.

على الرغم مما تقدم ذكره من إيجابيات فإن المعجم في الحقيقة أقل مما نطمح ويطمح معنا واضعوه إليه، فما زالت تشوبه رغم ما أجري عليه من تعديلات في طبعته الأخيرة التي بين أيدينا

بعض الهنات التي تستدعي التأمل وربما تستحق أن توضع في الاعتبار في طبعة المعجم اللاحقة ليحقق هذا المعجم المزيد من الفائدة. ومن هذه الهنات على سبيل المثال وليس الحصر:

1 - يولي المعجم كما يبدو لي على الأقل اهتماما خاصاً بالمفردات اللغوية العربية المستعملة في بلدان المغرب العربي، وربما كان مرد ذلك أن هذا المعجم جاء في الأساس نتيجة لتوصيات المؤسسات التربوية والتعليمية في هذه البلدان، وأنه اعتمد في جزء كبير من مادته على ما أعدته لجانها المختصة من مفردات تشكل الرصيد اللغوي الوظيفي للطالب والمثقف العربي المغربي. وهذا المنحى وجدناه في عدد من المعاجم اللبنانية السابقة الذكر التي تولي اهتماماً ملحوظاً بالألفاظ والتعابير الشائعة في الأقاليم الشامية، وهو منحى يخدم بلدان المنطقة من جانب ولكنه قد يتجه بالمعجم نحو الإقليمية، ولاشك أن الإفراط فيه ربما يقلل من انتشار المعجم ويربط فاعليته بحدود جغرافية كما سنبين ذلك فيما بعد.

2 - يتضمن المعجم كما وجدنا حشداً كبيراً من الشواهد الشعرية والنثرية المختلفة مع أسماء قائليها، وذلك يضخم من حجمه ويحول جانباً منه إلى ما يشبه مجموعة من المختارات الأدبية. ولقد كثر الاستشهاد بالنصوص الشعرية فيه إلى درجة تذكّر بالمعاجم القديمة، إذ يمثل أحياناً على ما لا ضرورة للتمثيل عليه، كما في تفسير كل من (كم، مَغْرِب، رقيق، عمامة)، أو يكرر الاستشهاد على نفس المعنى رغم وضوحه. كما في تفسير (كمَدَ، لعل). لا مشاحة من زيادة تثقيف القارئ ومن تربية ذوقه الأدبي بالمزيد من العبارات الأدبية أو الشواهد الشعرية المنتقاة، ولكن ذلك يجب ألا يكون على حساب وظيفة المعجم ككتاب لتفسير مفردات اللغة. أو على حساب تقليل محتواه من هذه المفردات مع ضخامة حجمه. وسنعود لطرح المزيد عن هذا الموضوع في الفصل الخامس من هذه الدراسة ضمن حديثنا عن الشواهد التوضيحية.

3 - مع ما سبق ذكره من المبالغة في الاستشهاد فإن الكثير مما يذكر من الشواهد والشعرية منها خاصة لا تشارك دائماً في إيضاح المعاني الواردة عليها، بل إنها تبدو أحياناً أكثر صعوبة في معانيها من الكلمات المفسرة نفسها. لاحتوائها على كلمات غريبة تحتاج بدورها إلى تفسير أو لأنها تحتاج في استيعاب مضامينها وصورها البلاغية إلى سابق معرفة بالأدب أو علوم البيان وممارسة في تذوق الشعر، ولاسيما أن غالبها، كما هو حاصل بالنسبة للنصوص

الشعرية يورد لتوضيح معان مجازية، لا يسبق إيضاحها أو الإشارة إلى استعمالها. أنظر على سبيل المثال الشواهد المرفقة بالكلمات (أَثر، أبنوس، مصدر، مصدوف، مصاب، مغرب).

ويلحق بما سبق ذكره أن بعض الشواهد التي تذكر للكلمة أحياناً يوجب التباس المعنى ويشوش ذهن القارئ؛ فالمعجم يفسر كلمة (ماخرة) على نحو المثال بما نصه: «ماخرة، الماخر: هي السفينة، ج مواخر. قال تعالى: وترى الفلك مواخر فيه». وهذا شاهد لا يوضح كلمة مواخر للناشئ في الواقع، وإنما يحيره. فإذا كانت الفلك في ذهنه هي السفن، فكيف يمكن أن تكون المواخر هي السفن أيضاً. علماً بأن تفسير الفعل (مخر) بمعنى شق الماء أو السباحة والجريان فيه بعيد عنه، لأن هذه الكلمة مدرجة في بابها من المعجم وحسب تلفظ حروفها.

4 - يهمل المعجم بعض الألفاظ الحديثة ذات الاستعمال الشائع من مثل: موضوعي، مثابرة، موسوعة، سلطنة، مؤسسة، سكرتير، علماً بأنه يتضمن كلمات قديمة نادرة الاستعمال مثل: (الغرقئ، مخرمد، السفتجة، الثغلول، البشماط، الثبنة). إضافة إلى ذلك فإن هناك كلمات مذكورة في المعجم بمعانيها القديمة فقط دون معانيها الحديثة الغالبة في الاستعمال العصري أو مذكورة بمعان قاصرة مثل الكلمات: (تكعّبَ، تكيّة، كِمام، كِمامه، مهماز...)

5 - لا يستوفي المعجم دائماً جميع المستعمل من اشتقاقات وصيغ الكلمات التي يشتمل عليها، فيذكر من اشتقاقات (بجح) على نحو المثال: (تبجّحَ، يتبجح، تبجحاً، وتباجح)، بينما يهمل صيغة (بجح) الأصل نفسه، وأبجح، ومتبجِّح. ويذكر من كلمة (ثغرَ) الصيغتان، ثُغرَ، وثَغْر، ويهمل أثغَرَ، وثُغرَة. ومن اشتقاقات مادة (تَبع) أهملت الصيغ: (التّبع، التُّبع، التُّبَع ،التّبيع، الإتباعية، التبّاعة). ومن مادة (بزل) أغفلت الصيغ (بُزّلَ، بزّلَ ، البازل، تبزّلَ، البازلة، البُزال، المبزول، المبزلة، بزالة البزول..) هذا في الوقت الذي وردت في المعجم صيغ لفظية غير مستعملة واشتـقـاقـات يبدو نوع من التعسف في اتخاذها مثل: «بطط يبطط تبطيطاً = الرجل تاجر في البط، و«بطابق» (جمع بطاقات)...

6 - لا يخلو المعجم مما أسميناه بالتفسيرات الدورية ومن الشروح الناقصة أو التي لا تستوفي

المعاني المستعملة للكلمة المشروحة، كقوله: (لبّخ يلبّخ، تلبيخاً الممرّض على العضو الألم: جعل عليه اللبخة.)، وقوله: «تلاكن، يتلاكن، تلاكناً: الرجل في كلامه: أرى من نفسه اللُّكنة ليضحك الناس».، و«المنعوش هوالمحمول على النعش» و«الموطن: هو الوطن» و«منْعَل: المنعل هو ذو النعل ــ وفرس منعل أي شديد النعل»، و«التكعيبي: هو ما كان منسوباً إلى المكعب».، وقوله: «البطاقة: هي الرقعة الصغيرة من الورق وغيره»، و«البطيخ هو نبات ثمرته كبيرة لذيذة الطعم مختلفة الألوان والأشكال».. هذه التفسيرات ومثيلاتها غير دقيقة على النحو المطلوب، وبعضها كما رأينا ربما يحوج القارئ إلى البحث عن مداخل أخرى ليتعرف على معاني الكلمات المفسرة بنحو كامل.

وربما يلحق بما سبق ذكره أن المعجم يورد بعض الألفاظ التي لها مدلولات علمية أو فنية اصطلاحية خاصة بالإضافة إلى مدلولاتها العامة دون أن يشير إلى هذه المدلولات أو إلى مجالات انتمائها أو ارتباطها..

7 - بالإضافة إلى عدم استيعاب المعجم لجميع الاشتقاقات المستعملة للكلمات الواردة فيه، فإن هذه الاشتقاقات لا ترتب جميعها فيه بحسب نطقها، فصيغة الفعل الماضي من الكلمة يضم إليها في العادة صيغ كل من المضارع والأمر والمصدر، بينما تفرق الصيغ الأخرى من الكلمة نفسها في المعجم بحسب أبوابها وتسلسل حروفها، فالصيغ (يؤاخذ، آخذ، مؤاخذة) على نحو المثال، نجدها مع الفعل (آخذ)، في باب الألف بينما نجد (مأخذ)، و(مآخذ) في باب الميم، وهذا يتنافى مع ما قصد من تيسير العثور على الكلمة، فلا الكلمة تذكر مع كل اشتقاقاتها ضمن أسرة واحدة متلاحمة مترابطة ولا تفرق الصيغ جميعها على الأبواب بحسب نطقها بنحو كامل، مما يوجب ضياع القارئ أحياناً وتردده بين عدد من أبواب المعجم وخاصة إذا لم تكن لديه خبرة بممارسة المعجم ومعرفة صيغ الكلمة. علاوة على ذلك فإن الصيغة اللفظية الواحدة تذكر أحياناً في بابين مختلفين وبمعنيين مختلفين أيضاً. فكلمة (خلاصة) مثلاً تذكر كمدخل مستقل بمعنى «زبدة الشيء ــ أو ما يستخرج من المادة» ثم تذكر بمعنى «المختصر والموجز» ضمن بعض تفرعات كلمة (ملَخّص)، بينما تعفى صيغة (تلخيص) من الذكر..

8 - بعض الصور والرسوم التوضيحية الواردة في المعجم لا تعمل في الواقع على تقريب المعنى

بما فيه الكفاية لعدم دقتها أو عدم وضوحها، بل إن منها ما يوجب اللبس في فهم المعنى لاختلاط المفهوم فيه بمفهوم أو مدلول آخر. مثل الصور المرفقة بالكلمات (دُلدُل، عبّاد الشمس، كَمّون، محفظة، محطّب، محفار). كما أن من هذه الرسوم ما يمكن الاستغناء عنه أصلاً وتوفير المساحة التي يستغرقها من المعجم؛ لوضوح أو شيوع المدلول الذي تشير إليه، كالصور المرفقة بالكلمات: بط، بطيخ، ثلاجة، حصان، لحية...

هذه في نظري المتواضع بعض جوانب القصور أو التقصير أو الضعف التي لا تقلل من شأن المعجم ولا من الجهود التي بذلها بإخلاص واضعوه في إعداده ورعايته وتهذيبه، كما أنها لا تطعن في الدور الذي يمكن أن يؤديه كرافد لغوي مهم، يمكن أن يمد طائفة كبيرة من ناشئتنا بالكثير مما يحتاجون إليه من مفردات وتراكيب لغوية تسهم في الارتقاء بقدراتهم في التعبير عن مفاهيم العصر. علماً بأن المعجم قد تخلص في الطبعة التي اعتمدناها من عدد من الأخطاء والهفوات التي أحصيت عليه في طبعاته السابقة[77].

9 - المعجم العربي الأساسي

يبرز «المعجم العربي الأساسي» كمعجم حديث متطور يتناسب من حيث منهجه الميسر ومن حيث ما يشتمل عليه من الكلمات كماً ونوعاً مع احتياجات المتقدمين في مستويات التعليم من الطلبة العرب وعامة المثقفين، ويتلاءم في مادته وإخراجه مع ظروف ومتطلبات العصر ومستجدات الحياة، على الرغم من أنه وضع أساساً ـ كما جاء في مقدمته ـ لغير الناطقين بالعربية من المتخصصين في الدراسات الإسلامية والعربية[78]. فهويشتمل على خمسة وعشرين ألف مدخل مرتبة ترتيباً ألفبائياً انطلاقاً من جذر الكلمة، مفسرة بدقة، ومعززة بشواهد توضيحية وأمثلة سياقية مصوغة بلغة عصرية مبسطة في الغالب. كما أنه يشتمل على كثير من المصطلحات الحديثة في العلوم الإنسانية والعلوم التطبيقية أيضا، وعلى طائفة كبيرة من أسماء المستحدثات والآلات والأجهزة والأدوات والألفاظ الحضارية التي دخلت الحياة الجديدة واستعملها رجال الفكر والثقافة وأقرتها المجامع اللغوية العربية، بينما يتجنب هذا المعجم ـ كما خطط له ـ الحوشي والغريب ويتنكب المهمل والمهجور من الكلمات القديمة، فلا يورد إلا ما هو معروف مستعمل شائع، أو ما هو جدير بأن يعرف من مفردات اللغة الحية الجارية على ألسنة العلماء والأدباء والمثقفين والصحفيين وأقلامهم، والمبسوطة في المؤلفات والبحوث والدراسات العربية. ومما يتميز

به هذا المعجم من صفات عامة غير ما سبق ذكره ما يأتي:

أ - أن مداخل المواد تذكر فيه بشكل بارز في وسط السطر بحيث يبدو من السهل على القارئ تحديد مكانها والانطلاق منها إلى صيغها واشتقاقاتها.

ب - تكتب الصيغ الأساسية لكل مادة باللون الأسود المشبع المميز عن عبارات الشرح، وتوضع كل صيغة في أول السطر بحيث يستطيع القارئ استعراضها في يسر.

ج - ترقم معاني الكلمات التي تذكر بحسب درجة شيوعها أو استعمالها. مما يحدد للقارئ مستوى هذا الاستعمال.

د - يميز المثال السياقي أو الشاهد التوضيحي الذي يذكر للكلمة من بقية الشرح بوضعه بين قوسي التنصيص أو كتابته بحروف بارزة مشبعة بالسواد.

هـ - تتميز الأمثلة السياقية والشواهد التوضيحية التي تذكر للكلمات ببساطتها كما سبق القول وبقصرها ووجازتها، بحيث لا تحتل مكاناً كبيراً من الشرح، وتحدد للقارئ معنى الكلمة دون أن توقعه في اللبس أو تصرفه عن الكلمة المفسرة أو اشتقاقاتها.

و - المواد فيه غير متزاحمة وعبارات الشرح غير متداخلة كما هوالحال في كثير من المعاجم العربية؛ فالصيغة اللغوية توضع في سطر مستقل أو فقرة مستقلة بها، لا تشاركها فيه صيغة أخرى حتى ولو لم يمتلئ السطر، وهذا يترك فراغات كثيرة لها أثرها السلبي في تضخيم حجم المعجم، ولكن يبقى لها أثرها الإيجابي أيضاً في تحديد المواد وتمييزها، وبالتالي سرعة في العثور عليها.

على الرغم من كل ما سبق ذكره، ورغم أن «المعجم العربي الأساسي» قد وضع في الأصل ليكون معجماً لغوياً، فإن لهذا المعجم سمة موسوعية ظاهرة، يتجاوز بها حدود المعجم اللغوي الخالص وطابعه التفسيري الدقيق، ليصبح أشبه بدائرة معارف. فهذا المعجم، كما جاء في مقدمته (79) «يضم كل ما يحتاج إليه مستعمله، فوسعت مادته كثيراً من مجالات المعرفة كالدين والآداب والعلوم والفنون والأعلام»، ويتعرض إلى طائفة كبيرة من أسماء الأعلام، كأسماء القارات

والبلدان والمدن والحواضر والأقطار والأنهار وأسماء النابغين والشخصيات البارزة في التاريخ العربي والإسلامي من خلفاء وأمراء وقادة وفقهاء وعلماء وشعراء وأدباء وفنانين الخ، ويشتمل على ذكر كثير من الأمم والطوائف والملل والنحل والجمعيات الدينية والسياسية والاجتماعية وأسماء الكتب والمصنفات الشهيرة.

إن هذه السمة الموسوعية تخرج بالمعجم عن صفته الأساسية وعن جوهر وظيفته باعتراف أحد أعضاء اللجنة التي قامت بتأليفه وهو د. أحمد مختار عمر، الذي نص على «أن المعجم لا يهتم كثيراً بالمواد غير اللغوية، وإذا ذكرها فبصورة مختصرة جداً، لأنه يترك تفصيلاتها للموسوعات. ومن أمثلة المواد غير اللغوية التي لا يهتم بها المعجم أسماء الأعلام، والأسماء الجغرافية مثل الأقطار والمدن والأنهار والجبال والبحار والمحيطات والأحداث والعصور التاريخية والتنظيمات الحكومية وغير الحكومية والمؤسسات»[80]. ولقد أبدى «المعجم الأساسي» اهتماماً بهذه المواد كما تبين. وعرف بعضها بما لا يقل كثيراً عما يوجد لها من تعريفات في الموسوعات المختصرة. لقد ذكر في توضيح اسمي (حفصة) و(حفصيون) على سبيل المثال مايلي:

«حفصةُ: بنت عمر بن الخطاب (ت 45هـ/665م): من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، ولدت بمكة وتوفيت بالمدينة، روى عنها الشيخان ستين حديثاً، وكانت نسختها من المصحف أساساً للمصاحف العثمانية التي وجهت إلى الأمصار».

«الحفصيون (أو بنو حفص): أسرة إسلامية بربرية حكمت تونس والجزائر الشرقية وطرابلس الغرب (982-627هـ/1229-1574م)، وهي فرع من الموحدين. اتخذوا تونس عاصمة لهم فازدهرت في عهدهم»[81]

ومن جانب آخر فإن المعجم المذكور يحتوي على كثير من الإحالات، وتتكرر فيه عبارة «أنظر ألفبائياً بعد (...)»، ويتكرر معها ذكر كثير من الكلمات. فتذكر مثلاً كلمة (صابئة) في باب الصاد مع الألف مثلاً دون أن تفسر، وإنما يحال القارئ إلى مادة (صبأ)، وهناك تذكر (صابئة) مرة أخرى وتفسر. وكمثال آخر ـ تذكر كلمة (الفجار) في باب (ف ج ا ر) ويشار إلى اللفظ الذي تتركب عادة معه (حرب)، ثم يحال القارئ إلى مادة (فجر) ليرى كلمة (الفجار) مذكورة مرة أخرى مع قرينتها مفسرة بنحو أوضح... وهكذا.

ولو أحصينا هذه الكلمات التي تتكرر على وفق هذه الكيفية، وأضفنا إليها تلك المقدمة المطولة عن اللغة العربية ونشأتها وخصائصهاوطرائق تنميتها وعن النظام الصرفي وبعض المسائل النحوية وقواعد الإملاء ورسم الحروف وعلامات الترقيم فيها... والتي استغرقت من المعجم ما يقرب من الخمسين صفحة، لو أحصينا كل ذلك ودققنا فيه وأضفنا إليه تلك الفراغات التي تتخلل بعض الأسطر والصفحات أحياناً لوجدنا أن هناك مساحات كثيرة زادت من صفحات المعجم ومن حجمه، وكان بالإمكان التقليل منها وإخراج هذا المعجم في حجم أقل وجاذبية أكثر.

لقد جعلت الصفات أو الإجراءات المذكورة بمجملها من «المعجم الأساسي» كتاباً ضخماً نسبياً، يثقل حمله وتداوله على الناشئة وربما حتى على بعض المتقدمين منهم، فلا ينجذبون كثيراً إليه ولا يتشجعون على استخدامه. فمعجم في (1347) صفحة ربما يصلح للكبار من المتعلمين أكثر مما يصلح للناشئين، في زمن تستثقل فيه القراءة وتتزاحم المغريات ويتوانى الناس في الاهتمام باللغة ويكتفى في الغالب بالزهيد الخفيف أو الضحل السقيم المستوى من المواد المقروءة!.

لقد اعتبر هذا المعجم في نظر أحد المشاركين في تأليفه[82] أفضل معجم عربي يمثل المعجم الوجيز الصغير الحديث (Small Cancise dictionary) «الذي يناسب تلاميذ المدارس وغير المتخصصين أو الباحثين عن المعلومة السريعة أو الأساسية التي لا يخلو منها أي معجم مهما صغر حجمه». كما عده المعجم العربي الوحيد الذي يمثل المعاجم أحادية اللغة التي تصلح للمواطنين والأجانب. وقد ذكر هذا الباحث نفسه أن من أولى مواصفات المعجم الوجيز الصغير أن يكون «صغير الحجم، يمكن أن يلتقطه الباحث وينقب فيه بسهولة». وأن من أول ما يميز النوع الثاني «حذف المعلومات التاريخية». وأن يكون قريباً في حجمه من حجم المعجم الصغير. وواضح أن معجم في (1347) صفحة وبما احتواه من مواد ومعلومات تاريخية وموسوعية وافرة لا يمكن وصفه معجماً وجيزاً صغير الحجم، اللهم إلا أن يقاس بتلك المعاجم الكبيرة الضخمة متعددة الأجزاء. ربما يجوز لنا القول بأن ضخامة حجم هذا المعجم لا تعيبه كثيراً ولا تنقص من قيمته ولا تتناقض مع الأهداف التي سعى إليها، لأنه لم يوضع أساساً للناشئة العرب في مراحلهم التعليمية

المختلفة، وإن كان صالحاً للناشئين في مراحلهم الجامعية أو المتقدمة عامة؛ وإنما وضع كما هو منصوص في مقدمته أيضاً: «للناطقين بغير العربية ممن بلغوا مستوى متوسطاً أو متقدماً في دراستها، وللمدرسين منهم وللطلبة الجامعيين من غير العرب خاصة، في أقسام الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الأجنبية وللمثقفين منهم بصفة عامة»[83]، أي لطوائف من الدارسين أو المثقفين تطيق حمله ويتسع صدرها لاستعماله لأنها يغلب أن تكون من الكبار، وليس للناشئة الصغار الذين هم في حاجة ماسة لمعجم أو معاجم أخرى سياقية تتناسب مع مستوياتهم ومراحلهم التعليمية المختلفة وطاقاتهم المحدودة.

مع كل ما سبق ذكره فإننا ما زلنا نعتقد أن لتناسب حجم المعجم أثره في النفس كما سنبين ذلك لاحقاً، وأن المعجم إذا كان حجمه مقبولاً لدى من أعد ووضع من أجلهم أو لدى من تحملوه واعتادوا على استعماله في الوقت الحاضر، فإن هذا الحجم سيزداد ويتضخم في المستقبل تبعاً لتطور اللغة وتنامي مفرداتها واتساع المعارف وتفرعها وتشعبها ـ كما سبق القول في أثناء حديثنا عن «المنجد في اللغة والأعلام»، وبالتالي فمن المتوقع أن يصبح ثقيلاً عليهم منفراً لهم في طبعاته المقبلة التي سيلحقها التوسع والتطوير. وعلى هذا فلابد من التخلص مما يزيد من حجمه ويبعده عن طابعه اللغوي الخالص.

ورغم تميز المعجم العربي الأساسي كما سبق القول بكونه معجماً سياقياً، توضح فيه معاني الكلمات في الغالب بلغة عصرية سهلة، عن طريق وضعها في سياقات قصيرة مبسطة سلسة تعين على تحديدها، أو عن طريق إيراد شواهد قصيرة من القرآن الكريم والحديث الشريف والأقوال الأدبية المأثورة ولغة الصحف والمجلات الحديثة تفسرها أو تقربها، فإن بعض الشواهد التوضيحية والأمثلة السياقية التي تذكر في هذا المعجم مع قصرها لا تخلومن الصعوبة، إذ ربما غمضت مفرداتها أو معانيها ومضامينها على كثير من الناشئين أو عامة المتعلمين فضلاً عن غير المتعلمين. إضافة إلى أن من هذه الشواهد والأمثلة السياقية ما يطول أو يتكرر أحيانا: أي يرد للمعنى الواحد أحياناً أكثر من شاهد توضيحي دون ضرورة، مما يزيد في ضخامة حجم المعجم وثقله. هذا في الوقت الذي ترد فيه بعض الكلمات الغامضة من دون أمثلة سياقية توضح مدلولاتها.

وعلى سبيل المثال وبنحو عشوائي عفوي الاختيار فقد ذكر في تفسير كلمة (جنة): «جنة، ج جنات وجنان: 1 ـ دار النعيم في الآخرة (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار

خالدين فيها) [قرآن]، 2 ـ الحديقة ذات النخل والشجر (كمثل جنة بربْوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين)»[84] وقد اتضح معنى الكلمة المفسرة، إلا أن الشاهد القرآني الثاني الذي يفترض أن يكون الغرض منه زيادة الإيضاح أو بيان وجه من أو جه الاستعمال، قد لا يكون جلي المعنى أو المضمون على النحو المطلوب بالنسبة للناشئ أو طالب اللغة العادي، لاحتوائه على كلمة (وابل)، وكلمة (أُكُلها) وربما كلمة (ربوة) أيضاً فهذه الكلمات يحتمل أو يتوقع أن تكون أكثر غموضاً على الطالب من الكلمة المفسرة ذاتها.

وكمثال آخر، يذكر معنى لكلمة (إبرة)[85] وهو: «شوكة تلسع بها بعض الدويبات والحشرات كالعقرب والنحل»، ثم يورد نصاً لإيضاح هذا المعنى وهو المثل القائل: «لابد دون الشهد من إبر النحل». ويشك أن تكون معرفة مضمون هذا المثل ويكون معناه البلاغي أسهل على الطالب أو على من يماثله في المستوى من إدراك معنى الكلمة المفسرة نفسها، حتى مع تسليمنا بأنه يعرف معنى كلمة (شهد). كما يشك أن يكون هذا الطالب مدركاً لقيمة وضع الكلمة المفسرة في مثل هذا السياق الأدبي الرفيع.

ومع مجمل ما ذكر من سلبيات لهذا المعجم وما أخذنا عليه من أخطاء في التفسير أو التحديد أو عدم التدقيق في سرد بعض المعلومات أو عرض بعض المفاهيم[86] فإنه يبقى معجماً حديثاً قيماً مناسباً لمستويات عديدة من فئات المثقفين والمتعلمين، ممن لديهم الاستعداد أو التطلع الكافي للارتقاء اللغوي ولديهم الصبر على ضخامة حجم المعجم وثقله النسبي. وهو صالح بنحو عام حتى للمتخصصين في مجالات اللغة والأدب أو المهتمين بها.

10 ـ الهادي إلى لغة العرب[87]

يعدُّ «الهادي إلى لغة العرب» لحسن سعيد الكرمي من أواخر المعاجم اللغوية العربية الموسعة التي صنفت في هذا العصر. وقد صدرت الطبعة الأولى منه عن دار لبنان للطباعة والنشر في بيروت عام 1411هـ ـ 1991م في (2372) صفحة موزعة على أربعة أجزاء فخمة مجلدة تجليداً فاخراً ومغلفة بغلاف مذهب مُحلّى بالزخارف، والكلمات فيه مطبوعة على ورق ناصع جيد طباعة عصرية أنيقة بارزة الحروف. وقد صُدّر كل باب من أبواب الكتاب بلوحة من الزخرف الإسلامي الرائع يتربع فيها اسم الحرف الذي عقد له الباب وسط إطار فني جميل. وهكذا فقد

بدا الكتاب في حلته وطباعته الأنيقة متعة للناظر وللمستفيد الصابر على حمله.

ويشتمل المعجم على طائفة كبيرة من المواد اللغوية والمصطلحات وألفاظ الحضارة والحياة الجديدة مرتبة ترتيباً هجائياً بحسب أصولها الثلاثية، مفسرة بعبارات حديثة سلسة مفهومة في معظم الأحيان مدعمة بالأمثلة من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الشعر العربي أو الأمثال العربية وأقوال الناس السائرة أحيانا. ويتميز هذا المعجم في طريقة ترتيبه وشرحه للمواد بالإضافة إلى ما ذكر بما يأتي:

أ - يجعل الفعل الثلاثي من أصل المادة اللغوية مدخلاً أساسياً، ثم تجعل كل صيغة أخرى مشتقة من الأصل نفسه مادة أساسية مستقلة، تذكر مع معناها واشتقاقاتها الممكنة على حدة. وبذلك فلا تختلط في هذا المعجم اشتقاقات الكلمة بعضها بالبعض الآخر، كما هو الحال في المعاجم القديمة وبعض المعاجم الحديثة الأخرى.

ب - تميز فيه المواد الأساسية باللون الأخضر الجميل، بينما تميز المشتقات أو الصيغ المتفرعة عنها باللون الأسود المشبع والخط المكبر الواضح. وبذلك يصبح من السهل على القارئ تحديد الصيغة المطلوبة.

ج - يشتمل المعجم على طائفة كبيرة من المصطلحات الحديثة في العلوم والسياسة والصناعة مما تم الاتفاق عليه أو صار عاماً سائراً، وعلى طائفة من الكلمات والصيغ اللغوية العامية المنحدرة من أصل فصيح، أو التي أخذها العوام وحاولوا تبسيطها دون الابتعاد بها عن أصلها (هذا حسب ما يزعم المؤلف). وتشكل الألفاظ والصيغ العامية الشامية الجزء الأكبر من هذه الطائفة. كما يشتمل المعجم أيضاً على مجموعة من الصيغ الجديدة أو غير الموجودة في القواميس الأخرى مع الإشارة إليها في أماكنها من المعجم نفسه.

د - تذكر في المعجم المقابلات الإنكليزية لبعض العبارات والألفاظ والأسماء، ولاسيما أسماء النبات والحيوان والأحجار الكريمة وبعض مظاهر الطبيعة... وترد هذه المقابلات في إطار السعي لتسهيل مهمة الباحثين العاملين في مجالات النقل والترجمة كما يقرر المؤلف.

هـ - يشار في أعلى يمين الصفحة إلى أول مادة تبدأ بها الصفحة ويشار في أعلى يسارها إلى المادة التي تنتهي بها، كما هومعمول به في غالب المعاجم الحديثة.

رغم ما تميز به هذا المعجم من جمال الطباعة وحسن الإخراج ووضوح التفسير، ورغم ما بذله مؤلفه من جهود لتفادي الأخطاء ونواحي القصور التي لمسها هو نفسه في المعاجم الأخرى، فإنه لا يخلو من السلبيات التي تقلل من فاعليته وتأثيره، ومن أبرز هذه السلبيات ما يأتي:

1 - ضخامة حجم المعجم وثقل وزنه، رغم كونه مقسماً إلى أجزاء، مما يؤدي في الغالب إلى تباطؤ المراجع في حمله أو عزوفه عن استخدامه، ولاسيما إذا كان ناشئاً، إذ العادة أن يميل القارئ إلى ما خف من الكتب وسهل حمله، كما سبقت الإشارة. فوزن كل جزء من أجزاء هذا المعجم الأربعة يتراوح بين 1200 ـ 1650غرام، أي وزن معجم بكامله تقريباً. وهذه الضخامة ليست ناتجة في الحقيقة عن غزارة مادة المعجم بقدر ما هي ناتجة عن طريقة الإخراج والترتيب والشرح المتبعة فيه، والتي يمكن الإشارة إلى بعض إجراءاتها على النحو الآتي:

أ - متانة الغلاف وسماكة الورق النسبية وكبر حجمه قياساً إلى المعاجم العربية الحديثة الأخرى.

ب - كتابة المواد وصيغها أو اشتقاقاتها المتعددة بخط بارز ملون عريض قياساً إلى المعاجم الحديثة الأخرى، مع ذكر كل مادة من هذه المواد مرتين بنفس البُنط، مما يشغل حيزاً كبيراً من مساحة المعجم. إن هذا الإجراء يجعل المواد بارزة واضحة يسهل على المراجع تحديدها أو العثور عليها بسرعة، ولكنه يعمل على زيادة صفحات المعجم ومن ثم على ضخامته وزيادة وزنه.

ج - تعدد الإحالات في المعجم إلى أماكن أو مصادر مختلفة عند ذكر كثير من المواد، بالإضافة إلى تكرار إيراد عدد منها تحت أكثر من أصل، فكلمة (توأم) على سبيل المثال ذكرت في مادة (ت وأ) ثم ذكرت في (ت أ م)، وكلمة (إذخر) ذكرت مع (أ ذ خ) وفي مادة (ذخر)...

د - ذكر المقابلات الإنكليزية لطائفة كبيرة من الأسماء والصفات والألفاظ العربية عامة. علماً بأنه يمكن الاستغناء عنها، لأن المعجم (عربي – عربي) كما هو مشار إليه ضمن عنوان الكتاب. ولأن هذه المقابلات يمكن الرجوع إليها في مظانها من معاجم الترجمة التي وضعت أساساً لخدمة هذا الغرض.

هـ - الاستطراد في التفسير أحياناً والاستشهاد على ما لا يحتاج إلى شاهد من معاني الكلمات أو استعمالاتها، لوضوحه وكثرة استعماله[88].

و - تكرار عبارات مثل: «وهذا هوالمعنى المستعمل الآن بين الناس». «والناس يقولون» «وهذا غير موجود في القواميس» إلى غير ذلك مما يستغرق تكراره مساحات كبيرة تزيد من حجم المعجم.

ز - يتضمن المعجم طائفة كبيرة من الشواهد الشعرية التي تستغرق أحياناً مساحة أكبر من المساحة التي يستغرقها الشاهد النثري القصير.

ح - وجود فجوات أو مساحات فارغة في معظم صفحات المعجم، نتيجة لإفراد سطر مستقل أو فقرة مستقلة لكل مادة من مواد المعجم وعدم استيعاب التفسيرات أو الشروحات المتعلقة بها للمساحة التي خصصت لها بنحو كامل أحياناً.

2 - يأخذ مؤلف هذا المعجم على المعاجم الأخرى غموضها في التفسير، وقد وقع نفسه فيما أخطأ فيه غيره وفسر في معجمه كلمات كثيرة بكلمات تشابهها أو تزيد عليها في الغموض، أو أورد لها أمثلة هي ذاتها تحتاج إلى شرح لغموض بعض ألفاظها أو عباراتها. كقوله في تفسير كلمة حصان: «حَصّان مثل رَزَان ولا يقال للمرأة حصينة كما أنه لا يقال لها رزينة». فكلمة (رزان) لا تفسر غيرها لغموضها. وكذلك قوله في تفسير (حضيرة): «وهي أشبه ما تكون بالفورم form». وقوله في تفسير الطنبور بأنه «آلة موسيقية من آلات الطرب لها عنق طويل وستة أو تار من النحاس مثل المندولين»، وقوله في تفسيره المطول لكلمة (احتفز).

يقول في تفسير هذه الكلمة: «(احتفز يحتفز احتفازاً) الرجل في مشيته تدافع فيها فاحتث

واجتهد. واحتفز الرجل في جلوسه أو سجوده جمع بعضه إلى بعض وتضام وتبسط، ومنه قول علي رضي الله عنه عن صلاة المرأة: «وإذا صلت المرأة فلتحتفز» أي تتضامّ ولا تخوّي كما يُخوّي الرجل». ففي هذا التفسير كلمات أو تعبيرات غير مألوفة أو غامضة تحتاج بنفسها إلى إيضاح، مثل (احتث، تتضامّ، تخوّي)...[89].

ومما قد يرتبط بما سبق ذكره ورود تعبيرات شارحة ركيكة أو غير مألوفة، كما ورد في تفسير كلمة (انحطّ) قوله: «انحطّت الطائرة أي نزلت». فهذا التعبير في الغالب غير مستساغ أو غير مألوف في التعبيرات المعاصرة، إذ المعتاد أن يستعمل هذا اللفظ بمعنى الضعف أو الهبوط والانحدار المعنوي، فيقال: فلان منحط الخلق أو السلوك، أو منحط بمعنى فاسد سافل، بينما يقال: «حطت الطائرة في المطار، أي هبطت أو نزلت»، كما ورد ذلك في المعجم نفسه.

3 - وردت في المعجم أمثلة قديمة كثيرة، غالبها من الشعر الجاهلي الذي لا يفهمه أو يدرك مضامينه إلا من كانت لديه ثقافة أدبية جيدة، توارثها اللغويون والمعجميون القدامى وقلدهم فيها بعض المعجميين المعاصرين، رغم عدم ملاءمة بعضها لروح العصر أو عدم وضوحها على النحو المطلوب، ربما لعجزهم عن الإتيان ببدائل حديثة لها مستقاة من لغة العصر الفصيحة السليمة[90].

4 - بالإضافة إلى عدم الأخذ بنظام ترقيم معاني الكلمات المتبع في عدد من المعاجم الحديثة فإن هذه المعاني كثيراً ما تسرد في هذا المعجم دون مراعاة لترتيبها حسب نسبة شيوعها أو مقدار أهميتها. فقد ورد في تفسير كلمة (حشى) على سبيل المثال «الحشى هو الربو أو النهيج الذي يعرض للمسرع في مشيته من ارتفاع النفس وتواتره. والحشى ما دون الحجاب الحاجز مما في البطن من أمعاء ومعدة وكبد وطحال. ويقال هو لطيف الحشى، أي ضامر البطن أهيف»[91] فالمعنى الثاني هنا هو الأولى بالتقديم، لأنه الأكثر شيوعاً كما هو بيّن وليس المعنى الأول.

5 - المقابلات الإنكليزية التي تورد في المعجم لا يخضع ذكرها لضابط أو معيار معين في الغالب، فهي وإن كانت تذكر لبعض أسماء النبات والحيوان والصفات أو المظاهر الطبيعية والأجهزة والأدوات الحديثة وأمراض العصر، إلا أنها تذكر في أحيان كثيرة

لأسماء أو صفات وألفاظ عربية أخرى مختلفة أيضاً. كما أن بعض هذه المقابلات وبعض المصطلحات الإنكليزية الأخرى المذكورة غير معروفة، أو غير معترف بها لدى المؤسسات اللغوية[92].

6 - تذكر في المعجم ألفاظ وتعبيرات واستعمالات لغوية عامية كثيرة دون أن تنسب إلى جهاتها اللهجية أو الإقليمية المتداولة فيها، حيث يمكن استعمالها أو يصبح التعبير بها مقبولاً أو مستساغاً، فيكتفى في الغالب في حالة ذكر استعمالات بعض هذه الألفاظ بالقول «وهذا هو المعنى المستعمل الآن بين الناس» أو «والناس يقولون». لقد ورد في تفسير كلمة (تخ) على سبيل المثال: «تخ العجين أيضاً اختمر كثيراً حتى فقد تماسكه وصار كالطين الرخو لا يتماسك. وهذا هو المعنى المستعمل الآن بين الناس. ويقال ضرب الرجل الأسير حتى تخ، أي حتى ارتخى وانحل تماسك جسمه (أي جسم الأسير) فهو تاخ، والناس يقولون: تأخخ»[93]. وهكذا ورد في ذكر استعمال العامة لكلمات مثل: جخّ، طخّ، طبطب، وطبنجة. لهذه الكلمات وأشباهها استعمالات محلية خاصة لا تقبل أو لا تستساغ على المستوى اللغوي العام الفصيح، لذلك كان يجدر نسبتها إلى جهاتها المتداولة فيها.

إضافة إلى كل ما سبق ذكره فإن المعجم لا يخلو من الصيغ والأوزان النادرة أو القليلة الاستعمال في اللغة قديماً فضلاً عنه في عصرنا الحاضر. كما أنه لا يخلو من الحشو في الشرح أو التفسير، أما في ما عدا ذلك فهو يعتبر بلاشك معجماً حديثاً عاماً جيداً يمكن أن يجد فيه الباحث والطالب المتقدم في مراحل تعليمه وطالب المرحلة الإعدادية أيضاً الكثير من الألفاظ والمعاني الحديثة والكثير من التفسيرات النافعة وبعض الصيغ والأوزان اللغوية والفوائد الأدبية التي قد لا يجدها في معجم حديث آخر، ولاشك أن القارئ الشامي يجد فيه الكثير من المفردات والصيغ اللغوية المقربة من الفصحى والمصطلحات المسيحية المتداولة بين أهل محيطه وبيئته في نطاقها العام، مبسطة المفاهيم واضحة المعاني بارزة الحدود جميلة الإخراج.

11 - المحيط: معجم اللغة العربية

جاء وضع هذا المعجم من منطلق الشعور بأن المعاجم القديمة على غناها وجودتها مقصرة عن

استيعاب الجديد من المعرفة ومدلولاتها ومفرداتها المستحدثة. وأن معارف البشر تتطور وتتنامى باطراد مما يملي على اللغة أن تتطور معها وتنمو لتستوعب كل جديد فيها. (وقد اغتنت اللغة العربية بالألوف من الكلمات والتعابير الجديدة، بعد إطلاق القياس وإفساح المجال لاشتقاقات جديدة، وتحرير السماع من قيود الزمان والمكان، وتوليد ألفاظ، وتعريب أخرى وحققت بذلك قفزة نوعية)، استتبعت تأليف معاجم لغوية خاصة ومعجم لغوي جامع شامل، يستوعب كل ما اتسعت له اللغة العربية من خبرات ومعارف في الماضي وفي شؤون الحياة المعاصرة. ويواكب في ترتيب مفرداتها معاجم اللغات الحية العالمية وتسد حاجة قائمة عند جماهير القراء من أهل اللغة أو الناطقين بها أو متعلميها[94].

صدرت الطبعة الأولى من هذا المعجم فيما يبدو عام 1993م، ثم أعيد طبعه عام 1994م. وقد ظهر في طبعته الثانية وهي الطبعة المعتمدة في هذه الدراسة في (1372) صفحة، بثلاثة أعمدة في كل صفحة، ووزعت صفحاته هذه على ثلاثة أجزاء من القطع الكبير ظهرت في حلة أنيقة جميلة، حيث جلدت تجليداً فاخراً، وطبعت على ورق أبيض ناصع طباعة عصرية متطورة تتضح بها الحروف وعلامات الترقيم وتبرز الكلمات بنحو يبعث على الراحة والرضا. كما زينت بمجموعة من الصور الملونة التي تعبر عما حققه الإنسان من مبدعات وتجديدات وتقنيات، وتبعث على المزيد من الانجذاب للمعجم والارتباط به.

وقد صدر المعجم بعد المقدمة التي تعرف به وبخطوات منهجه بقائمة بالإشارات والرموز المستخدمة فيه. ثم بالمامة موجزة تقع في (17) صفحة، في النحو والصرف والإملاء، تتضمن الحديث عن وزن الكلمة وما يطرأ عليها من زيادات، وعن الفعل وتفرعاته وصيغه وأحكامه، وعن الاسم وأنواعه وإفراده وتثنيته وجمعه وتعريفه وتنكيره وصرفه ونسبته وتصغيره. ثم عن الحرف وأقسامه، هذا بالإضافة إلى أحكام متفرقة في الكتابة والإملاء ورسم الحروف.

ويضم هذا المعجم زهاء (40) ألف مفردة. مشروحة بأسلوب مبسط واضح ومرفوقة باستشهاد من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ومن شوارد الحكم والأمثال والمأثور من نماذج الأدب العربي - شعراً ونثراً. وقد تضمنت مفرداته طائفة كبيرة من ألفاظ الحضارة ومفاهيمها الحديثة ومن المصطلحات الجديدة في مختلف ميادين المعرفة وعلوم العصر، مما اعتمدته مجامع اللغة العربية ومؤتمرات التعريب التي تدعو إليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وما شاع تداوله

في وسائل الإعلام الجماهيري ولدى الكتاب المعاصرين. ويشتمل المعجم بالإضافة إلى ذلك على ما يناهز المائة والخمسين (150) لوحة مصورة من شأنها أن تغني المعجم (كما جاء في مقدمته) بألوف من المفردات والمصطلحات الإضافية من عالم الأحياء والنبات والفضاء والبحار والآلات وتقنيات، مما يسهم في إغناء اللغة العلمية ويعين الباحثين وأساتذة الجامعات والطلبة الجامعيين والدارسين في مختلف ميادين المعرفة.

أما من حيث المنهج فقد رتبت مفردات المعجم على وفق النظام الألفبائي النطقي، فوضعت بحسب تلفظها أو كتابتها وبحسب التسلسل الألفبائي الهجائي لحروفها، وروعي في هذا الترتيب تسلسل حركات عين الكلمة: السكون، فالفتحة، فالضمة، فالكسرة، أي (حَسْبُ، حَسَبَ، حَسُبَ، حَسِبَ). وقد وضعت المفردة (الفعل) بصيغة الماضي والمضارع والمصدر أو المصادر، كما ميزت المداخل كلها مع جميع ما ضم إليها من صيغ عن الشروح بالشكل التام وبكتابتها باللون الأسود الغامق، مما يسهل العثور عليها. وظهرت الكلمات في المعجم مع كثير مما يمكن أن يتولد عنها من اشتقاقات وصيغ قياسية مستخدمة أو قابلة للاستخدام، وفسرت بمفاهيمها القديمة ثم الحديثة ومعانيها الحسية ثم العقلية والحقيقية والمجازية في الغالب، ضمن عبارات مبسطة محددة وجمل سياقية مقتضبة مستقاة من واقع الحياة المعاصرة، وأرفق بعضها بشواهد ونصوص شارحة، دون إفراط أو إسهاب أو استطراد يثقل على القارئ أو يشتت ذهنه أو يحوجه إلى كثير من التفكير في فحوى الشاهد، على نحو ما رأيناه في عدد من المعاجم السابقة الذكر..

رغم تعدد أجزاء هذا المعجم وثقل وزنه وضخامة حجمه نوعاً ما على الناشئة وعامة المثقفين ممن لا يمتلكون الحلم الكافي والصبر على التفتيش والتنقل بين الأجزاء المختلفة في سبيل العثور على المفردة اللغوية، فإنه يعد بحق إضافة قيمة في العمل المعجمي العربي. كما نوه بذلك الدكتور محيي الدين صابر المدير العام الأسبق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مقدمته لهذا المعجم . فمادته الثرية الواسعة تكشف عن مرونة العربية وأصالتها وغزارة مفرداتها، وتشارك مشاركة فعالة في إغناء هذه اللغة بالمزيد مما أبدعه الفكر الحديث من مفاهيم وما يقابل هذه المفاهيم من ألفاظ وصيغ وتراكيب ومصطلحات، وهي بذلك يمكن أن تسهم إسهاماً كبيراً في تثقيف الناطقين بها ودارسيها بمختلف تخصصاتهم. كما أن منهجه العصري الميسر يجعل هذه المادة الوفيرة قريبة من طالبيها محببة إليهم، إلا أنه ليس لأي عمل معجمي نهاية، فهو ولادة متواصلة.

كما يصرح مؤلفو المعجم في تقديمهم له، «ويترتب على أجيال واضعيه والمشرفين عليه أن يتعهدوا تطويره باطراد، فيضيفوا إليه الجديد، وينقحوا من مفرداته ومعانيها..»[95].

من هذا المنطلق نسير على النهج الذي سلكناه في هذه الدراسة مع المعاجم الأخرى السابقة ونذكر بعض ما رأيناه يمثل جوانب ضعف في هذا المعجم، على أمل المشاركة فيما يمكن أن يحقق له المزيد من الجودة والارتقاء مضموناً وشكلاً.

1 - في المعجم طائفة من الكلمات النادرة الاستعمال أو الحوشية، أو التي حصر استعمالها ضمن حدود إقليمية ضيقة، أو التي لها بدائل مستساغة جميلة التلفظ، وذلك مثل: (جيثل وجيثلة بمعنى الضبع. والجلفاط أو الجلفاظ: أي ما تسد به حزوز السفينة من خيوط وزفت وقار... الجُنثى بمعنى الحداد. الألوس بمعنى الطعام القليل. الحفيل بمعنى الكثير، المخادش بمعنى الهر. أقهب إقهاباً بمعنى أمسك عن الطعام، جيض -تجييضاً بمعنى مشى متبختراً، تهائم، يتهائم تهائماً بمعنى تهاتر، تخوش بمعنى هزل بعد سمن. أقعث يقعث إقعاثاً في ماله أسرف...). إضافة إلى ذلك فقد حشرت في المعجم نتيجة للتوسع في القياس طائفة كبيرة أخرى من الصيغ والاشتقاقات اللغوية النادرة الاستعمال هي الأخرى، وربما لا سابق للعربية بها أصلاً، أو أن في صياغتها من أصولها تمحل وتعسف يخرج بها على الذوق اللغوي المعتاد. وهذه مثل: (ادجوجن يدجوجن ادجيجاناً: أي السحاب اشتدت ظلمته وأمطر. اقلولى يقلولي اقلولْ اقليلاء: الطائر ارتفع ـ الرجل على الجبل صعد. جام يجوم جوماً: طلب شيئاً خيراً كان أو شراً. استلفج يستلفج استلفاجاً: أي أفلس وخاف. استليث يستليث استلياثاً: أي صار كالليث والأسد، استلاط يستليط استلط استلاطة: أي ادعى. استلوى يستلوي استلوِ استلواءً أي أباد...).

إن وجود مثل هذه الكلمات وهذه الاشتقاقات يمكن أن يثقل على الطبقات المبتدئة والوسطى من المتعلمين أو حتى على عامة المثقفين؛ حيث إن بعدها عن الاستعمال ومجافاتها لذوق العصر ربما يحسسهم بعبثية وجودها في المعجم أو بالتحذلق في استخدام ألفاظ اللغة، ومن ثم ينفرهم منها ومن المعجم نتيجة إلى هذا العامل النفسي. هذا إضافة إلى أن وجود مثل هذه الكلمات عامة يزيد من ثقل المعجم ومن حجمه مما تدعو مثل هذه الفئات إلى البطء في العثور على ما يعنيهم ويهمهم من المفردات.

2 - الصيغ التي ضمت إلى أفعالها في المعجم لا يمكن العثور عليها كلهابحسب نطقها، ولابد للمراجع من معرفة الأفعال منها قبل البحث عنها. وربما كان ذلك غير متيسر أو غير سهل بالنسبة للمراجع المبتدئ. وإذا كان الغرض من اتباع النظام النطقي هو التيسير وتسهيل العثور على المادة اللغوية، فإن هذا النظام هنا بهذا الإجراء غير مطبق بنحو كامل واف.

3 - يؤكد واضعو المعجم اهتمامهم بوضوح التفسير ودقته ومجاراته لروح العصر «بحيث لا يقع القارئ عند بحثه عن معنى الكلمة على نص غامض يحتاج بدوره إلى شرح وتفسير». ولكن معجمهم في الحقيقة لم يخل مما سعوا لاجتنابه من التفسيرات الدورية الغامضة، وتعريف الكلمة بكلمة أخرى ليست بأقل منها في الغموض، أو تعريفها بنفسها أو شرح معناها والاستشهاد عليها بنصوص تشتمل على كلمات تحتاج بدورها إلى تفسير. من مثل قوله: الجُنشيّ = الزرّاد. تنول = تكلف الجود. تهاتم = تهاتر. جامع المرأة = واقعها. وقوله: المحنوش = الذي لدغه الحنش. الحيض = المحيض. البهرم = العصفر أو صبغه بالعصفر. الهضاض = الفحل من الإبل يصرع الرجل والبعير ثم ينحي عليه بكلكله. الهضض = كسر دون الهدّ وفوق الرضّ. الهضاء = جماعة من الناس والخيل ــ كقول الشاعر:

إليـــه تلجأ الهضّاء طرّاً فليس بقائل هجراً لحادي

إن الكلمات: الزرّاد، تهاتر، واقعها، الحنش، المحيض، العصفر، كلكله، الهدّ، هجراً، لحادي... لا تقل في مستوى غموضها عن الألفاظ التي جاءت لتفسرها، وإذن فلابد للقارئ من البحث عن معانيها في أماكنها من المعجم، ليتعرف بدوره على معاني الكلمات التي جاء في الأصل يبحث عنها. وبذلك يصبح التفتيش مضاعفاً والعثور على معنى الكلمة بطيئاً معقداً مجهداً.

4 - يضم المعجم كما سبق القول مجموعة كبيرة من الصور الملونة «تعبر عما حققه الإنسان من مبدعات وتجديدات» ويوضح بعضها مسميات وتفاصيل دقيقة لأشياء مهمة بأسمائها أو ألفاظها العربية الفصيحة المناسبة، وذلك مثل: أعضاء جسم الانسان وأجهزته وعدد من الأدوات والآلات الحديثة الحساسة كالكاميرات بأنواعها المختلفة والأجهزة السمعية والبصرية عامة والمعدات المتعلقة بالطاقة وغيرها. إلا أن هذه الصور عامة وحسب اعتراف

المؤلفين أنفسهم (مخصصة للمعاجم الموسوعية العالمية). كما أن بعضها كبير نسبياً، يستوعب مساحة ملحوظة من المعجم وجزءاً مهماً من حجمه ووزنه بلاشك، ولاسيما أن هذه الصور مطبوعة على ورق صقيل وسميك نسبياً علماً بأن طائفة من هذه الصور ليس لها وظيفة مهمة في المعجم، أو لا دخل له بمواد مرفقة مشروحة فيه، كأن تكون صور لاعبين رياضيين مشهورين مثلاً، أو مشاهد لملاعب رياضية وحقول ومصانع ومحطات وأعلام للدول أو معالم معمارية حديثة وأسلحة أثرية وما إلى ذلك[96]. علاوة على ذلك فإن طائفة من هذه الصور مشروح عليها بألفاظ عربية أو أجنبية دخيلة تحتاج نفسها إلى شروح إضافية لإدراك معناها على النحو الأكمل. وهذه الشروح قد تكون موجودة في المعجم ولكنها بعيدة عنها ويحتاج العثور عليها إلى بحث وتفتيش إضافي.

رغم هذه الملاحظات فإن «معجم اللغة العربية» يبقى مميزاً بمادته الواسعة ومنهجه الميسر نسبياً وشكله الفاخر الجميل ومستواه المناسب لطوائف عديدة من المثقفين والمتعلمين، ولاسيما المتقدمين في مراحل تعليمهم، ولو اتبع سبيل القصد في تتبعه للكلمات القديمة وفي اتخاذ منهج القياس في صناعة الصيغ اللفظية وفي استخدام الصور الموضحة والاقتصار على الضروري منها، لكان أقل حجماً وأنسب ثمناً وأشد جاذبية لفئات المتعلمين وأكثر دوراناً بينهم ومن ثم أكثر أثراً في الارتقاء بلغتهم وبثقافتهم عامة.

12 - معجم «لغة العرب»

«لغة العرب» معجم لغوي عام مطول، وضع فيما يبدو نتيجة لشعور مؤلفه كما يصرح هو نفسه (بأن الدعوات الرصينة المخلصة لإيجاد معجم جديد لمفردات اللغة العربية لم تلق ما تستحق، وأن محاولات التجديد السابقة لم تكن بالمستوى المأمول، والعربية ما زالت بحاجة إلى معجم ينطلق من تصور شامل ويقدم معاني الألفاظ تقديماً علمياً دقيقاً راقياً، على وفق هندسة متكاملة ومخطط متماسك، من دون السقوط في آفة السطحية بحجة التجديد أو آفة التقعر بحجة المحافظة. معجم لا يقف عند حدود الجمع والنسخ ولا يتنكر لما هو دقيق وأصيل وصحيح، وإنما يوازن بين الاقتباس والتجديد فلا يرفض القديم لقدمه ولا يتلقف الجديد لحداثته)[97].

صدر هذا المعجم في طبعته الأولى عن مكتبة لبنان ناشرون عام 1993م ضمن ثلاثة أجزاء

من الحجم المتوسط، في طباعة جيدة وحرف واضح نسبياً وبمقدمة مطولة تحتل (28) صفحة من جزئه الأول، تحدث فيها المؤلف بإسهاب عما تطلع إليه من تأليف معجمه، وعن شوائب المعاجم العربية وما قاله بعض الباحثين عن هذه الشوائب، وما عددوه منها، وناقش بعضها موضحاً في أثناء ذلك المنهج الذي اتخذه في معجمه ومبررات اتخاذ هذا المنهج، ثم أعقب ذلك بذكر مجموعة من الإرشادات تبين للقارئ نظام المعجم أو الخطة التي يسير عليها في ترتيب المفردات اللغوية بأنواعها وأشكالها الصرفية المختلفة.

وقد أريد لهذا المعجم أن يكون جامعاً شاملاً، فيه من القديم ما أجمعت عليه أمهات المعاجم، حتى الألفاظ النادرة أو الحوشية غير المأنوسة، ومن الحديث ما أملاه واقع التطور وتشابك الحضارة مادة ومفهوماً واستخداماً. وأن يستقصي جميع ما وجد للكلمة من مترادفات واشتقاقات وما تفرع عنها من صيغ، حتى الشاذ والمهجور منها، لأن الغرابة والحوشية والندرة، كما يقول مؤلف هذا المعجم: «تقوم على اعتبارات بلاغية لا وصفية علمية، فالمهجور مثلاً قد تنفخ فيه الحياة، والمستخدم قد يهجر»[98]. وقد تضمنت الألفاظ الحديثة التي اشتمل عليها المعجم مئات المصطلحات من مختلف العلوم والمعارف والفنون ومن لغة الصحافة والإعلام، وطوائف من الكلمات والتعابير الدخيلة الشائعة، هذا بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الألفاظ والتراكيب العامية الدارجة والتعابير المحلية.

وعلى الرغم من التشابه النسبي بين هذا المعجم والمعاجم القديمة الواسعة من حيث التتبع والاستقصاء والشمول، فإنه لم يلتزم بذكر الأعلام ولا بغير المشهور من أسماء الأصوات، ولم يتقيد بذكر المشتقات القياسية كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة، إلا ما يحمل منها أكثر من دلالته الاشتقاقية القياسية أو يخرج عن سمته الخاصة إلى صفة لغوية أخرى.

أما بخصوص المنهج فقد رتبت مفردات هذا المعجم بحسب جذورها وأوائل أصولها. وميزت المداخل كلها عن الشروح والتفسيرات باللون الأزرق الفاتح. لا فرق في ذلك بين الأصول والفروع ولا بين الأفعال والأسماء. ولتذليل المشقة التي قد يعاني منها البعض في البحث عن الكلمات الدخيلة أو التي أصابها الإعلال أو الإبدال عامة، فقد توسع المعجم في نظام الإحالة. وذلك بذكر الكلمة بصورتها المنطوقة أو المكتوبة، ثم إحالتها إلى بابها الخاص، حيث تشرح أو توضح. فمادة (بورجوازية) مثلاً نجدها بصورتها محالة، ونجدها في باب (ب ور) مشروحة. ومادة (ثقة)

التي أصابها إعلال بالحذف والتعويض نجدها كذلك بصورتها محالة، وفي بابها الخاص (وث ق) مشروحة، وهكذا الكلمات: تراث، الابن، التمساح، أحاق، البانية، الباغة، الجُمان، البازيّ...

ويجري المعجم في ترتيب الصيغ والمشتقات المتفرعة على نحو ما تسير عليه معظم المعاجم التي تتبع النظام الهجائي الجذري، فيبدأ بذكر المضارع والمصدر من الكلمة إذا كانت (فعلاً)، ويقدم الثلاثي المجرد على المزيد، وترتب المزيدات حسب عدد حروف الزيادة فيها بنحو متدرج... وهكذا. أما بالنسبة للشرح والتفسير فإن المعجم يبدأ في العادة بذكر نوع الصيغة كتابة، ثم بتعريفها، إما بذكر مرادفها أو بشرحها بأسلوب مبسط وتعبير عصري. علماً بأنه ليس لهذا المعجم في الحقيقة نظام ثابت مطرد في هذا الشرح، وإنما يطول ويقصر حسب طبيعة المادة وما ورد لها من معان، ولكنه أحياناً يكون تفصيلياً موسوعياً أو شبه موسوعي، ولاسيما المصطلحات وأسماء الحيوان والنبات خاصة. وأحياناً أخرى يكون أشبه بالجمع الحاشد لكل ما وجد أو سمع للكلمة من صيغ أو استعمالات وتفسيرات.

وليس في المعجم التزام بترتيب المعاني حسب شيوعها المألوف، ولا بتقديم الحسي منها على العقلي أو الحقيقي على المجازي أو اللازم على المتعدي، كما هو جار في المعاجم العربية الأخرى المشهورة. ولكنه يحرص بصورة ملحوظة على إضافة المعاني المستحدثة أو المستعملة للكلمة وعلى استقصاء معانيها المجازية من دون تمييز، وعلى بيان أصلها إذا لم تكن من أصل عربي، وعلى مجال استعمالها إذا كانت اصطلاحاً مرتبطاً بحقل معرفي معين. وقد يعمد إلى بيان حكمها الصرفي أو النحوي أو حكم كتابتها إن كان لها حكم خاص أو شاذ.

ويستطرد المعجم أحياناً في بيان بعض الفوائد اللغوية المتعلقة بالمفردة، من منطلق الاعتقاد بأن «المعجم اللغوي الجامع كتاب يشرح معاني المفردات ويزود القارئ بدقائق لغوية يساعد في فهم فقه اللغة، وفوائد تعين على بلوغ الأساليب الإنشائية الرفيعة، ومعلومات صرفية نحوية تكشف له أسرار الألفاظ مفردات وتراكيب»[99]. وفي المقابل فإن المعجم يقتصد في الاستشهاد إلى حد كبير نسبة إلى المعاجم الواسعة الأخرى، ولاسيما الاستشهاد من القرآن والحديث النبوي الشريف.

يمكن القول بنحو مجمل بأن «لغة العرب» يشبه إلى حد كبير معجم «محيط المحيط» ومعجم «البستان» اللذين سبق الحديث عنهما، من حيث الشمول والسعة، ومن حيث الجمع بين

القديم والحديث من المفردات العربية وبين ما استعمل في الماضي والحاضر من الصيغ والتعابير طمعاً في تحقيق مبدأ التكامل.. فقد جمع «لغة العرب» بين الوحشي والنادر والشاذ والمهجور من ألفاظ العربية واشتقاقاتها وصيغها، وبين الجديد المستعمل والعامي المشهور، وبين الفصيح الأصيل والمستورد الدخيل، ثم بين العام والخاص. وإن تميز هذا المعجم عن المعجمين السابقين بحداثة عهده وزيادة محتواه من الألفاظ المستحدثة أو الجديدة، وبالاهتمام ببيان أصول الكلمات المقترضة ومجالات استعمال المصطلحات والاختصار في الشواهد والتقليل من الحشو..

أما بالنسبة للمعاجم الوسيطة من أمثال «المعجم الوسيط» الذي أصدره مجمع اللغة العربية، و«المعجم العربي الأساسي» و«المنجد» و«الرائد» وغيرها، فقد تميز هذا المعجم عنها بضخامة محتواه وغزارة مادته، وإن كان معظم المفردات التي اختص باستيفائها أو ذكرها بعيدة في الواقع عن الاستعمال، لا تنفع الطلبة ولا عامة المثقفين، وإنما تحسسهم بدلاً من ذلك بجفاف اللغة ووعورتها. وهي تحتاج إلى وقت طويل وجهود مكثفة في التداول والاستعمال لتنتعش وتعود لها الحياة، فالكلمات والصيغ التي مازالت مدلولاتها أو مفاهيمها باقية تزاحمها بدائلها المستحدثة. ومن الصعب أن يستسيغ الذوق الحضاري الجديد كلمات من مثل: الجرثفي، والجرائف. ابرندع، اليرزاع، البربريس، البربيطاء، البرثجانية، برثط، برثم، جخمط، الجحمظة، جحنب، الجحنبار، جحنش، الجحنفل. أما الكلمات والصيغ اللغوية التي انطمست أو هجرت مدلولاتها وتغيرت ظروف ومواطن استعمالها فمن الصعب أن تقحمها في لغة العصر.

لقد أقر مؤلف «لغة العرب» في مقدمته لمعجم «البستان» لعبد الله البستاني بوجوب تصفية المعجم الحديث من الألفاظ الحوشية والشاذة والبعيدة عن الاستعمال، وصرح بضرورة أن لا يبقى المعجم المعاصر «إلا ما هو جدير بالبقاء، واحتواء الجديد المناسب لتعقد الحياة واتساعها»[100] ولكنه خالف ما أقره، وحشا معجمه بالكثير مما يجدر أن يخلو منه كمعجم معاصر، ليحقق رغبته في إصدار معجم يعد «أكبر معاجم اللغة العربية على الإطلاق» كما يصرح بذلك نفسه.

وعلى ضوء ما سبق ذكره فإن هذا المعجم، بمادته الضخمة وأجزائه الثلاثة المنفصلة وصفحاته المتخمة يمكن أن يكون معجماً جيداً لطوائف من خاصة الدارسين والمثقفين، ممن يمتلكون الصبر والحلم على البحث والتفتيش أكثر من كونه معجماً وسيطاً للطلاب أو عامة المثقفين؛ حيث إن هؤلاء يتطلعون في الغالب إلى السرعة في الوصول إلى المفردة وإلى تحديدها دون تعقيد أو استطراد

أو تفصيل، ويحتاجون إلى معجم يمدهم بالمفردات الحية الفاعلة التي تمكنهم بالدرجة الأولى من التواصل مع غيرهم بلغة العصر المألوفة وتحسسهم بقرب لغتهم من الواقع المعاش وبالتجاوب والتفاعل مع ليونة الحضارة وترفها ومتطلبات الحاضر وظروفه. وفي هذا المعجم بعض ما يحول دون تحقيق ذلك، نذكر منها بنحو من الإيجاز:

1 - ربما يكون من الصعب على طالب عصري في المرحلة الثانوية أو حتى الجامعية أن يأنس بمعجم يبحث في صفحة منه عن كلمة (تجَمَّل) فيجد هذه الصفحة مليئة بكلمات غريبة جافية من مثل (جمعرَ، الجمعَرَة، الجمعور، الجمعورة، جمعل، الجمعلة، الجمعليل، جمك، الجامكية)، يمر بها قبل أن يصل إلى (جَملَ وتجمّلَ). أو أن يبحث عن كلمة (الجحيم)، فيواجه كلمات مثل: الجحمرش، الجحموش، الجحمظة، الجحنبار، الجحنبارة، الجحنفل، أو الجحمة بلغة حمير والجحمة بلغة أهل اليمن..) إن هذه الكلمات تحسسه ببعد لغته عن واقع العصر وذوقه، وتقلل من رغبته في الرجوع إلى المعجم الذي يضمها إن لم تنفره منه.

علماً بأن المعجم لا يضع مثل هذه الكلمات ولا غيرها في تعبيرات مقتبسة وجمل سياقية بلغة عصرية تقرب مفاهيمها من ذهن المراجع وتظهر له إمكانية تداولها أو استخدامها في نشاطاته اللغوية الحاضرة.

2 - لقد توسع المعجم في نظام الإحالة وحل جزءاً من المشكلة التي يواجهها بعض الطلبة أو تلاميذ المدارس تجاه تحديد أصول الكلمات الدخيلة أو التي أصابها إعلال أو القلب، ولكنه بهذا التوسع أصبح معجماً ضخماً ثقيلاً، حيث احتلت الإحالات الكثيرة حيزاً كبيراً من مساحته وزادت من حجمه ووزنه وأصبح من اللازم على الطالب أن يتنقل بين أجزائه الثلاثة ويمر بالعدد الكبير من الإحالات التي تزيد فيه على (12) إحالة في الصفحة أحياناً إضافة إلى ذلك الحشد الهائل من الكلمات الحوشية والاستعمالات الغريبة والصيغ الشاذة والمعاني النادرة، حتى يعثر على الكلمة أو الصيغة اللغوية التي يبحث عنها.

3 - وربما يزيد الطالب نفوراً ذلك الشرح الموسوعي وتلك الاستطرادات والتفصيلات أو ما

سماه المؤلف بالمصاحبات اللغوية التي لا يرجح أن يكون للطالب حاجة بها إلا فيما ندر، فما هي حاجة هذا الطالب في معرفة أن «الذَّوبة المرة من الذَّوب أو ذُوب وردت قياساً عند الفرّاء وسماعاً عند جمهور النحاة». أو أن كلمة (الذرية) «وزنها فعليّة من ذرأ أو ذر أو فعيلة من ذرأ أو فعلولة من ذرّ»، فهو لا يبحث إلا عن معنى الكلمة، ولا حاجة له بما دار من نقاش أو خلاف حولها أو حول صياغتها. لاشك أن لبعض هذه الاستطرادات أو الفوائد اللغوية منفعة بالنسبة لبعض الطلاب المختصين أو المهتمين. إلا أن الغالبية منهم، لا يرغبون أو لا يتوقعون أن يروها في كتاب خاص بتفسير مفردات اللغة.

4 - رغم حرص مؤلف المعجم على تبسيط عبارة الشرح وتفادي تفسير الغامض بالغامض والتعريفات الدورية المحيرة فإن معجمه لا يخلو من هذه الشوائب، وإن كانت قليلة قياساً إلى كثير من المعاجم السابقة الذكر. ومن هذه التفسيرات قوله:

البهرم: العصفر . والديثان: الكابوس. والدّيناني: الدّيثان. والخالع: الهشيم الساقط من الشجر و النواء في عرقوب الناقة. وتديث: فلان قاد على أهله... لا يعتقد أن تكون المرادفات المفسِرة هنا أكثر شيوعاً وتداولاً من الكلمات المفسَرة، ولابد للمراجع في أغلب الاحتمال من أن يفتش عن معاني كل من: العصفر، تديث، الكابوس، الدّيثان، الهشيم، عرقوب، ومعنى قاد في هذا السياق، ليستوعب معاني الكلمات التي جاء في الأصل يبحث عنها، هذا إن وجد لديه الصبر والحلم والرغبة في ذلك.

ومع قلة استشهاد هذا المعجم بالشعر ترد فيه أحياناً أمثلة شعرية تحوي كلمات غامضة تحتاج بدورها إلى تفسير، مثال ذلك ما ورد في تفسير كلمة (تبطّح): «تبطح فلان: نزل الأبطح. و- السّيل: اتسع في البطحاء، قال ذوالرمة:

ولا زال من نوء السِّماك عليكما ونوء الثريّا وابلٌ متبطِّحُ

لقد أضيف إلى غموض الكلمة المفسَّرة في هذا المثال غموضٌ آخر، تمثل في كلمتين على الأقل في البيت المستشهد به، وهما (نوء) و(السماك)؛ إذ لا يرجح أن تكون هاتان الكلمتان أكثر حظاً في الوضوح من (تبطّح).

ومن تفسيراته الدورية قوله في تفسير كلمة (البَطَرُ): «البَطَرُ: مصدر بَطِرَ، يقال: ذهب دمه بطراً أي مبطوراً». ثم يقول في تفسير كلمة (بَطِرَ) البَطِرَ: ذو البَطَر. فنرى هنا أن القارئ لا يخرج بطائل من هذا التفسير.

5 - يشرح المعجم بعض المفردات اللغوية أو يبين أصولها أحياناً بنحو غير واف، أو بطريقة توجب حيرة المراجع أو تردده، كما توحي بعدم استقرار المعجم على رأي أو عدم تثبته ودقته، كقوله مثلاً: «تبرجت المرأة: أظهرت محاسن جيدها ووجهها، وقيل أظهرت زينتها للناس الأجانب». و«الجاحم من الحرب معظمها، وقيل: ضيقها». أو قوله في أصل كلمة (البابوس) «سريانية أو فارسية أو رومية» وأصل كلمة (الباغة) «فارسية أو تركية»، وأصل كلمة (بابا) «فارسية أو أصيلة»...

6 - لا يتقيد المعجم بذكر أسماء الأصوات ولا بذكر أسماء الأعلام، لأنها كما يقول مؤلفه: من اختصاص الموسوعات، بينما يعنى كثيراً بذكر ما يتعلق بالشعر والغناء والموسيقى والصحافة والإعلام من معلومات، استعارها كما يقول المؤلف نفسه أيضاً من موسوعات ودوائر معارف. وبذلك يقع مؤلف هذا المعجم فيما سعى لاجتنابه من التناقض، كما ويغفل جانباً مما يفترض أن يضمه المعجم اللغوي وهو الألفاظ المتعلقة بأسماء الأصوات.

وهكذا اشتمل هذا المعجم على عدد مما عدّه مؤلفه من الشوائب وعاب به المعاجم العربية السابقة من مثل التقعر، والنقص في التفسير، والتفسير الدوري، وتفسير الغامض بالغامض، والتضخيم، هذا بالإضافة إلى خلط الحقيقة بالمجاز وعدم التمييز بينهما في أثناء الشرح، ثم إلى ما يبدو من عدم التزامه بما وضع أو أقر من قبل المجامع اللغوية العربية، وبالإضافة إلى نواقص متعلقة بالطباعة أو الإخراج كعدم ظهور المداخل فيه بنحو موحد من حيث البَنط والشكل الطباعي في أحيان كثيرة، وعدم وضوح اللون الأزرق المميز للمداخل أحياناً على النحو المطلوب. وهذه الشوائب لا تقلل كثيراً من شأن هذا المعجم ولا من الجهود الكبيرة التي بذلت في إعداده والسعي لجعله معجماً شاملاً يرصد الألفاظ والصيغ اللغوية المستعملة بروح تمزج بين التحفظ والتسامح، وإن يكن في شيء من المبالغة.

13 - الكافي

معجم «الكافي» معجم لغوي عام ووسيط من حيث محتواه ومستوى مادته. صدر هذا المعجم

في طبعته الثالثة التي بين أيدينا[101] عن شركة المطبوعات ببيروت عام 1994م. في مجلد واحد مكوّن من 1116صفحة من الحجم الكبير المألوف، بعمودين في كل صفحة و(42) سطراً في كل عمود تقريباً، وطبعة لا تحمد ولا تذم، لأن ورق المعجم فيها أبيض جيد إلا أن الصفحات محتشدة بالأسطر، والكلمات والحروف واضحة دقيقة ولكنها صغيرة متقاربة، لا يرتاح لقراءتها من ضعف بصره أو قل صبره وحلمه. مع شيء من الضخامة في حجم المعجم والثقل في وزنه.

لقد وضع هذا المعجم كما تفيد مقدمته بدافع الإحساس بالحاجة إلى معجم عربي جديد متتبع شامل. وأريد له أن يكون حديثاً في توجهه ومادته، خالياً من الحوشي والوحشي من الكلام، محيطاً بقديم الألفاظ وجديدها، أصيلها ودخيلها، وبكل ما هو مستحدث شائع من اشتقاقات هذه الألفاظ وصيغها واستعمالاتها، وأن يكون بعيداً عن الفوضى في ترتيب المواد وتبويبها، دقيق الشرح واضح التفسير مبسط العبارة، (كافياً) وافياً بما يحتاج إليه عامة المتعلمين والمثقفين في هذا العصر.

رتبت الكلمات في معجم «الكافي» على وفق المنهج الألفبائي النطقي، مع السعي لربط المشتقات بأصولها، وذلك بالإشارة إلى المصدر واسم الفاعل واسم المفعول واسم المرة واسم النوع عندما يكون المدخل فعلاً ثلاثياً. وبذلك فإن الباحث يجد الكلمة على صورة نطقها أو كتابتها ومعها أصلها أحياناً. وقد وضعت المداخل بارزة في بدايات الأسطر، وكتبت ببنط ممدد يختلف قليلاً عن البنط الطباعي المستخدم في الشرح كما ميزت باللون الأزرق الفاتح.

والحقيقة أن هذا المعجم رغم حداثة وجوده وما يدعيه صاحبه من تجديد وتحديث وتطوير ويصفه بالوفاء والكفاية، ليس فيه ما يميزه من المعاجم التي سبق الحديث عنها، لا من حيث المادة، ولا من حيث أسلوب العرض والتبويب والشرح. فإن فيه معظم ما في المعجم الوسيط من المفردات مع زيادات قليلة سبقت المعاجم الأخرى إلى ضمها وتفسيرها. والمنهج النطقي الذي رتبت وفقه هذه المفردات مسبوق إليه كما رأينا، وليس في طريقة الشرح المتخذة في هذا المعجم ما يظهر أي تطور أو تغير فيه إلى الأحسن. ولذلك فإن هذا المعجم يقارب المعاجم الوسيطة الأخرى التي سبقته من حيث محتواه ومن حيث صلاحيته لفئات من عامة المثقفين. ولربما امتاز بعضها كـ «المعجم الوسيط»، «المحيط»، و«الأساسي» عليه بحسن الإخراج والطباعة وقلة الحشو والتكرار وغربلة المادة والأمثلة السياقية والشواهد الصورية وتناسب الحجم وتطور المستوى عامة.

عاب صاحب هذا المعجم في مقدمته المطولة نوعاً ما على المعاجم السابقة دون استثناء القصورَ عن التتبع والتهاون في الشرح وغموض التفسير والاستخفاف بالدقة العلمية والبعد عن لغة العصر وروحه وما إلى ذلك مما هو محل نقاش وأخذ ورد لا تتّسع له هذه الدراسة المختصرة، مع أنه وقع هو نفسه في كل ما عابه على غيره وزيادة. ونستطيع أن نتبين بعض هذه العيوب من خلال المثال الآتي:

ورد في تفسير كلمة (الوفعة) و(الوفيعة) ما نصه:

«الوفعة: صمام القارورة. -: الخرقة التي تقتبس بها النار. -: هنة تتخذ من العراجين والخوص مثل السلة. -: الغلاف. ج: وفاع. الوفعة من الغلمان: المترعرع».

«الوفيعة: صمام القارورة. -: هنة تتخذ من الخوص والعراجين كالسلة. -: خرقة تقتبس بها النار. -: خرقة يمسح بها الكاتب قلمه من المداد. -: قطنة ونحوها تطلى بها الماشية الجربى. -: الحيضة وهي خرقة الحائض».

1 - لقد وقع هنا في ما وقع فيه «المعجم الوسيط» وغيره من الحشو والتكرار والتشتيت بين معاني الكلمة الواحدة من خلال إعادة تفسير وشرح كلمة واحدة لحقها بعض التغير من جرّاء اختلاف النطق. فـ(الوفعة) و(الوفيعة) شيء واحد، ومادة واحدة جاءت بصيغتين أو نحوين من التلفظ من حقهما أن يجمعا ويقال: الوفعة أو الوفيعة:... ولا داعي لفصلهما ما دام يمكن استعمالهما بنفس المعاني. وقد ورد في «تاج العروس» ما يفيد ذلك.

2 - وقع في الخطأ عندما عرف الكلمتين بـ (الهَنَة)؛ فمعنى هذه الكلمة: الشر والفساد، وكناية عمّا يستقبح ذكره ولا علاقة لها بالمعنى المذكور للكلمة. واللفظ البديل أو التعريف الصحيح هو: (السلة أو القفة تتخذ من الخوص أو نحوه). ووقع في الخطأ أو عدم الدقة في التفسير أيضاً عندما عرّف الكلمة المفسَّرة بأنها: «الخرقة التي تقتبس بها النار»، و«قطنة ونحوها تطلى بها الماشية الجربى»؛ إذ الأصح أن يقال: «تقتبس فيها النار» لأن النار تعلق فيها. وليس «تقتبس بها» فتكون مجرد واسطة. كما أن الأصح أن يقال: «صوفة تطلى بها الماشية الجربى. لأن المسح هنا بالصوفة في هذه الحالة المرضية غير المسح بالقطنة. ولذلك استعملت الصوفة. وقد ورد ما بيناه من هذه التفاسير في «المعجم الوسيط» الذي اعتمد

كمصدر أساسي لمعجم «الكافي» حسب تصريح المؤلف في المقدمة.

3 - وقع في تفسير الغامض بالغامض عندما أورد في شرحه كلمة (العراجين)، وهي كلمة مساوية في غموضها للكلمة المفسَّرَة. ولم يتبين شرحه للمعنى على النحو المطلوب عندما عرف الكلمة بأنها «الحيضة، وهي خرقة الحائض».؛ إذ المعروف عن كلمة (الحيضة) بأنها المرة من الحيض، أو دم الحيض نفسه، كما ورد في «الوسيط» وغيره. و(خرقة الحائض) عبارة مبهمة بالنسبة للقارئ الحديث الذي يعرف بأن هناك فوطاً صحية أو قطعاً خاصة من القماش تستعمل لهذا الغرض تسمى:(حفاضات) كما تسمى بأسماء شركاتها. ولو استبدلت العبارة السابقة بعبارة «الخرقة تضعها الحائض لتتلقى دم الحيض» كما هو وارد في «تاج العروس» وغيره من المعاجم القديمة لكان أوضح.

وقد ورد في المعجم المذكور الكثير من مثل هذه التفسيرات التي يكتنفها الغموض أو يعتريها النقص نحو قوله:

1 - «وقى ـ (يوقي) وقى الفرس: كان في مشيه ظلعٌ من الخَفَى».

2 - «الوكاف: بردعة الحمار وغيره».

3 - «اليرعُ: نوع من الجهبَل».

4 - «اليَخمور: الوَدَع، واحدته يخمورة».

5 - «الحلفق: الجلفق المعروف بالدرابزين».

6 - «الوقواقَه: المكثار «رجلٌ وقواق وامرأة وقواقة».

7 - «ثفى تثفية: القدر جعل لها الأثافي».

8 - الحوذانيات: سبط من فصيلة الشقيقيات أشهر أنواعه الحوذان».

فنجد أن الكلمات: (ظلع، بردعة، الجهبل، الودَع، الجلفق، الدرابزين) التي وردت في الأمثلة الخمسة الأولى لا تقل غموضاً عن الكلمات المفَسَرة. بينما لم يصحب كلمة (المكثار) في المثال السادس ما يميزها. أما في المثالين الأخيرين فكأنه فسَّر الماء بالماء، كما هو بيِّن.

ويقول مؤلف المعجم ضمن مقدمته: «وأثبتنا الألفاظ الشائعة الاستعمال من الأوزان التي أقرها مجمع القاهرة والمجامع الأخرى، والألفاظ الحديثة التي لاقت القبول، إلا ما كان منها ممعناً

في الاختصاص، وخارجاً عن مستوى الثقافة العامة، أو تباينت فيه الآراء». علماً بأن في معجمه كلمات كثيرة نائية عن الاستعمال في الوقت الحاضر خارجة عن مستوى الثقافة العامة مثل: اليُرناً واليُرناء: (مادة كالحناء يصبغ بها ـ مني الفحل ـ عرق الدابة)، الثأطاء: (الحمقاء)، الثأطة: (الوحل الآسن)، الجحجُح: (الكبش)، الجربندية: (الجعبة)، الياموم: (فرخ الحمام)، اليرقود: (الكثير الرقاد)، اليرون: (سم الأفاعي)، اليعمور ج يعامير: (الجدي).

وفي المعجم المذكور بالإضافة إلى ما سبق ذكره ألفاظ ممعنة في الاختصاص، مثل الكلمات: الدياستاز: (نوع من الخمائر الكيميائية)، السلولوئيد، الدينامومتر، الميغاثيريوم. كما أن فيه ما هومتعلق بمعارف لها كتبها ومصادرها الخاصة، مثل شرحه لأحوال (الظرف) وقواعد كتابة (العدد) مفصلاً، والذي يكون محله في العادة كتب النحو. وذكره للذرات المعروفة في الطبيعة ورموزها واصطلاحاتها وأعدادها وأوزانها ضمن تفسير كلمة (الذرة)، والحديث عن (الموشور) وزواياه واتجاهاته وأنواعه، وعن صفات دودة الحرير ضمن مدخل (دودة)، وعن (الدرزي) واعتقاداته وأفكاره، والذي يفترض أن يكون محله الموسوعات العلمية والمعرفية. ثم حديثه عن اقتراحات مجامع اللغة لكلمة الميطدة وعن «المسألة الزنبورية»، (والتي لا جدوى من ذكرها لأهل الاختصاص ولا غيرهم أصلاً)، وإن كان في ذكرها فائدة فمكانه في العادة كتب اللغة الخاصة وليس المعجم اللغوي العام.

ويقول المؤلف في مقدمته المشار إليها أيضاً: «وتوخينا في هذا المعجم الاقتراب به من روح العصر، إذ إنك لا تفتح معجماً عربياً إلا تصوّرت نفسك في البادية بين الجمل والناقة والمضارب والأطلال، راجعاً بذلك قروناً إلى الوراء. فتحرّينا أن نجعل تفسير الكلمات بلغة هذا العصر وواقعه». مع العلم بأن في تعريفاته هو ذاته وفي الكلمات التي يضمها معجمه تعريفات وكلمات نابية عن روح العصر أو ذوقه وأجواء حياته ولغته.

ورد في المعجم على سبيل المثال : «الوقْب: مصدر وَقَبَ. -: النقرة في الصخر يجتمع فيها الماء، أو هو نحو البئر في الصخر يكون قامة أو قامتين. -«وقبا الفرس: هزمتان فوق عينيه» و«جأب؛ الجأب: المغرة. ـ: حمار الوحش» و«الحوشب: موصل الوظيف في رسغ الدابة» و«العانقاء: جحر علوه تراباً رخواً يكون للخلد واليربوع ونحوهما».

و«العباهر: العظيم أو الطويل الناعم في كل شيء»، و«الجاشر: الدابة تذهب حيث تشاء».

هذا وقد ضم المعجم الكثير من الكلمات الجافية الثقيلة على لسان الإنسان المعاصر أو غير مستساغة الاستعمال عامة من مثل: الجؤشوش، الحندقوق، الثفروق، الجحمرش، الدهمثة، العثان (بمعنى الدخان)...

هذه التفسيرات والتعبيرات والكلمات وما سبق أن ذكرناه من قبل من ألفاظ أخرى حوشية بعيدة عن الاستعمال، ليست بأقل جفاء وغرابة وبعداً عن ذوق العصر مما عاب مؤلف معجم «الكافي» وجوده في المعاجم الأخرى.

المعاجم التي سبق الحديث عنها تعد في نظرنا أبرز وأهم المعاجم اللغوية الفاعلة في الوقت الحاضر. هناك معاجم لغوية قديمة أخرى لها مكانتها في تطوير حركة التأليف المعجمي، ويمكن أن تكون مورد اهتمام الدارسين المتخصصين، إلا أنها لا تصل في فاعليتها في تنمية المحصول اللغوي إلى مستوى المعاجم المذكورة كما سبق القول، أو ليس في مادتها ما يهم الناشئة ويحفز المتعلمين عامة على الانجذاب للمعجم وعلى ممارسة استخدامه.

الجزء الرابع

معاجم الطلاب اللغوية العامة

تمهيد

هناك معاجم لغوية عامة عربية قديمة وحديثة صغيرة نسبياً، أعدت في الأساس لتلائم احتياجات المتعلمين المبتدئين أو لتناسب الطلاب في مراحلهم التعليمية الإعدادية والتكميلية، أو أنها أدرجت ضمن معاجم الناشئين لغلبة الاختصار فيها أو لصغر أحجامها. ومثل هذه المعاجم: «المصباح المنير» لأحمد بن محمد الفيومي (ت 770هـ) الذي اختصر في طبعة جديدة سميت طبعة الجيب وصدر عن مكتبة لبنان في عام 1990م، ثم «مختار الصحاح» لمحمد بن أبي بكر الرازي، و«مختار القاموس المحيط» للطاهر أحمد الزاوي، و«قطر المحيط» لبطرس البستاني (ت 1883م) و«معجم الطالب» لجرجس همام الشويري و«الوافي» لعبد الله البستاني، و«المعجم الوجيز» الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة و«القاموس الجديد» لعلي بن هادية وآخرين، و«الرائد الصغير» و«رائد الطلاب» لجبران مسعود و«معجم الطلاب» لمحمود صيني وحيمور حسن يوسف و«مجاني الطلاب» الذي أخرجته دار المجاني ببيروت، هذا بالإضافة إلى معاجم ثلاثة استلت من معجم «المنجد» للويس معلوف وصدرت عن دار الشرق ببيروت، وهي: «المنجد الإعدادي» و«منجد الطلاب» ثم «المنجد المصور» الذي اشتمل على طائفة من المفردات الأساسية اللازمة للطفل أول عهده بالقراءة، وأخيراً «منهل اللغة الصغير» لجوزيف إلياس، الذي صدر عن دار منشورات الرمال حديثاً. هذا بالإضافة إلى سلسلة المعاجم اللغوية العربية التي أصدرتها دار الراتب ببيروت، مما سنتحدث عنه لاحقاً بإذن الله..

إن هذه المعاجم كلها على الرغم من اختصارها وصغر أحجامها نسبياً لا تصلح في الغالب كمعاجم للطلاب أو للأطفال بمستوياتهم العقلية والتعليمية كلها؛ «لأن معجم الأطفال ليس

ملخصاً لمعجم كهول بل هومعجم متميز بذاته، بل هو وسيلة عمل للتلميذ تساير عمره ومكتسباته اللغوية باعتبار درجته في الدراسة وأبعاد أنشطة الإيقاظ في الفصل»[102].

ليس في المعاجم المذكورة التدرج المرحلي المطلوب في اختيار المفردات والصيغ اللغوية أو في تصنيفها بحيث تتناسب مع مستويات الناشئة في جميع مراحلهم التعليمية، وتتمشى على نحو دقيق مع ما يهمهم من موضوعات وما يرتبط بهم من اهتمامات، وتتابع بحرص رصيدهم اللغوي الوظيفي على نحو تدريجي أو مرحلي.

ليس في أي من هذه المعاجم ما يخص مرحلة تعليمية أو عقلية ثقافية معينة من مراحل الطلبة أو الناشئة، يحددها على نحو مدروس وينطلق في تكوينه من واقعها أو وضعها الفعلي وحاجات الناشئ فيها ومعارفه التي يفترض أن يتلقاها. هذا علاوة على ما في بعضها من عيوب وأخطاء تقليدية، أو نواقص من حيث المادة أو المنهج أو الإخراج تجعلها قاصرة عن الوفاء بحاجة عامة الناشئة من المفردات اللغوية أو منفرة ثقيلة على بعضهم لما تشتمل عليه من استطرادات خارجة عن متن اللغة أو شواهد غامضة أو صعبة على الفهم، وما إلى ذلك مما سنبينه أو نشير إليه في تقويم موجز سريع لأهم وأبرز هذه المعاجم، يتناسب مع حجم هذه الدراسة ومع ما ترمي إلى تحقيقه من أهداف.

1 - المصباح المنير

لقد صدر هذا المعجم في إحدى طبعاته الحديثة الجيدة الواضحة عام 1414هـ/1994م عن دار الكتب العلمية في جزأين بمجلد واحد من 678 صفحة من القطع المتوسط الأقرب إلى الصغير، بعمودين في كل صفحة، مع خاتمة من 33 صفحة يتناول فيها المؤلف عدداً من المسائل النحوية، ولقد اجتذبت هذه الطبعة فيما يبدو عدداً كبيراً من الناشئة، ومنهم طلاب يدرسون عندي، فقد شدتهم أناقة الكتاب بورقه الأبيض الناصع وكلماته وحروفه الواضحة ومداخله المميزة باللون الأحمر ومنهجه الميسر الذي يعتمد أوائل الأصول في ترتيب المواد.

والحق أن «المصباح المنير» لأحمد بن محمد الفيومي جاء في الأصل اختصاراً لكتاب جمعه المؤلف في غريب «شرح الوجيز» الذي كان قد ألفه في الفقه عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني الفقيه الشافعي (ت 623هـ). ولذلك فإن العنوان الكامل لهذا المعجم هو: «المصباح

المنير في غريب شرح الكبير للرافعي».

ولقد توسع مؤلف هذا المعجم في ذكر التصاريف والمشتبهات والمتماثلات من الألفاظ، وفي إيراد الاصطلاحات الفقهية والنحوية والصرفية وغريب الشروح والشواهد والأحاديث وبيان معانيها، وغير ذلك مما تدعوإليه حاجة الأديب الماهر، كما يقول الفيومي نفسه [103]. وبهذا اشتمل معجمه المختصر على كثير من الاستطرادات والتفصيلات التي تعني الفقيه والنحوي أو الدارس المتخصص عموماً أكثر مما تعني الطالب العادي، فضلاً عن الناشئ المبتدئ، وتجعل من الكتاب أقرب في حقيقته إلى المعاجم الخاصة منه إلى المعاجم اللغوية العامة. وإذا كان قد حشر مع معاجم اللغة العامة الخاصة بالطلاب في محلات بيع الكتب أو في المكتبات العامة، فقصده الناشئة على أنه معجم لغوي عام يصلح لهم، فلأنه مختصر في شكله، صغير معتدل الحجم، جيد الطبع، وميسر المنهج نسبياً.

ورد في «المصباح المنير» ضمن تفسير كلمة (الخَصر) على سبيل المثال ما نصه: «الخَصر: من الإنسان وسطه وهوالمستدق فوق الوركين والجمع (خُصور) مثل فِلس وفلوس. و(الاختصار) و(التخصُّر) في الصلاة: وضع اليد على الخصر. و(اختصرتُ) الطريق. سلكت المأخذ الأقرب، ومن هذا (اختصار) الكلام وحقيقته الاقتصار على تقليل اللفظ دون المعنى ونهي عن (اختصار) السجدة قال الأزهري يَحتمِل وجهين أحدهما أن يَختَصر الآية التي فيها السجود فيسجد بها والثاني أن يقرأ السورة فإذا انتهى إلى السجدة جاوزها ولم يسجد لها....».

إضافة إلى قلة الاهتمام بإبراز علامات الترقيم المميزة للجمل، والتي لها دخل كبير، كما هو معلوم، في إيضاح المعاني وتحديد المفاهيم والتعريفات، ولاسيما للطالب المتعلم، فإن المؤلف انتقل من بيان معنى الكلمة الأساسية (الخَصر) و(اختصر) إلى مسألة فقهية، وهي حكم الاختصار في الصلاة أو في السجدة، وبيان كيفيته، وكأنه جاء بتفسير الكلمة تمهيداً لبيان هذا الحكم.

وورد في تفسير كلمة (شعبان): «(شَعْبان) من الشهور غير مُنْصرف وجمعه (شعبانات) و(شعابين) و(شعبان) حيٌّ من همْدان من اليمن وينسب إليه عامر الشَعبيُّ قال ابن فارس والأزهري وقال الفارابي (شَعْبٌ) وزان فلس حيٌّ من اليمن وينسب إليه عامر الشعبيُّ و(الشُّعبة) من الشجرة الغصن المتفرع منها والجمع (شُعَبٌ) مثل غُرْفَة وغُرَف وفي الحديث «إذا جلس بين

شُعَبها الأربع» يعني يديها ورجليها على التشبيه بأغصان الشجرة وهوكناية عن الجماع لأنَّ القعود كذلك مظِنَّة الجماع فكنّى بها عن الجماع....».

وجاء في تفسير كلمة (شذّ): «(يَشِذُّ) و(يَشُذُّ) (شُذُوذاً) انفرد عن غيره و(شَذَّ) نَفَرَ فهو(شاذٌ) و(الشّاذُّ) في اصطلاح النحاة ثلاثة أقسام.

(أحدُها) ما شَذَّ في القياس دون الاستعمال، فهذا قويٌّ في نفسه يصحُّ الاستدلال به. و(الثّاني) ما شَذَّ في الاستعمال دون القياس، فهذا لا يُحتجُّ به في تمهيد الأصول، لأنه كالمرفوض، ويجوز للشاعر الرّجوع إليه، كالأجْلَل. و(الثالث) ما شَذَّ فيهما، فهذا لا يُعوّلُ عليه، لفقد أصْليْه، نحو المُنا في المنازل. وتقول النحاة شَـذَّ من القاعدة كذا أو من الضابط ويريدون خُروجَه مما يعطيه لفظ التحديد من عمومه مع صحّته قياساً واستعمالاً.

فقد حشر المؤلف ضمن تفسيراته اللغوية في النص الأول، كما نرى، أسماء رواة، ومعلومات موسوعية لا اختصاص للمعجم اللغوي بها، كما أشير إلى ذلك من قبل، رغم صغر معجمه !. كما شرح الحديث الذي أورده بما يفهمه المختص أكثر من سواه. بينما ذكر في النص الثاني أحكاماً أو مسائل لغوية ونحوية ومنطقية يحتاج إليها المتخصص أو الدارس المتعمق، لا عموم الطلبة والمثقفين.

2 - مختار الصحاح

يعتبر «مختار الصحاح» اختصاراً لكتاب «الصحاح» للجوهري، واختيارات من مواده مع إضافات وفوائد منتقاة من معاجم وكتب أخرى. إلا أن مؤلفه محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت 691هـ) لم يضعه في الأساس ليكون معجماً خاصاً بالطلاب، وإنما وضعه ليلبي حاجة أهل العلم؛ فقد اقتصر فيه كما يقول هو نفسه: «على ما لابد لكل عالم فقيه، أو حافظ، أو محدّث، أو أديب من معرفته وحفظه[104]..». وليس ما لابد منه للناشئ أو الطالب أو المتعلم المبتدئ ! ولذلك فقد غلّب فيه الاهتمام بالمعاني والألفاظ المتصلة بالقرآن والحديث والفقه، وأظهر فيه الاستشهاد بالأحاديث النبوية والأخبار والروايات وذكر المسائل النحوية والتعليلات اللغوية والأحكام الفقهية وغيرها. وإنما وضع في عداد معاجم الطلاب لاختصاره وصغر حجمه وسهولة منهجه في ترتيب مواده. وهو منهج القافية الذي اعتمده الجوهري في صحاحه. أو المنهج

الهجائي الجذري الذي حول إليه في هذا العصر.

وإذا كان مؤلف هذا المعجم قد تمكن من اجتناب «عويص اللغة وغريبها طلباً للاختصار وتسهيلاً للحفظ». كما يقول، وخلص معجمه من كثير من الروايات والأحاديث والأخبار والشواهد الشعرية التي وجدت في الأصل (الصحاح)، فإنه في الحقيقة لم يتمكن من اجتناب الاستطراد وعويص الشرح في بعض تفسيراته لمواد معجمه. مما قلل من فاعلية هذا المعجم ومن إمكانية توظيفه لصالح الناشئة في عصرنا الحاضر على النحو المطلوب، ولاسيما أن مواده كلها قديمة وقليلة وقاصرة عن الوفاء بحاجتهم من ألفاظ اللغة وصيغها التي تساير العصر وتلبي احتياجات التعبير فيه.

جاء على سبيل المثال في تفسير مادة (ث ن ي) في «مختار الصحاح» ما نصه: «(الثّنى) مقصوراً الأمر يعاد مرتين. وفي الحديث «لا ثنى في الصدقة» أي لا تُؤْخَذ في السنة مرتين. و(الثُنيا) بالضم اسم من (الاستثناء) وكذلك (الثَنوى) بالفتح. وجاءوا «مَثنى مَثنى» أي اثنين اثنين و«مَثنى وثُناء» غير مصروفين كمَثلَث وثُلاث وقد سبق تعليله في ـ ث ل ث ـ. وفي الحديث «من أشراط الساعة أن توضع الأخيار وترفع الأشرار وأن تقرأ (المَثناة) على رؤوس الناس فلا تُغيَر» قيل هي التي تسمى بالفارسية دوبيتي وهو الغناء. وكان أبو عبيد يذهب في تأويله إلى غير هذا .قلت: ذكر في التهذيب أن الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما وفسره لما سئل عنه بما استُكتب من غير كتاب الله تعالى. وقال أبو عبيدة: قيل إن الأحبار والرهبان بعد موسى عليه الصلاة والسلام وضعوا كتاباً فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله تعالى فهو المثناة. فكأن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كره الأخذ عن أهل الكتاب ولم يرد به النهيَ عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته. وكيف ينهى عن ذلك وهو من أكثر أصحابه حديثاً عنه؟[105] ...».

إن الناشئ أو القارئ العادي لا يخرج من هذا الشرح المطول وهذه الاستطرادات المملة بكثير طائل، وإن ظفر بشيء واتضح له بعد لأي معنى المادة أو معاني بعض مشتقاتها فأغلب الظن أنه لا يخرج إلا ضجراً متبرماً، كارهاً العودة لاستشارة المعجم مرة أخرى.

ومثل آخر على هذا النهج في التفسير في مختار الصحاح، ما ورد في بيان معنى كلمة (أخ). فقد جاء الآتي:

(الأخُ) أصْلُه أخَوَ بفتح الخاء لأنه جُمع على (آخاء) مثل آباء والذاهب منه واو لأنك تقول

في التثنية أَخَوَانِ وبعض العرب يقولون أَخانِ على النقص ويجمع أيضا على (إِخْوان) مثل خَرَب وخِرْبان . قلت: الخَرَب ذَكَر الحُبَارَى، وعلى (أُخْوة) بكسر الهمزة وضمها أيضا عن الفَرَّاء وقد يُتَّسع فيه فيُراد به الاثنان كقوله تعالى: «فإن كان له إِخْوَةٌ» وهذا كقولك إنّا فَعَلْنَا ونحن فَعَلْنَا وأنتما اثنان.وأكثر ما يستعمل (الإِخْوان) في الأصدقاء و(الإِخوة) في الولادة وقد جمع بالواو والنون. قال الشاعر:

* وكنت لهم كَشَرّ بني الأَخينا *

و(أَخٌ) بَيِّن (الأُخُوَّة) و(أختٌ) بيِّنة الأُخوّة أيضا، و(أَخاهُ مؤاخاةً) وإِخَاءً والعامّة تقول وَاخاه. و(تَاخَيَا) على تَفَاعَلا. و(تأَخَّيْتُ) أخاً أي اتخذت أخاً. و(تأخيتُ) الشيءُ أيضا مثل تخرَّيتُه. و(الأَخِيَّة) بالمدّ والتشديد واحدة (الأَوَاخِي) وهومِثْل عُروةٍ تُشدّ إليها الدابّة وهي أيضا الحُرْمة والذمة».

فمع أن تفسير المعجم لكلمة (أخ) وبيان أصلها ومثناها وجمعها واضح، وفيه تبسيط يصلح للناشئ، فإن الاستطرادات والتفصيلات التي تتخلل هذا التفسير من مثل بيان معنى (الخَرَب والخِرْبان)، وذكر الجمع الشاذ أو النادر البعيد لكلمة (الأخ) بالواو والنون، والتمثيل لما لا ضرورة للتمثيل عليه. هذه قد تشتت ذهن الناشئ أو تصرفه عن الكلمة التي يبحث عنها.. ولا أدري لماذا اختار الرازي للتمثيل كلمات نادرة الاستعمال مثل (خَرَب وخِرْبان) أو كريهة الوقع مثل (تخرَّيتُه)، مع أن في اللغة بدائل لها أجمل وأكثر جاذبية للمراجع وأحسن وقعاً في ذهنه وسمعه!

لقد صدر «مختار الصحاح» في طبعات جديدة تم تحويله فيها من نظام القافية إلى النظام الهجائي الجذري ورتبت مواده على وفق أوائل أصولها بهدف تسهيل استعماله، كما أخرج في أحجام وأشكال مختلفة، منها الصغير الذي يسهل على الناشئ حمله واصطحابه أو وضعه في الجيب، كالطبعة التي أصدرتها مكتبة لبنان عام 1989م، وهي طبعة مدققة كاملة التشكيل ومميزة المداخل، غير أن الحروف فيها صغيرة والكلمات متلاصقة ترهق بصر المراجع. ومهما كان عليه منهجه وحجمه فإن مادته تبقى قاصرة عن الوفاء بحاجة الطالب أو المثقف المعاصر، وتعوزها الغربلة والانتقاء، كما أن طريقة الشرح والتفسير والتعليق فيه تتناسب ــ كما سبقت الإشارة ــ مع

مستويات الذين وضع المعجم أساساً لهم أكثر مما تتناسب مع مستويات الطلبة وعامة المثقفين.

3 - مختار القاموس المحيط

لا يختلف «مختار القاموس المحيط» كثيراً عن «مختار الصحاح»؛ فهما متماثلان من حيث المنهج ومتقاربان إلى حد ما من حيث المادة وطريقة الشرح:

لقد اختصر الأستاذ الزاوي أجزاء «القاموس المحيط» الأربعة في جزء واحد فقط، ليسهل على الطالب استصحابه إلى المدرسة أو الجامعة أو إلى حيث يريد، كما يقول الزاوي نفسه، ووضعه على طريقة «مختار الصحاح»، فجعل ترتيبه على أوائل حروف الكلمات، بدلاً من أواخر حروفها كما هو في الأصل. وقد درج في طريقة اختصاره «على الاكتفاء من المواد الطويلة بالمتعارف في الاستعمال، ليفهم القارئ صحة أو خطأ ما يستعمله المجتمع من ألفاظ، وعلى ما يتعلق بشرح آية كريمة، أو حديث نبوي، أو أثر، وعلى ما يتصل بمثل عربي، أو استعمال أدبي، أو ذكر جملة في استعمالها ما تنشرح له نفس القارئ، أو يزيده علما[106]» وبذل جهده في الاقتصار على متن اللغة مما يتصل بالمسائل العلمية وما تكثر الحاجة إليه، وهكذا استغنى عن كثير مما حشي به المعجم (الأصل) من أسماء الأشخاص والبلدان والأماكن والحيوانات وصفاتها والنباتات وخصائصها وغيرها مما سبق ذكره في حينه.

ولقد ميز المصنف الأبواب في معجمه المختصر. فوضع الحرف الذي عقد له الباب بين قوسين مشبعين بالإضافة إلى وضع عنوانه مكتوباً. كما ميز بين مداخل المواد بوضع نقطة مشبعة أمام مدخل كل مادة، ووضع المادة مع فروعها واشتقاقاتها في فقرة مستقلة أو سطر مستقل، كما أنه التزم إلى حد ما بوضع علامات الترقيم في أماكنها، وهكذا تخلص من مشكلة اختلاط المواد وتداخل العبارات التي يتسم بها الأصل في كثير من طبعاته، والتي تربك القارئ أحياناً وتشكل صعوبة على الطالب في بحثه عن معنى الكلمة. وكذلك غير نظام التشكيل فاستغنى بحركات الإعراب عن الضبط بالحروف وعن ذكر الموازين أو مفاتيح النطق، التي اضطر الفيروزآبادي وغيره إلى استخدامها خوفاً من التصحيف والخطأ عند النسخ، وبهذا تخلص صاحب المختار من مشكلة التضخيم والتشويش الذي قد يحدثه كل ما هو خارج عن المتن. وربما كان من المآخذ على هذا المعجم أن واضعه أو مخرجه الأستاذ الزاوي قد حافظ جهده، كما يصرح هو نفسه

«على عبارة القاموس ليحتفظ هذا المختار بقوة أصله، ولم [يزد] عليها شيئاً إلا ما كان من تفسير ضمير، أو ذكر معطوف فيه تقريب المعنى للقارئ[107] وفي كثير من عبارات القاموس كما تبين من قبل نوعاً من الاستطراد والتعقيد والالتواء أحيانا.

نقل صاحب «مختار القاموس» على نحو المثال كلمة (أبجد) من أصلها الثلاثي (بجد) الموضوع ضمن فصل الباء من باب الدال في القاموس المحيط، ووضعها في باب (الهمزة)، وبهذا خالف الالتزام بوضع الكلمات على وفق أوائل أصولها: المنهج الذي سار عليه في ترتيب معظم الكلمات. ثم نقل تفسير الكلمة على صورته في الأصل، دون تغيير، فجاء كما يأتي:

«أ ب ج د: أَبْجَدْ إلى قَرَشَتْ، وكَلَمُنْ رئيسُهم: ملوكُ مدين. ووضعوا الكتابةَ العَرَبيَّة على عدد حُروف أسمائهم، هَلكوا يوم الظُّلَّة، فقالتِ ابنةُ كلَمُن:

كـلَمُــن هَـــدّم رُكــنـي
هُلكُـــهُ وسْـــطَ المَحَــــلَّهْ
سيـــدُ القــــوم أتــــا
هُ الحَتفُ نـــاراً وسْطَ ظـــلّهْ
جُــعِلتْ نـــاراً عليـــهم
دارُهـــــم كالمُضــمَحِــلَّه

ثم وَجدوا بعدهم: ثَخَذْ، ضَظَغْ فسمَّوْها الرَّوادفَ».

فعلى فرض ضرورة ذكر أصل معنى الكلمة وأساس وجودها فإنه من الممكن صياغة هذا المعنى في عبارة أقصر وأوضح، كما يمكن الاستغناء عن الأبيات الثلاثة التي قالتها ابنة (كلمُن) في تأبين والدها، إذ لا صلة لها بإيضاح معنى الكلمة المفسرَة ولا ضرورة لذكرها.

إضافة إلى ما ذكر فإن ما اقتصر عليه من الكلمات في المعجم المذكور لم يعد كافياً ملبياً لحاجات الناشئ العربي في التعبير بما يتناسب وروح عصره ومعطيات حياته الحديثة وما ارتبط

بهذه الحياة من ألفاظ حضارية ومصطلحات علمية وفنية جديدة. وإن كان معيناً له على فهم كثير من النصوص التراثية التي تتناسب مع مستواه في مراحله التعليمية بنحو عام.

4 - قطر المحيط

لم يتجاوز«قطر المحيط» للبستاني كونه اختصاراً لمعجم «محيط المحيط». وهو بالإضافة إلى احتوائه على طائفة كبيرة من الشواهد الصعبة والألفاظ العامية والإحالات والاستطرادات والإشارات غير الضرورية، وإضافة إلى اتباع مؤلفه النهج القديم في التفسير والشرح وسرد الاشتقاقات والصيغ اللغوية دون اختيار أو انتقاء خاضع لمقياس معين، فإن هذا المعجم قد مضى على تأليفه أكثر من قرن من الزمان، فقد فرغ صاحبه من تأليفه سنة 1869م/1286هـ[108]، وبهذا فهو لا يشتمل على كل ما يحتاجه الناشئ الحديث من الكلمات والصيغ والتراكيب والمصطلحات المناسبة لمتطلبات الحياة الحاضرة. يحتوي بدلاً من ذلك على مفردات وصيغ مهجورة أو نادرة أو قليلة الاستعمال أو لا تتناسب مع التغيرات الحضارية والتغيرات اللغوية التي حصلت بعد تأليفه وصدوره. كما يشتمل على طائفة من الألفاظ العامة والمعاني والمفاهيم المسيحية المحلية التي قد تدرك أو تفهم على المستوى المحلي أو الإقليمي وليس على المستوى القومي العام، وباختصار فقد ورث قطر المحيط الكثير من الأخطاء والهنات عن أصله «محيط المحيط» الذي سبق الحديث عنه في فصل سابق من هذه الدراسة.

وقد صدر هذا المعجم عام 1995م عن دار مكتبة لبنان ناشرون في طبعة جديدة بمجلد واحد مزود بأطلس للبلاد العربية والقارات وبلوحات ملونة من زخارف العالم ولوحات علمية ملونة، إلا أن المعجم في هذه الطبعة لم يتغير فيه شيء من حيث المادة والمنهج، وإنما بقي محتواه كما هو، وإن تغير شكله، بل إنه أصبح أكثر ضخامة وثقلاً على الناشئة.

5 - الوافي، أو «فاكهة البستان»

معجم «الوافي» هو نفسه «فاكهة البستان» الذي اختصر فيه مؤلفه عبد الله البستاني معجمه الآخر المطول «البستان» وأخرجه في مجلد واحد عام 1930م ليكون معجماً عملياً يجد فيه الطالب ما يحتاج إليه في دراسته. فقد حصلت مكتبة لبنان على حق نشره من المطبعة الأمريكية التي قامت بنشر الطبعة الأولى منه، وارتأت أن تسميه في طبعته الجديدة بـ «الوافي» «لأنه يفي

بحاجة الطالب والمثقف» كما يقول الناشر في مقدمته له[109].

وتمتاز الطبعة الجديدة من هذا المعجم والتي ظهرت عام 1990م باختصار عدد الصفحات من 1684 في طبعته الأولى إلى 728 صفحة، من ثلاثة أعمدة في الصفحة الواحدة، مما قلل من ضخامته وثقل وزنه على الناشئ. وتمتاز هذه الطبعة أيضاً بإبراز المداخل باللون الأحمر ووضع نجمة حمراء صغيرة أمام كل مادة أساسية، تسهيلاً للكشف عنها وعن اشتقاقاتها، وباستعمال القاطعة (-) عوضاً عن تكرار الكلمة المشروحة. أما من حيث المادة فقد ظل المعجم كما كان عليه دون إضافة أو حذف أو تغيير، كما أن المعجم بقي على منهجه الأصلي في ترتيب الكلمات، وهوالمنهج الهجائي الجذري الذي يعتمد أوائل الأصول وتجريد الكلمات قبل الكشف عنها.

إن «الوافي» لا يختلف في حقيقته كثيراً عن «قطر المحيط» من حيث مادته القاصرة عن مواكبة تطورات لغة العصر وعن الوفاء بمتطلبات الحياة الحاضرة وحاجات الناشئة من المفردات والمصطلحات والصيغ اللغوية الحديثة المسايرة لهذه الحياة، رغم ثناء الناشر عليه وعلى طبعته الجديدة. كما أن هذا المعجم لا يختلف عن سابقه في منهجه التقليدي في الشرح والتفسير، فهو بالإضافة إلى تقارب حروفه وتلاصق كلماته وسطوره وتضخم صفحاته وافتقاره إلى المزيد من الوضوح والجاذبية في الطباعة والدقة في الضبط والتشكيل، فإنه يحتوي على كثير من التفسيرات والشروحات الغامضة والشواهد الشعرية التي تحتاج نفسها إلى شروح لغرابة الكلمات فيها ولغموضها على المثقف العام الكبير فضلاً عن الطالب أو الناشئ الصغير..

جاء ضمن مادة (ضمر) تفسير كلمتي (المضامير) و(المضمار) في معجم «الوافي» على سبيل المثال بمانصه: «المضامير جمع المُضمَر وزيدت الياء اضطراراً قال دريد بن الصمة:

يَحملنَ كلّ هِجانٍ صارمٍ ذَكَر وتحتهم شزبٌ قبٌّ مَضامير

المضمار الموضع تضمّر فيه الخيل و- مدة تضميرها و- غاية الفرس في السباق».

إضافة إلى إغفال الفواصل وغيرها من علامات الترقيم التي تحدد في العادة الجمل وتزيد معانيها وارتباطاتها وضوحاً، فإن صاحب المعجم المذكور لم يوضح في هذا النص معنى الكلمة المراد تفسيرها، وإنما أورد مفردها وأشار إلى أن العادة أن تجمع (مضمر) على (مضامر) دون أن

يبسط ذلك، كما أنه أورد شاهداً شعرياً يشتمل على الكلمات: هِجان، شزبٌ، قبٌ، وهذه الألفاظ في الواقع أكثر غرابة وأصعب على فهم القارئ ولاسيما الناشئ من كلمة (مضامير) نفسها.

علاوة على ما سبق فإن لكلمة (مضمار) معنى حديث ربما كان أكثر استخداماً ودوراناً وحيوية وأكثر قرباً إلى لغة العصر من المعاني التي أوردها صاحب معجم «الوافي» لهذه الكلمة، وهذا المعنى هو(المجال أو الميدان).

ورد في المعجم العربي الأساسي «مضمار ج مضامير: 1 مجال أو ميدان، «سرعة تقدم أهل الشرق في مضمار الحضارة متوقفة على إزالة ما في نفوسهم من مركب النقص»، «وما ورد في هذا المضمار قوله.». 2 فسحة واسعة لسباق الخيل وترويضها، 3 موضع تضمر فيه الخيل ويعتنى بها»[110]. فالمعنى الأول المقدم هنا هو المعنى الذى لم يذكر في «الوافي»، وقد كان أولى بالذكر في معجم عصري يوضع للطلاب.

6 - معجم الطالب

صدر معجم الطالب لجرجس همّام الشويري لأول مرة في عام 1909م، في مجلد واحد من (1268) صفحة بعمودين في كل صفحة، مع جدول من أربع صفحات يتضمن الكلمات المحدثة والمصطلحات التي ذكرت في المعجم ولم ينبه عليها. وقد زود المعجم في طبعته الثانية الصادرة عن مكتبة لبنان في عام 1995م بأطلس مفهرس للبلاد العربية والقارات مكون من (64) صفحة، وبذلك بلغ مجمل صفحاته في طبعته الأخيرة نحو(1336) صفحة[111].

ويشتمل هذا المعجم على (30) ألف كلمة افترض أن تكون من مأنوس ألفاظ اللغة واصطلاحاتها العلمية والعصرية. كما يشتمل على مقدمة تملأ (72) صفحة، صدّر بها المعجم ظاهر خير الله الشويري، ووضعها تحت عنوان «اللمع النواجم في اللغة والمعاجم». تضمنت الحديث عن أصل العرب وطبقاتهم، وعن أصل العربية ونشأتها ومصادرها ومكانتها بين اللغات، ثم عن جمعها وتدوينها ونشوء المعاجم وتطورها. بالإضافة إلى مجموعة من القواعد الصرفية والنحوية، تتعلق بالأفعال وأنواعها والمزيدات وأبنيتها، والمصادر وأصولها، والأسماء وصيغها، والصفات وأقسامها...

وقد وضع المعجم على وفق منهج ميسر، فرتبت الكلمات فيه وفق النظام الهجائي الجذري الذي يعتمد أوائل الأصول. ووضعت كل كلمة من الكلمات المشروحة بين هلالين لتمييزها وتسهيل العثور عليها. وأردف شرح كثير من الألفاظ الغريبة بأمثلة موضحة من الأقوال البليغة أو العصرية السائرة. وزيادة في الإيضاح يرفق معنى الكلمة أحياناً بنقيضه، فيقال على نحو المثال: «(الأجل) المتأخر. وخلاف العاجل». و«(الأجلة) كناية عن الأخرة وهي نقيض العاجلة أي الدنيا». و«(الحمد) بالفتح الثناء والشكر نقيض الذم، و«(والجوهر) يقابل العرض»... كما يذكر في الغالب نوع الصيغة المدرجة للشرح. فيبين فيما إذا كانت مصدراً أو اسم فاعل أو اسم مفعول مثلاً.

وبما أن المعجم موجه في الأساس لطلبة المرحلتين المتوسطة والثانوية، مرحلتي المراهقة بالنسبة للجنسين، فقد صفي من كثير من ألفاظ الجنس ومعاني الكلمات البذيئة «حرصاً على حشمة الغلمان في المكاتب وتنزيهاً لألسنتهم عن أقذارها» على حد قول المصنف في مقدمته. كما بسطت التفسيرات فيه، واختصرت الشواهد التوضيحية والتعريفات، ووضعت الشروح بلغة سهلة، واضحة، بعيدة عن التقعر والصناعة.

على الرغم من أن هذا المعجم قد وضع ليتناسب مع مستويات الطلبة في المرحلتين المذكورتين فإنه بمواده القديمة الغزيرة يفوق مستوياتهم، ولاسيما الوقت الراهن، بينما يقصر عن تلبية احتياجاتهم من المصطلحات العلمية العامة وألفاظ الحضارة في حياتهم الراهنة، لأنه وضع في بدايات هذا العصر تقريباً، أي قبل ما يزيد على التسعين عاماً، ولم يلحق به في طبعاته الحديثة ما استجد واستحدث وضعه من هذه المصطلحات والألفاظ والعبارات. ولذلك فهو يتلاءم من حيث مادته الغزيرة ومقدمته المطولة وحجمه الضخم مع مستويات الطلبة المتقدمين والمتخصصين في مجالات الأدب والتراث في الفترة التي صدر فيها أكثر مما يتناسب مع مستويات عامة طلبة المرحلتين المشار إليهما في الوقت الحاضر. وهو لا يختلف في ذلك كثيراً عن «قطر المحيط» لبطرس البستاني و«الوافي» أو «فاكهة البستان» لعبد الله البستاني اللذين مضى الحديث عنهما فيما سبق. رغم تميزه عنهما بطراوة الأسلوب وقصر العبارة واختصار الشواهد والقرب من روح العصر نسبياً.

علاوة على ما سبق ذكره فإن مادة هذا المعجم تتضمن كثيراً من الألفاظ العامية والتراكيب

الأجنبية التي لا تستعمل إلا على نطاق محلي ضيق، ولا تنتفع بها إلا مجموعة محدودة من الطلبة، هي المجموعة التي تستعمل هذه الألفاظ والتراكيب في بيئتها الاجتماعية الخاصة. ففي المعجم على نحو المثال كثير من الكلمات والمعاني العامية أو الدخيلة التي لا نجد لها استعمالاً إلا في بعض المناطق من بلاد الشام مثل: قربز، القَرابازين، الدوطة، البلمباجين، الأمنبوس، الكرنتينة، الكالوش، باسيكل، الشعرية (للفرشاة)، الكيموس، التوطيش... علماً بأن المعجم لا يلتزم دائماً ببيان أصول مثل هذه الألفاظ والتراكيب أو مناطق استعمالها، ليتعرف المراجع على البيئات الاجتماعية العربية التي يصلح استخدامها فيها.

أما من حيث المنهج فلم ينج «معجم الطالب» رغم حداثة عصره مما عيب على المعاجم القديمة والتقليدية وأخذ عليها من أخطاء. ومن أبرز هذه العيوب والمؤاخذات:

1 - الاكتفاء بكلمة (معروف) أحياناً، وتفسير الغامض بالغامض أحياناً أخرى مثل قوله: «(الإجّاص) ثمر معروف من الفاكهة وهوأنواع. ويقال فيه المجاص». و«(القعبة) بالفتح شبه حقّة للمرأة». فكلمة معروف لا تزيد المعنى إلا غموضاً، وكلمة (الحقة) أشد غموضاً من لفظة (القعبة).

2 - التعريف الدوري للكلمات كقوله: «(شنف) الجارية جعل لها شنفاً وقرّطها به، ومنه شنف مسامعنا بدرر أقوالك (تشنف) الجارية اتخذت الشنف وتقرطت به». و«(بنّج) بنّجه أطعمه البنج. وأنشقه رياه ليخدّر أعضاءه ويذهب حسها». فلفظ الشنف هوالشنف، والبنج هوالبنج يبقى دون تعريف.

3 - ضبط الكلمات بالحروف وعدم الاكتفاء بضبطها بحركات الإعراب والعلامات الطباعية، مما يزيد من ضخامة حجم المعجم ومن ثم يثقل وزنه على مستعمله.

هذا بالإضافة إلى أن في هذا المعجم في طبعاته المتوفرة نواحي قصور من حيث الطباعة والإخراج، ربما يكون لها أثر سلبي في نقل الكلمة وفي ترسيخها في ذهن الطالب في صورة محرفة وشكل غير سليم، مثل:

1 - عدم التقيد التام باستعمال علامات الترقيم التي تشترك في العادة في تمييز الجمل وفي

إيضاح معاني الكلمات والعبارات الشارحة.

2 - عدم الالتزام التام بضبط الكلمات المفسّرة والألفاظ والعبارات الشارحة. فكثير من هذه الكلمات والعبارات مغفلة من الحركات، كما أن بعض الحروف لا تبين أو لا تتميز النقاط عليها وتبرز على النحو المطلوب.

7 - رائد الطلاب

يشتمل «رائد الطلاب» لجبران مسعود على ألف (1000) صفحة من الحجم الصغير، كل صفحة مكونة من عمودين. وقد اختصر فيه مؤلفه معجمه السابق «الرائد» وجعله على نفس منهجه، فرتب المفردات فيه على وفق حروفها الأولى المنطوقة، ورقم المعاني ونظمها، واستعمل الرموز الدالة على الجمع والتثنية والتأنيث والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول، واتبع نظام الإحالة. كما استعمل الرسوم والصور لتوضيح بعض المعاني على غرار ما جاء في معجمه الأول تماماً. وقد أراد المؤلف بهذا المعجم أن يكون خاصاً بالناشئة، متمشياً مع حياتهم وملائماً لاحتياجاتهم من مفردات اللغة، فوضعه كما يقول: (بعد دراسة دقيقة سبرت بها الطاقات اللغوية والثقافية عند الطالب وخلص منها إلى تصفية المُمات من المفردات أو النادر استعماله، وإلى تبسيط المعاني حتى تلائم السن والإدراك، وإلى الإبقاء على كل ما قد يمر به الطالب في المرحلتين الابتدائية والتكميلية، وحتى الثانوية إلى حد ما)[112].

والحقيقة أن جبران مسعود قد وفق إلى حد ما في جعل معجمه المختصر ملائماً من حيث الحجم والإخراج والمنهج الميسر والشرح المبسط والتفسير المختصر لمستويات الناشئة في مراحلهم التعليمية التي ذكرها. ولاسيما قد عمل على تخليصه من كثير من الأوزان والصيغ المصطنعة والألفاظ والتراكيب العامية والأعجمية التي حشرها في معجمه الكبير. كما زوده بمقدمة مختصرة مبسطة تضمنت بعض الفوائد اللغوية والإملائية التي يحتاج الطالب في العادة إلى معرفتها.

رغم كل ما سبق ذكره فإن «رائد الطلاب» ما يزال قاصراً من حيث مادته اللغوية عن أن يفي بحاجة الطلاب في جميع مستوياتهم التعليمية المذكورة وجميع تخصصاتهم واتجاهاتهم المعرفية، وإن ضخامته وكثرة صفحاته لا تعني أنه يشتمل على كل ما يلزم المتقدمين منهم من المفردات والتراكيب والصيغ اللغوية أو يرتقي بملكاتهم في مجالات التعبير والفهم على أحسن وجه. فهناك

العديد من الاصطلاحات العلمية الحديثة والألفاظ التراثية التي يحتاج الطالب إلى معرفتها أو يفترض أن يتعرف عليها غير موجودة في هذا المعجم. بينما استغرقت الإحالات الكثيرة والأصول التي يتكرر ذكرها مع اشتقاقات كل مادة من المواد التي يشتمل عليها جزءاً كبيراً من حجمه وسعته، وجعلته ثقيلاً نوعاً ما على الناشئة الصغار المبتدئين، يصعب على الكثيرين منهم اصطحابه والتنقل معه، وهذا ما حدا بالمؤلف لأن يختصره ويصدر معجماً أصغر منه بعنوان «الرائد الصغير» خاصاً بالناشئة المبتدئين أو بالأحرى طلبة الابتدائية والتكميلية.

وحتى في طريقة التفسير فإن «رائد الطلاب» لم ينج من الأخطاء. ومن أبرز هذه الأخطاء، تعريف الكلمة بما يضادها أو يناقضها، وتفسير الغامض بالغامض أحياناً، والتقصير في إعطاء المعنى السليم أو المهم الكامل للفظة أحياناً أخرى، ثمّت الإحالات الكثيرة التي تربك ذهن الناشئ وتحوجه إلى بذل المزيد من الجهد والوقت في البحث والتفتيش، أو تدعوه إلى التبرم والملل أو إلى الانصراف عن المعجم كلية عندما يطول به البحث أو تتباعد مواقع الإحالات، وغير ذلك مما عاب به مؤلف هذا المعجم نفسه معاجم اللغة القديمة والمعاجم الحديثة السابقة لمعجمه[113].

لقد ورد في تفسير مادة (سفل) على سبيل المثال: «سَفُلَ يسْفُلُ: سُفُولاً. في الشيء: نزل من أعلاه إلى أسفله. سَفُلَ يَسْفُلُ: سُفُولاً وسَفالاً. ر. سفَل.

سَفلَ يسفُلُ: سَفَلاً. ر. سفَل.

السُّفْل. الانخفاض، نقيض العلوّ.

السِّفلَة. من النّاس: أسافلهم، غوغاؤهم.

السُّفْلِيُّ. من الأشياء: الواقع في الأسفل.

فهنا يذكر بعض صيغ الفعل (سفل)، دون تفسير، محيلاً القارئ على الأصل، ثم يفسر (السُّفل) بنقيضه (العلوّ) كما تفسرها المعاجم اللغوية القديمة. ويفسر (السَّفَلة) و(الأسافل) بالغوغاء، مع أن كلمة الغوغاء ليست بأوضح من كلمة (السفلة) إن لم تكن أكثر غموضاً منها بالنسبة للطالب. ويفسر كلمة (السُّفْلِيُّ). بالواقع في الأسفل. دون أن يفسر كلمة الأسفل نفسها أو يحيل إليها.

أما كلمة (طمي) فقد جاء في تفسيرها: «طَمَى يَطْمِيْ: طمْياً. (ط م ي) ر. طما». وعند الرجوع للكلمة المشار إليها نجد ما نصه «طَما يطْمُوْ: طَمْواً وطُمُوّاً.

1 - الماءُ: ارتفع وملأ النهر.

2 - البحرُ أو النهرُ: امتلأ.

3 - النباتُ: طال.

4 - به الهمُّ أو غيره اشتدَّ»، بينما لا نجد التفسير الصحيح أو المعنى الدقيق الذي تعارفت المعاجم الأخرى على ذكره والابتداء به لكلمة (طمي) وهو الطين يحمله السيل ويستقر على الأرض رطباً أو يابساً. وهوالغرْين[(114)].

8 - معاجم الناشئة المستلة من المنجد

لقد وضع لويس معلوف اليسوعي معجمه «المنجد» الذي سبق الحديث عنه في جزء سابق من هذه الدراسة ليخدم طلبة المدارس ويفي بحاجة المبتدئين، ويعين المتأدب الناشئ، كما صرح المؤلف نفسه بذلك. إلا أنه وجد فيما بعد، كما يبدو، أن هذا المعجم في ضخامته وسعته يلائم الكبار وربما المتقدمين من الطلبة أيضاً أكثر مما يلائم المبتدئين أو صغارهم الناشئين، لذلك استلت منه ـ وعلى نحومتدرج ومتوال ـ ثلاثة معاجم مختلفة الأحجام لتكون للطلبة أو للناشئة في مراحلهم المختلفة، وضعت كلها على وفق المنهج الألفبائي النطقي الذي يعتمد أوائل الكلمات زيادة في تبسيطها وتسهيل تناولها ورجوع الطلبة إليها. كما استل معجم رابع صغير بنفس المنهج خاص بالطفل في أول عهده بالقراءة يشتمل على (186) كلمة مشروحة مصورة، سمي بـ «المنجد المصور». أما المعاجم الثلاثة التي خصصت للطلبة فهي حسب أحجامها وتدرج مستوياتها وتواريخ صدورها:

أ - المنجد الأبجدي

قام باختصار هذا المعجم عن «المنجد» الكبير فؤاد أفرام البستاني، وقد ظهر في طبعته الأولى عام 1967م، ثم طبع بعد ذلك ثماني طبعات أخرى، كان آخرها الطبعة الصادرة عن دار المشرق ببيروت 1993م. وهي طبعة حديثة أنيقة، أخرج المعجم فيها في (1174) صفحة، بعمودين في

كل صفحة، مزوداً بـ (34) لوحة سوداء و(32) لوحة ملونة، و(15) خريطة. وبمقدمة مختصرة تتضمن بعض الأحكام والقواعد الصرفية والنحوية والإملائية المتعلقة بمزيدات الأفعال، والاشتقاقات، والصفة والموصوف، والمثنى والجمع وقواعد كتابة الهمزة... ولكن متن المعجم في طبعته الأخيرة، كما يبدومن مقدمته الأصلية التي تتصدره، لم يتغير ولم يختلف عما كان عليه في طبعته الأولى، رغم الوعد أو التبشير في هذه المقدمة بالتجديد والتطوير[115].

لقد اختصرت مواد هذا المعجم وخففت من كثير مما سقط استعماله في هذا العصر، واقتصر في إيراد المعاني على ما رؤي أنه قريب من حاجة الطلبة ومن مستويات تعليمهم غير العالية، واتبع في التفسير وفي التمييز بين الصيغ والاشتقاقات المبينة نظام الترميز المتبع في الأصل كاملاً، كما بسطت الشروح واختصرت. وقد لا يبدو الفرق شاسعاً بين هذا المعجم وبين أصله القديم من حيث المحتوى أو الحجم، لما لحقه هو الآخر من ضخامة من جراء المنهج النطقي الجديد المتبع فيه وما نجم عنه من تكرار الذكر لأصول الكلمات إلى جانب ما يورد من صيغها واشتقاقاتها.

وعلى الرغم مما اتصف به هذا المعجم من اختصار في الألفاظ والمعاني ومن بساطة واقتضاب في الشرح والتفسير وسهولة في المنهج، فإنه لا يزال كبيراً واسعاً من حيث مادته على كثير من ناشئة هذا العصر ممن قلت ثقافتهم وضعفت مستوياتهم اللغوية. حيث يشتمل على كثير من الكلمات والصيغ التي تتجاوز حاجة ذوي المستويات العامة أو المتوسطة من الطلبة، مما قد يسبب البطء في التناول وفي الكشف عن الكلمات، وربما سبب النفور في النهاية من حجم المعجم. هذا إضافة إلى ما يتضمنه هذا المعجم من تفسيرات غامضة على من لا يتمتع بثقافة جيدة؛ لاشتمال هذه التفسيرات على تعريفات دورية وتعبيرات معقدة وكلمات تحتاج ذاتها إلى شروح[116].

علاوة على ما سبق ذكره فقد ورث هذا المعجم عن أصله «المنجد» الكبير عيوباً وهنات، كإيراد الألفاظ الدخيلة الكثيرة من مثل (البابوج، البازدار، البازركان، الباسيليق، الباعوث، البارقليط، البالطو، البالّو، البانطلون، الباي، بردج، البرفير، برلنتي. برنيطة، بروتستو، البريفة:الشهادة الابتدائية العليا، البسطرما، بسكلت)، دون الالتزام بتمييزها أو الإشارة إلى أصولها.. وكذلك الإكثار من ذكر الكلمات والصيغ العامية المحلية ولاسيما الشامية منها من مثل: (الشلقة، الشلفون، الشليقة، الشلفين، كاش، الدوحاس، الدانج، المبصّر: الذي يرى البخت، بخشيش، البابور، بَخَشَ). وأخيراً حشر العديد من الاصطلاحات المسيحية الخاصة مثل: (البرديوط،

البرشام، البطرشيل، بارقليط، الباعوث) وغيرها مما لا يحتاج إليه الغالبية من الطلبة المسلمين الذين يشكلون النسبة العالية بين الطلبة العرب كما هو معلوم.

وربما كانت ضخامة هذا المعجم نسبياً، والشعور بعدم ملاءمته للطلاب في معظم مراحلهم أو في مراحل تعليمهم الإعدادي والتكميلي على الأقل، فضلاً عن الابتدائي، كانت باعثاً على إصدار معجمين أقل محتوى وأصغر حجماً. وهما: «منجد الطلاب، والمنجد الإعدادي»، ليكونا للطلبة في صفوفهم الإعدادية التكميلية أو المتوسطة.

ب/ج - منجد الطلاب والمنجد الإعدادي

لقد وضع «منجد الطلاب» في نفس العام الذي وضع فيه «المنجد الأبجدي» 1968م، واختصر فيه «المنجد» في (953) صفحة، ووجه للطلاب «ممن لا تقع في مطالعاتهم نصف المفردات الموجودة في المنجد، ولا يتناول استعمالهم ربع هذا النص»، دون أن يحدد بشكل صريح مستوى علمي أو عقلي أو دراسي معين لهؤلاء الطلاب. وقد طبع هذا المعجم بعد أن نظر فيه ووقف على ضبطه فؤاد أفرام البستاني عدة مرات كان آخرها الطبعة التي بين يدي وهي الطبعة الثالثة والأربعون الصادرة عن دار المشرق في بيروت عام 1986م[117].

أما «المنجد الإعدادي» فقد صدر بعد «منجد الطلاب» بعام واحد فقط، ووجه «للطلبة الصفوف الإعدادية أو التكميلية» ولذلك «خفف من مفردات الآداب العربية القديمة التي لا يحتاج إليها الطلبة إلا في المرحلة الثانوية الأخيرة». وطبع هذا المعجم كسابقه مرات عديدة، كان آخرها على ما يبدو طبعته الأنيقة الصادرة عن دار المشرق ببيروت عام 1987م في (658) صفحة، والتي يعد بها هذا المعجم أكثر المعاجم الثلاثة المذكورة اختصاراً وأصغرها حجما.

وقد وضع المعجمان المذكوران على نسق سابقهما «الأبجدي» ورتبت فيهما الكلمات على وفق منهجه النطقي نفسه، واتبع في الإشارة إلى المعاني والأوزان والصيغ المتفرعة عن الكلمات نفس النظام الرمزي المتبع في المعجم الأول، كما زودا بنفس الرسوم والصور والخرائط واللوحات وصدّرا بنفس المقدمة المختصرة. ولم يعد بين الثلاثة من فارق جوهري إلا في عدد الصفحات، وما يمكن أن يشير إليه التباين في هذا العدد من اختلاف في كمية الكلمات، فحتى الشروح والتفسيرات والأخطاء والهفوات الموروثة عن الأصل متشابهة في كثير من الحالات.

ويبدو أن الحذف والإضافة في المعاجم الثلاثة لم يكن مدروساً على نحو دقيق واف، ولم يخضع لعمليات إحصائية أو تقديرية تحدد من خلالها نوعية الكلمة ومستويات استعمالها وحاجة الطالب الذي وجه إليه المعجم لهذه اللفظة أو تلك بنحو كامل. فقد أغفل في «المنجد الإعدادي» على سبيل المثال ذكر الكلمات: باهلَ، بَتَلَ، بَثَقَ، بَدَهَ، بسبس، بعَّجَ، بَثيس، البارك (اسم فاعل من برك)، الباقلاء، البَدرَة، تشويش، ظعينة الورْق، اليحموم. مع أنها بمستوى حاجة الناشئة الذين وجه المعجم إليهم. بينما أوردت في المعجم نفسه كلمات أخرى أبعد في مستواها ونسبة استخدامها عن حاجتهم مثل: اليحمور، الشاروق، الصاروج، غرنوقي، الدوحاس، المِبزَغ (بمعنى المشرط)، المبطَخ (أي موضع البطيخ ومنبته)، بارقليط، الباعوث، الباطون، الباوباب، البَبْر، البخترية، برْألَ، بربريس، برجَلَ، البرديوط، البروليتاريا. البزدَرة...

أما من حيث التفسير فكثير من الشروحات تكاد تكون متشابهة في المعاجم الثلاثة، وإن تميز «المنجد الأبجدي» ببعض الزيادات في التفسير وبإضافة بعض المعاني المجازية للكلمة. ورد في تفسير كلمة (ساحَ) في «المنجد الأبجدي» على سبيل المثال مانصه «ساحَ: سيْحاً وسيحاناً وسياحة وسيوحاً: جال في البلاد للتنزه أو التفرج أو غير ذلك، ذهب للأرض للعبادة والترهّب، وسيْحاً وسيحاناً الماء: جرى على وجه الأرض، والظل فاء».

وقد جاء هذا التفسير نفسه في المعجمين الآخرين، لم تحذف منه إلا عبارة «والظل فاء» التي تحمل معنىً مجازياً غير شائع للكلمة. وورد في تفسير كلمة (مُهْجة) في «الأبجدي» أيضا: «المُهْجَة جمع مُهَج ومُهَجات: الدم أو دم القلب، الروح، (مُهْجة كل شيء): أحسَنَه وخالصهُ». وجاء في المعجمين الآخرين: «المُهْجَة جمع مُهَج: الدم أو دم القلب، الروح». لم ينقَص إلا معنى آخر للكلمة لا يستعمل إلا قليلاً وعلى نحو المجاز أيضا... وهكذا نرى في تفسير كلمة، أرب، فاء، ليث وغيرها.

من خلال ما سبق ذكره يتبين لنا أن «المنجد الإعدادي» و«منجد الطلاب» أكثر ملاءمة للطلاب في مستوياتهم الإعدادية (أو المتوسطة) والثانوية أيضاً، في ضوء الظروف اللغوية والثقافية الراهنة، لتناسب حجمه وشكله، واحتوائه على معظم الألفاظ والصيغ والمعاني الضرورية، إلى جانب بساطة تفسيره واختصار شروحه وخلوه من كثير من الألفاظ والاستعمالات العامية المحلية والأوزان والصيغ المصطنعة، أو لنحسن التقدير والظن ونقول (المحتملة)، والتي بدت ظاهرة كثيرة

في «المنجد الأبجدي» وأدت إلى زيادة تضخيمه.

والأعجمية والمعاني الاصطلاحية الطائفية الخاصة، ومن تلك الصيغ والأوزان الاصطناعية الكثيرة، لخف وزنه، وأصبح مناسباً في حجمه وشكله ومحتواه، لطائفة كبيرة من الطلبة المتقدمين في مراحلهم الثانوية والجامعية أيضاً، على اختلاف تخصصاتهم واحتياجاتهم العامة من ألفاظ اللغة، لما يتضمنه من مادة لغوية عامة غزيرة، فيها من الاصطلاحات العلمية والألفاظ والصيغ الحضارية الحديثة الكثيرة، والمعاني الحقيقية والمجازية الوافرة، ما يزيد بلا شك على ما في المعجمين الآخرين.

9 - معجم لاروس

معجم لاروس للدكتور خليل الجر، معجم موسوعي مصور حديث صدر عن مؤسسة لاروس وبعناية خاصة منها. وقد وضع هذا المعجم للجميع كما هومصرح في صفحة عنوانه، وليس للطلبة أو للناشئة أو لفئات معينة منهم، وإنما وضعناه ضمن معاجم الطلاب لتلاؤم حجمه وشكله ومحتواه ومنهجه لمستويات المتقدمين منهم بنحو عام. فهويشتمل على (53500) كلمة معرّفة و(3525) رسم، و(16) لوحة ملونة، بالإضافة إلى احتوائه على طائفة من أشهر الأمثال العربية، ومجموعة مختصرة من قواعد النحو والصرف والإملاء التي تهم الطلاب، تتعلق بأقسام الكلمة وأركان الجملة وكتابة الهمزة والإعلال والقلب والإبدال تملأ بمجملها زهاء الأربع عشرة صفحة. والمعجم مع هذا التوسع يقع في مجلد واحد بقطع صغير نسبياً، أنيق الإخراج، معتدل الحجم، خفيف الوزن، سهل الحمل والتناول، قياساً بالمعاجم اللغوية العامة الحديثة الكبيرة التي عرضنا لذكرها في الفصل السابق.

ولقد سعى القائمون على إصدار هذا المعجم لأن يجعلوا منه الأول من نوعه، كما يصرح مؤلفه في مقدمته له [118]. فانتدبت جماعة من اللغويين لتسهم أو تساعد المؤلف في تحرير القسم اللغوي منه وإعادة النظر فيه.

ولقد حرص مؤلف المعجم نفسه على إخراجه في شكل عصري ومنهج ميسر، فعمد إلى ترتيب الكلمات فيه على وفق نطقها وترتيب حروفها الأولى، متخذاً الحرف الأسود الغامق للكلمات المعرّفة والأسود العادي للشرح والتفسير، كما عمد إلى تحديد الكلمات الواردة فيه تحديداً علمياً

صحيحاً واضحاً، وأورد الأمثلة والشواهد والرسوم الموضحة، ولاسيما رسوم الآلات والأجهزة والتشريح الإنساني والحيواني والنباتي وأدواته، وحذف ـ كما زعم المؤلف نفسه ـ الألفاظ النابية التي سقطت من الاستعمال وأثبت بدلاً منها الكلمات الجديدة والاصطلاحات العلمية الحديثة، سواء أكانت هذه الاصطلاحات عربية الأصل أم كانت دخيلة أم معربة، مستخدماً الرموز والاختصارات للدلالة على أصول الكلمات غير العربية وعلى العلوم والمجالات المعرفية التي تنتمي إليها الاصطلاحات والألفاظ الخاصة. غير أن المؤلف رغم مؤاخذاته على أساليب المعاجم التقليدية وطرقها في التفسير، لم يسلم معجمه من بعض هذه المؤاخذات.

يعيب مؤلف هذا المعجم في مقدمته المشار إليها على المعاجم الأخرى بأنها تعرف الشيء بضده، «فتعرف السواد مثلاً بأنه ضد البياض، وتعرف البياض بأنه ضد السواد. فمن كان يجهل معنى السواد ومعنى البياض لا يستفيد من التعريفين شيئاً» إلا أنه هو نفسه، لم يتمكن من تجنب هذا العيب في معجمه على النحو الذي أراد.

ورد في تفسير كلمة (الحرام) ما نصه: «الحرام، مص و: المحرم، ضد الحلال «حرامُ الله لا أفعل هذا»: مثل «يمين الله لا أفعله». ـ: المحرم، فيقال: «رجل حرام وقوم حرام» بلفظ واحد لأنه في الأصل مصدر. «الشهر الحرام»: شهر محرم. «البلد الحرام»: مكة. «البيت الحرام»: الكعبة. «المسجد الحرام»: الذي فيه الكعبة..»، فنرى هنا أن كلمة (الحرام) لم تفسر بعد هذه النقاط والفواصل والأقواس إلا بضدها. فلم يبين معناها الصريح الدقيق، كما توضحه أمهات المعاجم الحديثة البارزة، وهو«الممنوع فعله أو عمله».

يضاف إلى ما سبق ذكره فإن المواد القديمة في هذا المعجم لم تخضع لغربلة وتصفية دقيقة، لانتقاء ما يتناسب منها مع لغة العصر. فقد حشرت كلمات كثيرة نادرة الاستعمال أو جافية مهجورة بحجة ورودها في نصوص الكتاب والشعراء الأقدمين، مثل: حذلوم، الحراجل، الحذافي، الحذفور، الراهنامج، الرهوجة، الرهودية... وما إلى ذلك.

ورغم تأكيد المؤلف على كثرة الشواهد وتبنيه لشعار «معجم بلا أمثلة جسم بدون هيكل عظمي» فإن طائفة كبيرة من مواد معجمه وردت بلا أمثلة، وفيها ألفاظ كثيرة تفتقر إلى سياقات وجمل وشواهد توضح أو تحدد معانيها، ولاسيما القديمة النادرة الاستعمال منها.

وبسبب صغر حجم هذا المعجم مع كثرة مواده وضخامة محتواه فقد تزاحمت الأسطر فيه وتقاربت المداخل، وتلاصقت الكلمات، وصغرت الحروف، حتى أصبح البحث فيه مرهقاً لبصر القارئ.

10 - المعجم الوجيز

انطلاقاً من مبدأ الحفاظ على العربية الفصحى والسعي لتقريبها وتيسيرها لطالبيها بمختلف فئاتهم ومستوياتهم، وكجزء من سياسته التي ترمي إلى تأليف ثلاثة ألوان من المعجمات ملائمة لهذه المستويات: وجيز ووسيط وكبير. قام مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بعد إخراجه لـ «المعجم الوسيط» الذي سبق الحديث عنه، بتكليف لجنة خاصة لتأليف «المعجم الوجيز»، ليكون معجماً مدرسياً عصرياً ميسراً، ملبياً لحاجة الطلبة في مراحل تعليمهم العام، ملائماً لهم في شكله وحجمه وإخراجه.

ولقد صدر هذا المعجم في طبعته الأولى عام 1400هـ/1980م في مجلد واحد من (687) صفحة من الحجم الصغير، بثلاثة أعمدة في كل صفحة، واشتمل على مقدمة مختصرة تبين أهداف المعجم وتصف خطته وخطوات المنهج المتبع فيه. والمعجم في حقيقته لا يعدو أن يكون اختصاراً لسابقه «الوسيط» وصورة مطابقة له في منهجه وترتيب مواده وطريقة شرحه وتنوع محتواه. فقد اشتمل على خمسة آلاف مادة مختارة في الأساس من «الوسيط». والتزم في ترتيب هذه المواد بالمنهج الهجائي الجذري: فصنفت جذوراً ومداخل، ورتبت بحسب أوائلها: على وفق الحرف الأول فالثاني فالثالث من حروف الهجاء.

أما في طريقة انتقاء المواد وطريقة شرحها وتفسيرها فقد نهجت اللجنة المكلفة بوضع المعجم سبيل القصد، فأهملت الغريب المهجور، والحوشي غير المأنوس، وآثرت الدقة والوضوح في شرح الألفاظ أو تعريفها، وحرصت على أن يكون بلغة عصره. متسعاً للغة العلم والأدب وألفاظ الحضارة الحديثة. متضمناً الكثير مما تدعوحاجة الطالب المعاصر إليه من الكلمات المولدة أو المحدثة أو المعربة أو الدخيلة ومن المصطلحات العلمية والفنية وألفاظ الحياة العامة التي أقرها المجمع أو ارتضاها الكتاب والأدباء... وهكذا قام بناء هذا المعجم «على قواعد «الوسيط»، وبدا للناظر فيه شبه الابن بأبيه، تلوح في وجهه قسماته، وتبدوعليه سماته»[119].

ولقد ورث «الوجيز» من أصله «الوسيط» في الواقع إيجابيات عديدة، تمثلت ـ مع بعض التحفظ ـ في سهولة التناول، وشمولية المادة، ووضوح الشرح، ودقة العبارة، وجودة الضبط، وتحديد التفسير، واختصار التعريف والتمثيل والاستشهاد، واستعمال الرموز والصور والرسوم الموضحة وأخيراً في وضع الأفعال والأسماء والصيغ والاشتقاقات في ترتيب وتنسيق متدرج محكم. إضافة إلى ذلك فقد تميز المعجم بإخراجه الجميل وطباعته الواضحة الأنيقة وحجمه المناسب الذي يخف على الطالب معه حمله ويسهل عليه تناوله واصطحابه. وبذلك أمكن لهذا المعجم من أن يحقق معظم الأهداف التي وضع من أجلها، وأن يكون مثالاً جيداً لمعجم الطالب المعاصر وإن لم يكن يخلو من الهنات ولم ينجُ من بعض ما وقع فيه سلفه «الوسيط» من أخطاء. ومن بين الهنات أو الأخطاء التي تؤخذ عليه:

1 - إذا سُلِّم بأن مواد المعجم (خمسة آلاف كلمة) وافية بحاجة الطلبة في جميع مستوياتهم التعليمية العامة، فلا يمكن الجزم بأن هذه المواد كلها فاعلة حيوية بالنسبة إليهم. ففيها كلمات قديمة كثيرة لا يرجح أن يحتاج إليها هؤلاء الطلبة في ممارساتهم اللغوية في الوقت الراهن أو يواجهوها في قراءاتهم، من مثل: جحمرش: (العجوز الكبيرة)، والجرشّى: (بمعنى النفس)، واجترش: (لعياله أي تكسب)، ودخمَسَ: (الشئ أي ستره)، وثجل: (الشئ أي اتسع)، ثجر: (بمعنى خلط)، الجوشن: (بمعنى الصدر أو الدرع) الجعضيض: (عشب حولي من الفصيلة المركبة)، انبعق أو تبعق: (المطر: نزل بشدة)، وأثجمت: (السماء: أسرع مطرها). إن لهذه الكلمات بمعانيها المذكورة بدائل عربية فصحى أكثر جمالاً وأكثر وروداً وتردداً في النصوص التراثية وأكثر حيوية وصلاحية للاستعمال وتناسباً مع روح العصر.

علاوة على ما سبق ذكره فإن في المعجم كلمات تستعمل بمعانٍ محلية، وتتعلق بالبيئة المصرية أكثر مما تتعلق بالبيئة العربية ككل، فهي ذات نطاق إقليمي، وربما تهم الطالب المصري أكثر مما تهم الطالب العربي في نطاقه القومي العام، مثل: كلمة «(الإبليز): الطين الذي يخلّفه نهر النيل على وجه الأرض بعد ذهابه». وكلمة (البُنط) بمعنى «اصطلاح سوق العقود المصرية، جزء من مائة جزء ينقسم إليها الريال. ج بُنُوط»...

2 - في المعجم تفسيرات دورية، وتفسيرات للكلمات بأضدادها، وشروح تقليدية غامضة،

تحتاج فيها الكلمات المفسّرة نفسها إلى شروح. مثل:

أ- «(الإباراة): حرفة من يأبُر النخل».

ب- «(ترجَّزَ): الحادي: حدا بالرجز».

ج- «(الآب): الأقنوم الأول عند النصارى».

د- «(أبَضَ): عِرقُ النَساء - أيضاً: تَوتَرَ»

هـ- «(الأرجوزة): المقطوعة من بحر الرجز».

و- «(ثَجلت): المزادة ـ ثجلاً: اتسعت فهي ثجلاء (ج) ثُجل»

ز- «(الثَجير): تفل كل شيء يعصر»

ح- «(دخَلَ): ـ دخلاً ماكَسَ عند البيع حتى تمكن من حاجته فهودخل»

فالكلمات المفسّرة في الأمثلة (ج - ز): (الأقنوم، عِرقُ النَساء، بحر الرجز، المزادة، تُفل، ماكَسَ) نفسها تحتاج إلى تفسير؛ إذ لا يرجح أن يدرك الطالب معانيها. إلا أن تكون تفسيراتها هي الأخرى موجودة في المعجم، ويوجد لدى الطالب من الحلم والصبر على التفتيش والرغبة الملحة في الاطلاع ما يدفعه إلى البحث عنها. وهذا قليل الاحتمال، إذ العادة أن يكون إلى نفاد الصبر والعزوف أقرب.

3 - لا يفرق فيه في التفسير والشرح بين ما يتلاءم مع مستويات الطلبة المتقدمة ومستوياتهم الأولى المبتدئة؛ فالشروح جارية على نسق ومستوى واحد. وما يفهمه طالب المرحلة الثانوية من بعض هذه الشروح قد لا يفهمه طالب المرحلة المتوسطة. وهذا ما يؤيد القول ببعد المعاجم العربية الموجزة الحالية عن مسمى المعاجم المرحلية التي عرضنا لذكرها فيما سبق.

4 - هناك بعض الصفات التي يجدر بالمعجم مراعاتها أو التخلص منها مثل: كثرة الإحالات واستغراقها لجزء من مساحة المعجم وزيادتها من حجمه. ومثل وجود بعض الشواهد الصورية التي لا تبين من خلالها المعاني على نحو بارز ودقيق. ومثل عشوائية الاستشهاد

والتمثيل، وعدم خضوع المعجم لمقياس أو نظام ثابت في ذلك...

11 - معجم الطلاب

«معجم الطلاب» لمحمود إسماعيل صيني وحيمور حسن يوسف معجم سياقي للألفاظ العربية الشائعة حديث وصغير من حيث محتواه، فهو مكون من (280) صفحة، بثلاثة أعمدة في كل صفحة، ويشتمل على (3000) ثلاثة آلاف كلمة، مستقاة في الأصل من قائمة معهد اللغة العربية بجامعة الملك سعود للكلمات الشائعة، مضاف إليها بعض الكلمات المتعلقة بالجوانب الدلالية الحديثة. وهوموجه كمعجم لغوي تعليمي في الأساس للطلاب غير العرب (ممن درس شيئاً من العربية ويفترض أن يكون قد ألم بمفردات لا تقل عن ألف كلمة، وعرف أركان الجملة العربية وعناصرها الأساسية وقواعد تركيبها المبسطة على الأقل)[120].

وبما أن هذا المعجم يهدف بالدرجة الأولى إلى اطلاع الدارس الأجنبي ومن يماثله في المستوى على ما يحتاج إليه من ألفاظ اللغة العربية، وإلى تنمية قدرته على التعبير بهذه اللغة وتحسيسه بطبيعتها المميزة ومن ثم تقريبه إليها، فقد تم في هذا الإطار التعريف ضمن مقدمة المعجم بمجموعة من القواعد النحوية والصرفية والإملائية تتعلق بالحروف الشمسية والحروف القمرية والهمزات وكيفية كتابتها، والحركات وعلامات الإعراب والضبط وأحكامها وأشكالها وطرق رسمها، وبالأسماء وأقسامها وجموعها، والأفعال وتصاريفها وصيغها، والعدد وأنواعه.. وغير ذلك مما يهم دارس العربية الأجنبي وغيره من معارف وأحكام أساسية ويعينه على تعلم العربية، ويساعده على ممارسة التعبير بها. وقد صنفت هذه القواعد ورتبت ووضحت بأسلوب مبسط، وشرحت مع التمثيل، ضمن جداول منظمة استغرقت (23) صفحة من صفحات المعجم. وهذا إجراء لم يسبق إلى اتخاذه على هذا النحو المفصل في معجم حديث آخر.

وقد رتبت مواد المعجم على وفق المنهج الهجائي النطقي الذي لا يحوج المراجع إلى معرفة جذور الكلمات، وميزت المداخل باللون الأسود الغامق، ووضعت في أسطر مستقلة بها، ليسرع المراجع في العثور عليها. وضبطت هي واشتقاقاتها ضبطاً كاملاً ليصح نطقها، وشرحت هي وعناصرها المتفرعة عنها بلغة عصرية مبسطة، تراعي قدرات من وضع المعجم من أجلهم، واتخذت الآيات القرآنية والأبيات الشعرية القريبة المعاني والتعبيرات العصرية الشائعة كأمثلة سياقية

موضحة لها ولفروعها. ولربما استعين كزيادة في إيضاحها أحياناً بذكر مرادفاتها وأضدادها، أو ببعض الرسوم التوضيحية المبسطة. وكإجراء مساعد على تبسيط عملية الكشف عنها للطالب الذي لم تتسع آفاق اللغة وعناصرها في ذهنه، وعلى التركيز على العناصر اللغوية التي تشكل القاعدة الأساسية في لغته التي يتعلمها، فقد وجه الاهتمام في الإبراز والشرح بنحو ملحوظ إلى الأفعال المجردة والأسماء الشائعة وما اندرج تحتها من اشتقاقات وصيغ. أما الأفعال المزيدة وتصاريفها فقد وضعت في جداول خاصة ضمن مجموعة الجداول التي سبقت الإشارة إليها.

ولم يقتصر المعجم على بيان المعنى الحسي أو المعنى المعجمي المألوف للكلمة التي يفسرها، وإنما يبين أيضاً وبشكل متدرج ومنظم ومرقم معانيها المجازية، ومعانيها المولدة المحدثة، والمعاني السياقية التي تتولد نتيجة لاختلاف ما تصفه أو تضاف إليه من كلمات أو ترتبط به من حروف الجر إذا كانت الكلمة اسماً، أو نتيجة لتنوع المواقف وأنماط التعبير عامة. ومن هذا المنطلق يولي المعجم بعض الاهتمام بذكر العبارات الاصطلاحية التي تستخدم فيها الكلمة.

إن كلمة (ساقٌ) على سبيل المثال توضح معانيها في المعجم المذكور على النحو التالي:

«ساقٌ. 1 - كُسِرَتْ ساقُهُ: الجزء من الرِّجْل بين الرّكبة والقَدَم. (ث). وفي القرآن: (والتَفَّتِ الساقُ بالساق). 2 - ساقُ الشَجَرَة: جذعها وهوأصلها الثابت في الأرض حتّى منبت الفروع. سيقان، سوق (جـ). 3 - شَمَّرَ عَن ساقه: استعَدّ للأمر. 4 - قامَ الأمرُ على ساق: اشتدّ. 5 - ساقُ المثلثِ: ضلعهُ. مُثَلَّثٌ مُتساوي الساقَين: لكل ضلع نفس طول الضلع الآخر».

وهكذا نرى إن هذا المعجم يسعى لتعريف الدارس ، ليس على معنى الكلمة فحسب، وإنما على طرق استخدامها بمعانيها المختلفة في أنماط متنوعة من التعبير.

إن أبرز سمة في هذا المعجم هي التركيز على الجانب الوظيفي للغة والسعي للتدريب على كيفية تركيب الألفاظ على وفق معانيها المستعملة فيها وصياغة العبارات وتأليف الكلام بنحو عام سمة بارزة. بل إن الطابع التعليمي ومنهج التعريف بطرق صياغة الكلمات وأوجه استعمالها والتعبير بها وفق الأساليب الفصيحة المقبولة غالب فيه على الطابع المعجمي الذي تتركز مهمة المعجم فيه ـ كما هو مألوف - على تفسير الكلمات وشرح معانيها.

وعلى ضوء ما سبق ذكره فإن «معجم الطلاب» يمكن أن يتخذ كمعين للدارس الأجنبي وللناشئ العربي معاً على تعلم صياغة الكلمات وعلى تنمية مهارات التعبير بلغة مبسطة ملائمة لروح العصر، كما يمكن أن يتخذ كمساعد له على فهم كثير مما يصاغ من نصوص عصرية فصيحة، وذلك من خلال تعرفه على ما يتضمنه هذا المعجم من ألفاظ ومعاني وصياغات لغوية حديثة، وإن كانت هذه الألفاظ والمعاني والصياغات قليلة محدودة نسبياً، ربما لا تفي بحاجة المتقدم أو المتفوق في مستواه من الطلاب، ولا تمكنه من فهم واستيعاب النصوص التراثية والصياغات الأدبية البليغة الراقية على النحو المطلوب.

12 - مجاني الطلاب

صدر هذا المعجم عن دار المجاني ببيروت في طبعته الأولى عام 1995م، وهو معجم ذو قطع صغير، مكون من 1115صفحة، بثلاثة أعمدة في كل صفحة، ورغم سماكة حجمه وامتلاء صفحاته فقد جاء في غلاف أنيق وشكل متماسك وورق نظيف وطباعة تتمشى إلى حد ما مع ما توصلت إليه صناعة الكتاب وإخراجه في عصرنا الحاضر من تطور.

والمعجم مزود بمقدمة قصيرة، تتضمن بياناً للمصطلحات أو الرموز المستعملة فيه، وبعض الفوائد اللغوية والنحوية والإملائية التي اعتدنا رؤيتها في كثير من المعاجم الطلابية الحديثة.

ويشتمل على مجموعة كبيرة مما يحتاج إليه الطالب والمثقف العام في هذا العصر من الألفاظ والمصطلحات الحديثة، «والمفردات السائغة الشائعة التي رفعها التداول إلى مصاف الفصحى ولا مندوحة لنا عن التعبير بسواها»، كما جاء بالنص في «توطئة» الناشر لهذا المعجم [121]. ويولي هذا المعجم اهتماماً ملحوظاً بالمعاني المستحدثة والمعاني المجازية. بينما تقل فيه الكلمات البعيدة عن مجال الاستعمال أو التي لا يقع عليها الطالب في قراءاته إلا في القليل النادر.

وقد رتبت الكلمات في هذا المعجم على وفق النظام الهجائي الجذري الذي يجعل من الثلاثي أصل الكلمة ويدرج تحتها المزيدات والمشتقات المتفرعة عنها. وميزت المداخل باللون الأسود الغامق، بينما ميزت الاشتقاقات التي تتفرع عنها بنجمة صغيرة (*) تسبق كلاً منها وبظهور الحركات عليها. أما المعاني التي ترد للكلمات فقد جاءت مرقمة ومرتبة في الغالب بحسب أهميتها ودرجة شيوعها. بينما جاءت التعريفات والشروح عليها في معظمها ميسرة ومختصرة،

ومقرونة أحياناً ببعض السياقات والتعابير القصيرة التي توضحها أو تشير إلى طرق استعمالها.

ليس في هذا المعجم من الأخطاء ونواحي القصور بمقدار ما وجدناه في بعض معاجم الطلاب السابقة الذكر، فقد سعى واضعوه فيما يبدو إلى الاستفادة من أعمال سابقيهم، ووفقوا لإخراج معجم محكم متوازن نسبياً، يقرب بين الاتجاه القديم والاتجاه الحديث في صناعة المعجم العربي، ويصلح للناشئ ولا يقصر كثيراً عن احتياج الكبير. لقد أخذ في هذا المعجم بما سارت عليه أمهات المعاجم اللغوية العربية من مراعاة لطبيعة اللغة العربية كلغة اشتقاقية وجمع فروع الكلمة الواحدة واشتقاقاتها المختلفة مع أصلها ومصدرها في إطار واحد، مما يفيد الطالب الحديث في التعود على طريقة الاشتقاق واستنتاج المعنى العام لمجموعة من التصاريف في آن واحد، بدلاً من البحث عنها كل على حدة. كما أولى هذا المعجم اهتماماً بالألفاظ القديمة التي يحتاج إليها الطالب أو المثقف في قراءاته للنصوص التراثية الراقية.. ومن جانب آخر فقد أخذ فيه بما جرت عليه بعض المعاجم الجديدة من توسع وتبسط في مجال الاشتقاق بما تسمح به طبيعة اللغة وتدعو إليه الحاجة، ومن تسامح في إدخال بعض الألفاظ العامية والمحلية التي ترجع إلى أصل فصيح أو يكثر تداولها، دون إفراط في هذا التسامح. هذا بالإضافة إلى ما اتصف به هذا المعجم من براعة في التفريق بين أصول الكلمات وفروعها، ومن ترقيم وترتيب منظم للمعاني، ومن استغلال لإمكانيات الطباعة الحديثة في رسم الكلمات وإبراز التعريفات بنحو جلي رغم صغرها ودقة حروفها.

بناء على كل ما تقدم ذكره، يمكن القول بأن معجم «مجاني الطلاب» يصلح من حيث مادته ومنهجه وحجمه ووزنه للطلبة في مراحل تعليمهم الثانوي والجامعي وتخصصاتهم المختلفة، كما يصلح لعامة المثقفين، وإن كان ذلك بنحو نسبي غير ثابت. علماً بأن المعجم، كما سبقت الإشارة، لا يخلو كلياً من القصور ومن الهفوات، التي كان من أسبابها فيما يبدو الاعتماد على المعاجم التقليدية في استقاء المادة، وعدم القدرة على التخلص من التأثر بمناهج هذه المعاجم وطرقها في الشرح والتفسير والتعريف.

ومما يمكن أن يلاحظ على هذا المعجم من نواحي القصور عدم الدقة في تحديد بعض المعاني أحياناً قياساً إلى ما تواردت على هذه المعاني من شروح في أمهات المعاجم اللغوية. فقد جاء في تفسير الكلمات (ميزاب، إطناب، طنفس) على نحو المثال، ما نصه:

* الميزاب ج مَيازِيب ومَوازِيب: القناة التي يجري فيها الماء.

* الإطْناب 1 - مص، 2 - عند البيانيِّين: عبارة عن أداء المقصود بأكثر من المتعارف.
* طنفس - الطُّنْفُسة جمع طَنافس 1 - البساط 2 - الحصير من سَعَف.
* زرنخ - الزِّرْنِيخ: حجر له ألوان كثيرة إذا خُلط مع الكلس حَلَقَ الشَّعر.

يلاحظ أن هذه التفسيرات غير وافية أو غير دقيقة على النحو المطلوب، إذا ما قورنت بما ورد من تعريفات للكلمات المفَسَرة في المعاجم اللغوية المعتبرة. فقد جاء في تفسير الكلمات المذكورة في «المعجم العربي الأساسي» على نحو المثال ــ وهو تفسير موافق لما ورد لها من تفسيرات في المعاجم البارزة الأخرى تقريباً ــ ما نصه[122]:

«- ميزاب ج مَآزِيبُ / ميازيب: قناة أو أنبوبة يصرف بها الماء عن سطح بناء أو موضع عالٍ - إطْنابٌ: 1 مص أطْنَبَ، 2 [في علم المعاني]: أن يزيد اللفظ على المعنى لفائدة، عكسه الإيجاز «بلا إطناب مُمِلٌّ ولا إيجاز مُخِلٌّ».
- طُنْفُسَة: البسَاط.
- زِرْنِيخٌ: عُنْصُرٌ شبيهٌ بالْفِلِزَّاتِ له بَرِيقُ الصُّلْبَ ولونُه، مُرَكَّباتُه سامَّةٌ تُستَخْدم في الطبِّ وفي قتْل الحَشَرَاتِ»

ومما يؤخذ على هذا المعجم من الهفوات، احتواؤه على بعض الألفاظ الأعجمية التي لم يثبت إدخالها في العربية، مثل الكلمات: (زنزلخت، وطوربيل، خليّوز). وكذلك احتواؤه على بعض الاستعمالات العامية المحدودة بحدود محلية أو إقليمية ضيقة، دون الإشارة إلى مواطن تداولها أو استعمالها مثل: (شختورة، شخاتير، الناعُوريَّة، نعنوع، وطَرطور: «تابل يعمل من الطحينة أو من الصنوبر والثوم والحامض»).

ورغم تعهد واضعي هذا المعجم بالوفاء وبضوح الشرح، فإن معجمهم لم ينجُ من التفسيرات الدورية والشروحات التي يكتنفها الغموض. وللتمثيل على ذلك نسوق ما ورد في تفسير الكلمات الآتية:

أ- «الحلزون: دويبة من الرخويات تعيش في صدَفة؛ البَزَّاق».
ب- «الحلزوني: الذي هوعلى هيئة الحلزون».
ج- «شحن: السفينة ونحوها: حملها أشياء لنقلها؛ وَسَقها».
د- «طربوش: غطاء للرأس يصنع من نسيج صوفي صفيق. له شَرَّابة جانبية».
هـ- «الناعورة: العِرق أو الجرح يفور منه الدم؛ آلة لرفع الماء قِوامها دولاب كبير وقواديس

مركّبة على دائرة». و«الناعُوريَّة: المِزاج النَّزَفي».

و - «هوّز: هَوَّز: ثاني الألفاظ التي جمعت فيها حروف الهجاء على ترتيب حساب الجُمَّل».

نلاحظ أنه فسر (الحلزوني) بأنه على هيئة الحلزون. وكأنه فسر الحلزون بالحلزون نفسه.

بينما أو رد في تفسيرات الألفاظ الأخرى كلمات، ربما كانت أكثر غموضاً في ذهن الناشئ من الكلمات المفَسَّرة نفسها. وهي على التوالي: (الرخويات، البَزّاق) في م (أ)، وكلمة (وَسَقها) في م (ج)، و(صفيق. شَرّابة) في م (د)، و(قواديس) في م (هـ). كماعرف كلمة (الناعورية) بتعريف مساو للكلمة نفسها في الغموض إن لم يكن أكثر منها غموضا..

13 - منهل اللغة الصغير

«منهل اللغة الصغير» معجم صغير نسبياً، حديث الظهور، أعد في الأصل ليكون معجماً تعليمياً خاصاً بالمبتدئين أو صغار الناشئين، يوصل إليهم المعلومة اللغوية بطريقة مبسطة سهلة ودقيقة. ويقع هذا المعجم في (380) صفحة من الورق الصقيل، ويشتمل على (3500) مادة و(250) صورة ملونة معبرة، ويمتاز ببساطة الأسلوب وجمال الحرف وأناقة الإخراج في طبعته المتطورة الفاخرة التي ظهرت عام 1997م.

وفي إطار السعي لتسهيل عملية البحث عن الكلمات والإسراع بالناشئ الصغير في العثور عليها فقد رتبت الكلمات في هذا المعجم بحسب أوائل حروفها، وميزت المداخل باللون الأحمر ووضعت في أسطر بارزة، كما وضعت حروف المعجم ضمن مجموعات ثلاث، وجعل لكل مجموعة منها لون مختلف . فما على المراجع الناشيء إلا أن يعين اللون الذي ينتمي إليه الحرف من خلال النظر إلى الأعمدة الثلاثة المبينة بصورة واضحة في المقدمة ثم يبحث كلمته ضمن الصفحات المميزة بهذا اللون.

أما من حيث المواد فقد روعي في اختيارها كما يظهر كثرة شيوعها وحاجة الناشئ المبتدئ إليها كأساس لتطوير لغته، ومستوى ومجال إدراكه لها ولمعانيها. كما روعي في نقلها وتفسيرها جانب النطق الصحيح لها والاستيعاب الكامل لمعانيها المطروحة. فضبطت هذه المواد مع شروحها بالشكل، وشرحت باختصار وبأسلوب سهل مدعم أحياناً بذكر المرادف أو الضد ـ عندما يكون للكلمة مرادف أو ضد شائع مألوف، وعززت الشروح بالأمثلة السياقية المبسطة التي لا يعجز

الناشئ المبتدئ عن تصور المعنى من خلالها في الغالب.

وقد اعتمد نوع من التسلسل المنظم في ترتيب مواد هذا المعجم وعرض فروعها المختارة، يتناسب إلى حد ما مع المستوى العقلي لمن وضع المعجم من أجلهم ومع مهمة التبسيط التي سعى إليها؛ فأتبعَ كل اسم بصيغة جمعه إذا كان مفرداً وبصيغة إفراده إذا كان جمعاً، موضوعة في كلتا الحالتين بين هلالين، ثم بمعناه والمثال الموضح لهذا المعنى. كما اتبع كل فعل بمضارعه، ثم تفسيره، فالمثال الموضح لمعناه. ثم مصدره وبعض اشتقاقاته بين معقوفتين. وكجانب من الهدف التعليمي الذي وضع في اعتبار مؤلف المعجم فقد أفردت صفحة خاصة في بداية كل حرف للتعريف بأنواع الخطوط العربية الأساسية بأسمائها. وهي: خط النسخ، والرقعة، والديواني، والفارسي، والثلث، والكوفي. ورسم الحرف بهذه الخطوط كلها في مربعات بارزة الموضع في نسق جميل ثابت.

لقد وفق مصنف هذا المعجم إلى حد ما في إعداد معجم لغوي متوسط من حيث مادته وطريقة شرحه بين نوعين من المعاجم أشار إليهما المصنف نفسه في مقدمته..[123] نوع لا يزيد عدد مداخله عن بضع مئات من الكلمات، ولا تتناسب إلا مع الناشئة في أدنى مراتب تعليمهم، ونوع آخر لا تستطيع أن تقول فيها إنها للصغار والمبتدئين، بل هي ـ بأحجامها وعدد كلمات كل منها ـ معدة لليافعين والمتقدمين، كالمعاجم التي سبق ذكرها والحديث عنها. إلا أن المؤلف، مع تصريحه بأن معجمه محكوم بمستوى معين أو سن محددة، لم يبين لنا هذا المستوى ولم يحدد هذه السن ولا المعايير الدقيقة التي تنتظمها، وإنما اكتفى بالإشارة إلى أن معجمه معدّ للصغار المبتدئين. وللصغار المبتدئين أعمار ومراحل ومستويات متفاوتة كما هو معلوم.

ومع إقرار المؤلف كذلك بأن «أخطر ما يعانيه واضع معجم الصغار هواختيار مواد معجمه، والميزان الدقيق الذي به يزن الكلمات» فإنه لم يبين لنا الميزان الدقيق الذي اتخذه هو نفسه ووزن به كلمات معجمه، ولا الأساس الذي اعتمده في غربلة وانتقاء مواد معجمه، وتحديدها بـ (3500) مادة فقط. والحقيقة أن المؤلف لم يعتمد على دراسة دقيقة لمراحل اكتساب اللغة ونموها عند الصغار أو على دراسات إحصائية خاصة بألفاظ الشيوع. غير أنه يمكن القول على ضوء الإحصائيات والدراسات التي تناولت مفردات الأطفال اللغوية خلال مرحلة الدراسة الابتدائية[124]، إن معظم ما تضمنه هذا المعجم من ألفاظ مناسب من حيث النوع والكم لطلبة الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية بنحو عام، وللطلبة الذين تتراوح أعمارهم بين السنة الثامنة والعاشرة بنحو أخص. ولا سيما أن معظم هذه الألفاظ كما يبدو من الأسماء والأفعال الثلاثية

والأدوات غير المعقدة والعناصر اللغوية الشائعة التي يفترض أن يتعلمها ويفهمها الناشئة في مثل هذه المستويات الزمنية والدراسية.

14 - معاجم دار الراتب : الأداء ، الأسيل ، أبجد

صدر عن دار الراتب الجامعية ببيروت في عام 1997م ثلاثة معاجم ذات أحجام مختلفة، وضعت جميعها فيما يبدو للطلبة في مراحل تعليمهم المتدرجة: معجم ذوقطع كبير مألوف بعنوان «الأداء»[125]، مكون من (648) صفحة، ويضم، كما هو مكتوب على غلافه الخارجي (50) ألف كلمة، ومعجم متوسط الحجم بعنوان»: «الأسيل»[126] مكون من (801) صفحة، ويتوقع أن يشتمل على (40) ألف كلمة، قياساً بسابقه، ثم معجم ثالث صغير القطع بعنوان: «أبجد»[127]، مكون من (462) صفحة، ويشتمل حسب ما هو مكتوب على غلافه الخارجي أيضاً على (30) ألف كلمة ومعناها.

وتتشابه هذه المعاجم الثلاثة من حيث صبغتها التجارية، وأشكالها المتأنقة، وأغلفتها المنمقة، وورقها الفاخر، وطباعتها العصرية الواضحة، كما تتشابه في وضع صفحاتها كلها على عمودين تحيط بهما بحبوحة من الفراغ، وفي تمييز المداخل باللون الأسود الغامق، والمباعدة بين المواد، بحيث لا تبدو الأسطر متقاربة ولا الكلمات متزاحمة أو متلاحقة. كما هو الحال في بعض المعاجم التي تعرضنا لذكرها. وتتفق كذلك في تصدير كل باب من أبوابها بالحرف الذي عقد له الباب مرسوماً بخط كبير وموضوعاً في مساحة واسعة. كما تتفق في ترتيب الكلمات المفَسَّرة فيها بحسب أوائل حروفها المنطوقة. أي على وفق المنهج النطقي الذي سبق الحديث عنه.

ومثلما تتشابه هذه المعاجم في طباعتها وطريقة إخراجها، تتشابه كذلك في كثير مما يتعلق بمادتها فقد صُدِّر كلٌ منها بـ «تمهيد» اشتمل على بيان مختصر لبعض القواعد الإملائية والصرفية والنحوية الضرورية وهذا التمهيد مثبت بنصه في المعاجم الثلاثة كلها، لا يختلف في معجم عنه في آخر إلا في حجم الحرف الذي طبع به. أما من حيث الشرح وطريقة تفسير الكلمات وترتيب المعاني التي تورد لكل كلمة فالمعاجم الثلاثة تكاد تكون متطابقة فيها أيضاً. بحيث لا يحس القارئ المتفحص بفارق ملحوظ بينها في طريقة عرض المادة اللغوية، ولا يلمس نوعاً من المراعاة في عبارة الشرح لمستوى معين من الفهم والإدراك دون آخر. اللهم إلا في عدد المعاني التي ترد للكلمة، حيث ينقص منها أحياناً كلما صغر حجم المعجم.

ولا تختلف المعاجم الثلاثة كثيراً من حيث مستوى المفردات اللغوية التي تشتمل عليها، ولا من حيث نوعيتها، وإن اختلفت في عددها أو عدد المعاني التي تورد عليها، فلو قارنا بين «الأسيل»، وهوالمعجم المتوسط منها، وبين معجم «أبجد» الصغير، من حيث نوعية الألفاظ المدرجة فيهما ونوعية المعاني الواردة على هذه الألفاظ. لوجدنا أن الفارق ضئيل بينهما. وهذا يعني أن هذه المعاجم لم تصنف على أساس منهج إحصائي محكم مدروس، يراعى فيه التدرج الطبيعي في مستويات الناشئة اللغوية والعقلية ومدى احتياجاتهم من ألفاظ اللغة بنحو دقيق، حتى ليبدو للدارس أحيانا أن إيراد الألفاظ والمعاني أو حذفها من معجم دون آخر من المعاجم الثلاثة جاء بنحو تخميني وحكم سريع، لا هدف منه إلا جعل أحدها مختلفاً في حجمه عن الآخر.

الكلمات: (خَطُر، الخطفَة، الخفيت، الشاتي، الشامس، شتل، العاصف، العاطل، العالية، عبقر، العثار، العُجاب، العُجْب، قحل)، هذه ذكرت في «الأداء» وأسقطت من «الأسيل» رغم تناسبها مع مستواه اللغوي المتوسط. بينما ذكرت فيه كلمات مثل: (الخالج ـ بمعنى الموت ـ الخُبّ، الخَبَب الخُدُّة، شؤبوب، الشاغور، الشَعرِيَّة ـ بمعنى حاجز مشبّك ـ العاهن، العرّاب، العرزال، القشعم، الهُندُوس)، مع أنها ـ كما هو ظاهر ـ بمستوى الكلمات التي أسقطت منه ونظائر لها، إن لم تكن أرقى مستوى وأبعد عن الاستعمالات اللغوية الحاضرة منها.

ومن جانب آخر فقد وردت الكلمات: (الخاثر، الخافية، الخباء، خبص، الخاتن، خجلان، عاركَ، العامي، العباب، عقّ)، في معجم «الأسيل» وأسقطت من «أبجد» رغم بساطتها وتناسبها مع ما يمكن أن يستوعبه أو يحتاجه الناشئة الصغار. في الوقت الذي أوردت فيه كلمات أرقى منها مستوى وربما أبعد عن حاجة هؤلاء الناشئة أو عن نطاق استعمالاتهم اللغوية، مثل: (الخازوق، الخَبَبَ، الخبيثة، الختَن، الخُدّة، العارم، العانس، العريكة، العُقار ـ بمعنى الخمرة، متاع المنزل ـ عقص). فهذه الكلمات إن لم تكن أرقى مستوى من تلك التي أسقطت من المعجم، فليست بأقل منها على كل حال.

ملاحظات عامة على معاجم دار الراتب

على الرغم من حداثة عهد هذه المعاجم وجدتها فإنها لم تخلص من الأخطاء التي وقعت فيها المعاجم السابقة، وربما كان للعجلة أو النزعة التجارية في وضعها وإخراجها دور في ظهور بعض هذه الأخطاء، ومهما كانت الأسباب في وجودها فلابد من التنبيه على أهمها، كجزء من منهجنا الذي يهدف إلى تحقيق التطور المنشود للمعجم العربي:

1 - جاء في ما عنون بـ «ملاحظة مهمة» تصدرت كلاً من المعاجم الثلاثة ما نصه: «أهملنا في هذا القاموس الممات من المفردات أو النادر استعماله». ليس في هذا التصريح غرابة، وليس منه مشاحة، إلا أن واضعي هذه المعاجم قد بالغوا في تقدير الممات والنادر استعماله من المفردات اللغوية إلى درجة أن خلت معاجمهم من كثير من الألفاظ التراثية، وإلى حد حذفت فيه كلمات لا يمكن الاستغناء عنها وعن معرفة معانيها، لأنها مازالت صالحة وسارية الاستعمال جارية على الألسن. فالكلمات والتصاريف التالية: (التاثَ، تزمت، تعرية، تعزية، الجائي، الجائم، الجارح، الجاهلي، الجؤجؤ، الجبائر، الجبيرة، الزحار، السحاق، العازب، القابض، القابع، القاسط، القاصف، القاصل، القاطن، القافل، المائس، المائق، الماخور، المارج، الماشطة، الماطر، الماكث، مالك الحزين، المأمون، المؤنة، المؤنق).

هذه الكلمات كما هو ملاحظ، ليست من الألفاظ الميتة ولا النادرة الاستعمال في وقتنا الحاضر، لتحذف من المعجم ، بل إنها ظاهرة في تعبيراتنا، قائمة الأهمية. مع العلم بأن المعاجم المذكورة نفسها تشتمل على ألفاظ يمكن أن تكون أقل استعمالاً ودوراناً في مجالات التعبير في عصرنا الحاضر من هذه الكلمات من مثل.: (الخالج، الختَن، الشاغور، الشامس، العرزال ، القشعم، الهُندُوس).

2 - تشتمل هذه المعاجم على تفسيرات دورية كالتي ألفنا وجودها في عدد من المعاجم القديمة أو التقليدية، مثل قوله: «الحجّام من يداوي بالمحجمة»، و«الحجامة حرفة الحجّام»، و«الزّاني ذو الزّنى»، و«الزراعة = حرفة الزارع»، و«الغشّاش ذوالغش، و«مقيت الممقوت»، و«المناحة موضع النوح، النّواح»، و«هَمْشَ الكتاب = وضع له الهوامش»....

3 - على الرغم من وضوح العبارة وبساطة التفسير واختصاره في هذه المعاجم، فإن فيها من التفسيرات مايكتنفه بعض الغموض، إما لتعريف الكلمة بكلمة مشابهة لها في غرابتها مثل: (حريز = حصين) و(المعتوه = المأفون) و(الجير = الجص)، و(الحبة الخضراء = البطم) و(القِرط = نوع من الكرّاث)، و(قرير العين: من كان بعينه قُرَّةٌ). أو لعدم استواء العبارة المفسرة أو عدم سلاستها، مثل: (توحم = طاق إلى الشئ)، (المكس = ما تأخذه الدولة من السلع عند إدخالها إلى البلاد)، (المكسّر = الجمع المكسّر ضد الجمع السالم الذي كُسر فيه بناء مفرده)، (الزميل = الرصيف في العمل) ، (الزُّنبَرَك = النابض)، (المكرس = من القلائد: ما نظم لؤلؤه في خيطين فضمّا مفصولين).

4 - توجد في المعاجم الثلاثة تعريفات قاصرة أو غير مستوفاة على نحو دقيق، مثل قوله: «الجفاف يبوسة الأرض ونشافها»، و«حاكى [محاكاة] شابه»، و«زَعَمَ قال قولاً حقاً أو باطلاً» و«الزرزور طائر له منقار طويل صغير الحجم»، و«الصياغة حرفة الصائغ»..، و«القرير، قرير العين: من كان بعينه قُرَّةٌ»، و«القُريدس حيوان بحري ذوعشرة أقدام لحمه لذيذ يشبه الجرادة»، و«الهند: جيل من الناس يسكنون في بلاد الهند»، و«الهندباء بقلة تؤكل مطبوخة»، و«الزَّرَافة = حيوان من ذوات الظلف عنقه كعنق الفرس وله قرنان صغيران... إن مثل هذه التعريفات غير وافية لتقريب المعنى إلى ذهن الناشئ في صورته الكاملة. فهي محتاجة إلى مزيد من التفسير والتفصيل، أو التحديد وحصر المعنى في نطاقه الدقيق.

علاوة على ما سبق ذكره فإن لبعض الكلمات المعرَّفة السابقة الذكر مرادفات واستعمالات مجازية أخرى جارية الاستعمال يفترض أن تذكر في معجم الطلبة، ولاسيما المتقدمين منهم، مثل «الصياغة بمعنى بناء الكلمة وبمعنى سبك الكلام، وحاكى بمعنى قلد، والجفاف بمعنى الغلظة، وبمعنى نشف الشيء عامة، كما يقال: «جف العود، وجف الثوب، وجف الجلد...». بمعنى نشف.

5 - عدم ترتيب المعاني تبعاً لقربها وأهميتها: فقد جاء في هذه المعاجم أن: «الحُب: الجرة

الكبيرة أو الخابية؛ الود؛ الغرام؛ المحبة»، وأن «الشُّخير: صوت الحمار؛ الصوت الصادر من الحلق أو الأنف»..، و«القَريحة: ملكة يقتدر بها على الإجادة في نظم الشِّعر أو الكتابة؛ أو ل كل شيء؛ طبع الإنسان»..، و«الخامِل: السافل؛ الكسول».. والمعلوم أن المعاني الأولى التي ذكرت لهذه الكلمات ليست أشد ارتباطاً ولا أكثر جرياناً في الاستعمال من تلك التي جاءت بعدها.

6 - ويؤخذ على هذه المعاجم تكرار التفسير أحياناً لمجرد اختلاف الحركة في فاء الكلمة أو عينها، مما يضخم من حجم المعجم. فقد جاء في تفسير كلمة (القرطاس) على سبيل المثال قوله: «القُرْطاس [بضم القاف]: الصحيفة التي يكتب فيها». و«القِرْطاس [بكسر القاف]: الصحيفة التي يكتب فيها»..، أي التفسير نفسه. والحال أن بالإمكان تفادي هذا التكرار، وذكر الكلمة ضمن مدخل واحد بالحركتين، وتحت تفسير واحد فقط. وقد عُمل بهذا الإجراء في المعاجم الثلاثة نفسها. فقيل مثلاً: «القَرْض والقِرْض: ما سلفت من إحسان أو إساءة؛ ما تعطيه لغيرك من مال شرط اعادته اليك بعد وقت محدد».

ويحدث تكرار الكلمة المفَسّرة وتكرار تفسيرها في هذه المعاجم، لأدنى تغيير أحياناً، فقد فسرت كلمة (اللُّجّة) مرتين، ضمن عمود واحد وبنفس الحركات. وورد في المرة الأولى: «اللُّجّة معظم الماء؛ الجماعة الكثيرة؛ الفضة».. بينما جاء في المرة الثانية: «اللُّجّة (ج. لُجج ولُج ولِجاج) معظم الماء». فمن الملاحظ أنه ليس هناك ضرورة لتكرار الكلمة ولا تكرار تفسيرها.

7 - رغم أن مهمة المعجم الأساسية هي التفسير والإيضاح، وأنه ملاذ من تغمض عليه كلمة أو عبارة، فإن القارئ ولاسيما القارئ الناشئ يواجه في عناوين هذه المعاجم نفسها كلمات غريبة لم تقرب أو تفسر. إن أسماء هذه المعاجم: «الأداء» «الأسيل» «أبجد» ذاتها، على ما يبدو من غرابتها على الناشئ لم توضح في صفحات العنوان ولم تدرج حتى مع الكلمات المفسَّرة داخل المعاجم نفسها. والكلمات: السيلوفان، مونوفوتو، فوتوتلكو، التي تضمنتها معلومات النشر المدونة على صفحات العنوان في المعاجم الثلاثة كلها أعجمية غريبة، وما قد يسأل الناشئ عنه ويحتاج إلى إيضاحه أو تعريفه، وقد أغفلت المعاجم الثلاثة تفسيرها في صفحة العنوان وفي متن الكتاب.

يقول عدنان الخطيب: «من عيوب المعاجم العربية الشائعة، رؤية مؤلف المعجم، يضمن كلامه الوارد في إحدى مواد معجمه أو في مقدمته أو خاتمته، كلمات، ليست مثبتة في مكانها من

معجمه، سهواً منه، أو تحرجاً من ذكرها لعاميتها، أو لمجرد شكّه في صحتها، أو لحوشيتها، وهو لا يريد لمعجمه أن يضم أمثالها»[128]. وقد رأينا مثالاً لهذا العيب في الكلمات الغريبة والألفاظ الأعجمية السابقة الذكر.

رغم الملاحظات أو التحفظات السابقة الذكر، فإن في بساطة الأسلوب واختصار الشرح وتقارب المستوى في المعاجم الثلاثة ما يجعلها صالحة لفئة كبيرة من ناشئتنا في مراحلهم التعليمية المتوسطة في الوقت الراهن. وإذا كان صغيرها «أبجد» يصلح للناشئة الصغار في مراحلهم التعليمية الابتدائية بصفة خاصة والإعدادية بصفة عامة، لقلة مادته نسبياً وصغر حجمه وخفة وزنه. فإن في الأكبر «الأداء» والأوسط «الأسيل» من التقارب والتشابه في نوع المادة وحجمها ومستواها ما يجعلهما صالحين، وبنفس الدرجة تقريباً، للطلبة في مراحلهم الإعدادية والثانوية أيضاً. إلا أنهما غير وافيين ـ كما أظن ـ بحاجة المتقدمين من طلبة الجامعات من ألفاظ اللغة ومعانيها ومصطلحاتها واستعمالاتها التراثية والحديثة، وبمتطلبات التعبير والفهم لديهم في مراحلهم العلمية المتقدمة، ولاسيما أولئك الذين اتجهوا منهم للأدب أو تخصصوا فيه، ونالوا قسطاً جيداً من الثقافة. هذا مع الأخذ بعين الاعتبار الضعف اللغوي والثقافي العام السائد لديهم.

15 - قاموس الهادي

«قاموس الهادي» معجم صغير الحجم والقطع مكون من (644) صفحة، بعمودين في كل صفحة، صدر عن دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع بطرابلس عام 1998م. في طباعة جيدة تتضح فيها المداخل والشروح بمستوى واحد من الحجم والشكل، وبمقدمة قصيرة تبين خطوات المنهج الذي يسير عليه المعجم مع بيان مختصر بالحروف الهجائية والتفريق بين الحروف القمرية منها والشمسية[129].

لم يكن هناك ما يشير إلى مقدار الكلمات التي اشتمل عليها هذا المعجم. وإنما اقتصر على القول في مقدمته بأنه معجم موجه للطلاب ويضم آلافاً من الكلمات تساعدهم على فهم اللغة العربية في أثناء دراستهم. والواقع أن هذا المعجم يشبه إلى حد كبير معجم «أبجد» الصغير الذي أصدرته دار الراتب الجامعية ببيروت عام 1997م وسبق الحديث عنه ضمن هذه الدراسة، بل لا يكاد يختلف عنه لا من حيث الحجم والشكل ولا من حيث المحتوى؛ فالنظام المتبع في ترتيب المفردات اللغوية في المعجمين واحد، وهو النظام الألفبائي النطقي، وطريقة تمييز المداخل عن الشروح واحدة، والتفسيرات رغم بساطتها واختصارها متطابقة تقريباً، وليس هناك إلا زيادة

ضئيلة في نسبة الألفاظ والصيغ اللغوية الحديثة[130].

وإذا كان «أبجد» قد تميز باحتوائه على مقدمة تتحدث عن بعض الفوائد اللغوية التي يحتاج الطالب في العادة إلى معرفتها كالحديث عن الإعلال والحذف والتعويض الذي يصيب الأفعال وعن أنواع المشتقات، فإن «قاموس الهادي» قد تميز ـ إضافة إلى ما أشرنا إليه من الزيادة القليلة في المواد المشروحة ـ بتنظيم عبارة الشرح أحياناً، وبزيادة طفيفة في هذا الشرح أو في ذكر بعض الاستعمالات الجديدة للمفردة أحياناً أخرى.

إلا أن «قاموس الهادي» لا يلتزم بما وعد به مؤلفه في مقدمته، من أنه سيورد «العديد من الكلمات في إطارها اللغوي، في سياق تعبير فصيح أو في سياق مثل سائر أو حكمة مروية». إذ ليس هناك أي وجود ملحوظ للتمثيل السياقي في هذا المعجم. وإن وجد فهو نادر جداً. وهوفي ذلك يتفق مع المعجم السابق الذكر «أبجد» أيضاً. وبناء على كل ما ذكر يمكن القول بأن المعجمين بمستوى متقارب إلى حد كبير: من حيث المادة ونوعيتها ومن حيث المنهج وطريقة التفسير، وأخيراً من حيث صلاحية كل من المعجمين لفئات المتعلمين في مراحلهم التعليمية الإعدادية.

ومن جانب آخر فإنه نتيجة للتشابه الكبير بين المعجمين في المحتوى وفي طريقة التفسير والعرض، فقد حصل تشابه فى الأخطاء أو نواحي القصور أيضاً؛ فالشروح القاصرة، وتفسير الغامض بالغامض، والحشو، وإثبات كلمات عامية واستعمالات محلية في مقابل إغفال كلمات أخرى فصيحة حية قريبة من الاستعمال بحجة الهجران أو الندرة. كل هذه الشوائب موجودة في «القاموس الهادي» كما هي موجودة في «أبجد»، وبنفس النسبة تقريباً، إن لم تكن أكثر ظهوراً في المعجم الأول. حتى ليمكن التدليل على وجودها في هذا المعجم بنفس ما استشهد به عند الحديث عن المعجم الآخر. ويمكن للقارئ الكريم الرجوع إلى ما أوردناه من أمثلة على شوائب وهفوات معجم «أبجد» ضمن ما تحدثنا به عن معاجم دار الراتب، ليراها ماثلة بعينها في هذا المعجم من دون اختلاف يذكر[131].

16 - المعجم العربي الميسر

لم يوضع أو يوجه هذا المعجم رغم صغر حجمه وقلة محتواه للتلاميذ أو للطلبة وحدهم، وإنما وضع كما هو مصرح بالخط العريض على صفحة عنوانه «للمدرسة والجامعة والمكتب والمنزل» أي للصغار والكبار والدارسين وعامة المثقفين.

صدر هذا المعجم في طبعته الأولى عن دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني عام 1413هـ

ـ 1991م في (816) صفحة من القطع الصغير بعمودين في كل صفحة، وطباعة تكاد تكون مميزة عن طباعة المعاجم الأخرى بحروفها الكبيرة وبنطها الممدد العريض نسبياً. دونما تأنق كثير في الطباعة أو الإخراج أو انتقاء الورق . وقد صدر بمقدمة مختصرة تبين مصادر المعجم وخطوات منهجه كما تعرف بالمشتقات السبعة وقياساتها وأوزانها.

وقد تضمن المعجم طائفة جيدة من الكلمات العربية الأصيلة مذكورة ببعض المشهور من معانيها القديمة وبالشايع من معانيها المستحدثة التي أملاها التطور وأثبتتها أقلام الكتاب المعاصرين، كما اشتمل على مجموعة من المصطلحات الجديدة والألفاظ الحديثة والمعربة والدخيلة التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة أو باتت بحكم التداول والاستعمال والشيوع جزءاً لا يتجزأ من العربية. ورتبت هذه الكلمات كافة في المعجم على وفق حروفها الأولى دون حاجة إلى الرجوع إلى الأصول. بينما أدرجت المعاني المتعددة لمجموعة من الكلمات المشتركة مرقمة بنحو متسلسل يقدم فيه المعنى الحسي على العقلي والحقيقي على المجازي. ووضحت بعبارات مختصرة مبسطة، خالية من الاستطراد والاستشهاد، في ما عدا بعض الجمل السياقية الموجزة التي قلما نجدها هنا أو هناك ضمن صفحات المعجم الكثيرة.

ويمكن القول بنحو موجز بأن هذا المعجم بعبارته السهلة وتعريفاته المبسطة ومحتواه القليل من الألفاظ والمعاني يتناسب مع مستويات التلاميذ في مراحل تعليمهم المتوسط وذوي الملكات الثقافية المحدودة عامة. ولكنه في واقع الأمر لا يفي بحاجة الطلبة في مراحل تعليمهم الثانوي، فضلاً عن مراحل تعليمهم الجامعي، ولا أولئك الذين اتسعت مجالات أنشطتهم اللغوية من عامة المثقفين أو ذوي المسؤوليات والمكاتب الوظيفية العالية..

لقد ذكر في مقدمة هذا المعجم أنه «تضمن الكلمات والمصطلحات المعاصرة والحديثة كافة والتي باتت بحكم التطور الحضاري والتمازج الثقافي والتواصل العلمي جزءاً لا يتجزأ من اللغة العربية»، وأنه «حذفت منه الألفاظ النابية، والتي سقطت من الاستعمال بحكم تطور اللغة وتقلب الحضارات، أي أصبحت مهجورة بعيدة عن حاجات العصر»[132]. ولكن هذا الزعم يبدو بعد إنعام النظر في المعجم مبالغاً فيه.

لقد أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة معجمه «الوجيز» ليكون معجماً مدرسياً متلائماً من حيث مادته مع مراحل التعليم العام، محتوياً بالإضافة إلى مادته اللغوية التقليدية على كل ما دعت إليه الضرورة وأقره المجمع وارتضاه الكتاب والأدباء من ألفاظ الحضارة والمصطلحات

العلمية الجديدة الشائعة والكلمات المولدة أو المحدثة، أو المعربة والدخيلة[133]. وفي «المعجم الميسر» ما لا يصل حتى إلى نصف ما في سابقه ومعاصره «الوجيز» من الألفاظ والصيغ والمعاني الفصيحة. وإن كان «الميسر» قد اشتمل على ألفاظ وصيغ جديدة لم يشتمل عليها «الوجيز» بسبب سبقه في الصدور، حيث ظهر الوجيز عام 1980م بينما ظهر المعجم الآخر على نحو ما تبين من قبل عام 1991م. والفرق الزمني بين صدور المعجمين واضح.

أظهرت المقارنة بين ما تضمن باب الدال وحده من كلمات في كلا المعجمين، أن في «المعجم الميسر» (209) كلمات، بين اسم وفعل وأداة. بينما وجد أن في قرينه «الوجيز» (194) أصلاً، تحت كل أصل منها العديد من الاشتقاقات والصيغ اللغوية والأدوات، يصل بعضها إلى ما يزيد على (20) كلمة مشروحة، كما هوالحال بالنسبة للفعل (دَبَرَ) على نحو المثال. فلو عدت هذه الكلمات لبلغت أضعاف ما في باب الدال من «المعجم الميسر». علماً بأن من الكلمات والصيغ التي أسقطت من «المعجم الميسر» ألفاظاً قديمة وحديثة ما زالت حية، حيوية الاستعمال، ولا غنى للطالب المتعلم الحديث عن معرفتها.

من بين ما أهمل ذكره من الألفاظ في باب الدال من هذا المعجم على نحو المثال الكلمات: (دائم، داري، دبّجَ، دجَى، دَرَّ، دَعَرَ، دَعَسَ، دَفَقَ، دَلَعَ، دَمدَمَ، دمس، دَندنَ، دنف، دنيا، الدّهماء، الدوحة، الدويّ، ديجور، ديدن، دينار). ومن بين ما أسقط من باب التاء الكلمات: (تأتّى، تأذّى، تَأسى، تأسى، التأسيس، تآصر، تألّب، التّالد، تأمّر، تبادر، تباغض، تبايع، تباين، تبهّج، تترى، تَلدَ). ومن بين ما أسقط من بعض الأبواب المتفرقة الأخرى الكلمات: (أثَرَ، ألّبَ، بجحَ، بَيَن، مهنّد، مواء، مهول، كبُّ، الكبوة، الكثَب، راقبه عن كثْب، الكحلي، كلح، الكالح، وغَلَ، وغْد، الوغى، وقح، وكَبَ، وكَزَ).

لا يمكن القول بأن هذه الكلمات نابية، أو من التي سقطت من الاستعمال وأصبحت مهجورة بعيدة عن حاجات العصر» لتسقط من مثل المعجم المذكور، فهي ألفاظ فصيحة شائعة الاستعمال كثيرة التداول في الكتابات المعاصرة، ودليل ذلك إثباتها في «المعجم الوجيز» المشار إليه. وهي على كل حال ليست بأقل مستوى أو أهمية من الكلمات الأخرى التي ضمها هذا المعجم، بل إن من الكلمات التي ضمها هذا المعجم ما هو أقل شيوعاً وتداولاً وأهمية، ومنها ما هو ناب بعيد عن الاستعمال أو عامي محلي يفترض خلوه منها. مثل الكلمات: (جادوف، اسبيداج، اكليركية، إكليروس، بلطجة، خردة وخردوات،...)

يبدو المعجم لناظره ضخماً مليئاً غزير المادة، وافيا بحاجة من وجه إليهم من طالبي اللغة، وربما دعمت هذه النظرة تلك العبارة الواردة في مقدمته، والتي تصرح بأنه «يتضمن الكلمات والمصطلحات المعاصرة والحديثة كافة». إلا أنه بعد إنعام النظر يتبين أن من أسباب ضخامة هذا المعجم وكثرة صفحاته ذلك البنط الممدد العريض الذي طبعت به حروفه وتلك الفجوات أو المساحات التي تخللت معظم سطوره وكلماته. وهذا لا يعني بطبيعة الحال التقليل من شأنه كمعجم له دوره ضمن الأطر أو الأوساط التعليمية أو الثقافية التي أشرنا إليها، إلا أن ما يراد قوله هو أننا نتطلع إلى أن يكون هناك تقارب بين شكل المعجم ومضمونه، وبين ما يقال عنه وما هو عليه في واقعه الفعلي، فذلك يساعد القارئ على تحديد معجمه المطلوب. وفي المقابل فقد يكون للتناقض أو التغاير الحاد بين شكل المعجم ومحتواه أو ظاهره وباطنه آثار نفسية سلبية على الثقة بالمعجم أو على الانجذاب إليه.

تعقيب ونقد

في ضوء ما أجري من فحص وتحليل ومقارنة بين المعاجم اللغوية العربية التي شملتها هذه الدراسة، وفي ضوء الدراسات المعجمية السابقة المستفاد منها، يمكن الانتهاء إلى أن جمع المادة اللغوية في المعاجم القديمة لم يكن شاملاً ولم يكن استقصائياً، وإنما كان انتقائياً محدوداً في غالبه بحدود زمانية ومكانية ضيقة، فقد تقيد أوائل مؤلفي هذه المعاجم بتدوين ما ثبت استعماله من المفردات اللغوية في جزيرة العرب في آخر المائة الثانية من الهجرة لعرب الأمصار، وآخر المائة الرابعة لأعراب البوادي، أو الفصيح الذي جرى في كلام العرب الموثوق بعربيتهم[134] وتجنبوا إثبات ما وضع أو استحدث المولدون والمحدثون في الأقطار والأقاليم العربية الأخرى من الألفاظ والصيغ والتراكيب. كما تجنب بعضهم إثبات كثير مما أطلق عليه (الغريب) الذي يحتاج في معرفته إلى كثير من التنقير في كتب اللغة المبسوطة، و(الوحشي المستنكر) أو (الحوشي) الذي ينفر منه الذوق أو السمع، و(المبتذل) الذي يشيع بين العامة دون الخاصة[135]. وكثير مما لم تثبت روايته أو سماعه، أو كان عندهم موضع شك أو ريب من ألفاظ اللغة وصيغها.

من جانب آخر فقد اعتمد الأواخر من مصنفي هذه المعاجم بصورة أساسية على ما جمع أسلافهم من مواد ومعارف، ولم يتتبعوا كل ما استجد واستحدث في عصورهم وتغير من ألفاظ وصيغ ومعان وتراكيب. وهكذا بقيت معاجمهم قاصرة عن متابعة ما حدث لمفردات اللغة من نمو وتطور واتساع على مر العصور اللاحقة لتصنيفها، «لم تتضمن كل ما تناقلته ألسنة البلغاء أو تداولته أقلام الكتاب، ولا كل ما نطقت به العرب.. وتجاهلت كما يؤكد أحد الباحثين «الكثير الكثير من ألفاظ المظاهر الحياتية والحضارية ومصطلحات العلوم التي ابتكرت وسرت على يد علماء كبار في الطب والنبات والرياضيات والفلك والتاريخ والجغرافية[136]. وقد فطن إلى ذلك أئمة اللغة في العصر الإسلامي وما بعده ونبهوا إليه»[137]. وبناء على ذلك فقد ظلت هذه المعاجم ـ رغم اتساع الكثير منها ـ قاصرة عن

الإحاطة بكل ما يمكن أن يحتاج إليه المتعلم والمثقف بنحو عام من مفردات اللغة في العصور الماضية، فضلاً عن عصرنا الحاضر. هذا بالإضافة إلى ما حوته المعاجم القديمة عامة من حشو واستطراد وتكرار لا طائل تحته، وما وقع فيها من أوهام ومن أخطاء الرواة وتصحيف النساخ، وما عانت منه من غموض أو تعقيد في الشرح والتفسير وصعوبة في المنهج مما يكلف الباحث فيها عناء ومشقة، على نحو ما سبق ذكره والتدليل عليه.

من هذه المعاجم ما أحسن جمعه ولم يحسن وضعه، ومنها ما أجيد وضعه ولم يجد جمعه، ولا يفيد حسن الجمع مع إساءة الوضع، كما يقول ابن منظور في مقدمة معجمه، ولا تنفع إجادة الوضع مع رداءة الجمع[138] - وإن كان معجم ابن منظور نفسه كما تبين من قبل واحداً من هذه المعاجم، وليس بأحسن حال كثير منها. ومهما كان من وضعها وجمعها ومن قصورها أو كفايتها في عهود وضعها وتصنيفها فهي على كل حال ليس بها عن المعاجم الحديثة غنى، لأنها على حد تعبير بعض الباحثين «معاجم ألفت في عصور يختلف مفهوم الحضارة فيها عن مفهومها في العصر الحديث»[139].

إن ما سبق قوله يتفق مع ما توصلت إليه الدراسات السابقة لهذه المعاجم ويؤكده[140] ولكنه لا ينفي بطبيعة الحال أهمية المعاجم المذكورة ولا يلغي فاعليتها. فلكل من هذه المعاجم دوره المؤسس ووظيفته في مجاله ومستواه.. وهي إن لم تكن عملية فاعلة على النحو المطلوب بالنسبة للناشئين، فإنها يمكن أن تكون فاعلة نافعة بلاشك لفئات عديدة من المثقفين والدارسين، ولاسيما المهتمين منهم بمجالات اللغة وعلوم القرآن وفنون الأدب ونصوص التراث بمختلف مجالاتها وموضوعاتها، حيث تمدهم هذه المعاجم بمادة لغوية غزيرة متعمقة متفرعة دقيقة العناصر، تعينهم على استكناه نتاجات الفكر المدون بلغة العرب في مختلف ميادينها، وتؤسس لديهم لغة صافية أصيلة في معظم جوانبها. علماً بأن هذه المعاجم يمكن أن تصفى مما فيها من شوائب، وتخلص مما اعتورها من أخطاء، وتعالج في ضوء ما وصلت إليه صناعة المعجم الحديث من تطور فتزداد فاعليتها ويتسع مدى الاستفادة منها.

أما المعاجم الحديثة ومن ضمنها معاجم الطلاب، فمع ما بلغته من تقدم وتطور من حيث المادة والمنهج أو البناء والإخراج والطباعة، لم يتمكن واضعوها من تدارك كل الأخطاء والهنات التي وقعت فيها المعاجم القديمة، ولا أن يتلافوا كل نواحي الضعف والقصور التي عانت منها ولم يستطيعوا التخلص تماماً من قيود الماضي وتبعاته. وما زال كل منهم يستعرض سيرة المعاجم

القديمة في حرقة وأسف وتطلع إلى التجديد والتطوير والارتقاء بالمعجم العربي، ويحصي على معاجم سابقيه الأخطاء ونواحي القصور أو التقصير، زاعماً أن معجمه من أوضح وأدق وأيسر المعاجم منهجاً وأحدثها طريقة وأكثرها إحكاماً وأو سعها مادة، وأنه تجتمع فيه ما لم تجتمع في غيره من خصائص ومزايا، دون أن يتمكن في الحقيقة من تخليص معجمه مما عاب به غيره على النحو المطلوب.

إن عيوب عدم الالتزام بالخطط التي يضعها مؤلف المعجم الحديث لنفسه، وعيوب النقص في الإحالة وفي التحديد، وفي التمييز بين المهم الملائم لحاجات العصر من الكلمات والصيغ اللغوية وغير المهم، والعيوب في تعريف المصطلحات العلمية والحضارية الجديدة، والخلط بين ما يجب أن يكون في المعجم الخاص منها أو من تفسيراتها المطولة وما يفترض أن يذكر في المعجم العام، هذه العيوب وغيرها مما أحصاه بعض الباحثين على معاجمنا الحديثة قبل سنوات عديدة[141] ما زال كثير منها ـ كما يظهر جلياً في الأجزاء ذات العلاقة من هذه الدراسة ـ ماثلاً وشائعاً في أغلب معاجمنا الحديثة. وبهذا يبقى المعجم العربي الحديث، رغم الجهود الكبيرة التي بذلت لتطويره والارتقاء به، محتاجاً إلى المزيد من النظر والدراسة والتسديد والتطوير، والتخلص من سيطرة النزعات الفردية والأذواق الشخصية في وضعه والخضوع بدلاً منها للمعايير والأسس العلمية الجديدة، سواء في اختيار المنهج أو انتقاء المادة أو تحديد المستوى وتعيين الحجم أو غير ذلك مما يتعلق بصناعة المعجم الحديث؛ ليرقى إلى المستوى الذي وصلت إليه معاجم اللغات المتقدمة.

إن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن المعاجم الحديثة التي بين أيدينا، فاشلة في أداء وظائفها في تنمية لغة المتعلم وإثراء محصوله اللفظي، ففي هذه المعاجم ـ كما تبين ـ أنماط ونماذج مختلفة جيدة، صالحة من حيث المادة والمنهج لفئات من المتعلمين، وافية بكثير من احتياجاتهم من عناصر اللغة المستخدمة في مختلف أنشطة التعبير اللفظي، وإن لم تصل بعد إلى المستوى الذي نطمح إليه في فاعليتها وجاذبيتها وقدرتها على النفاذ والانتشار والتأثير. وبذلك فلا سبيل إلى الانتظار حتى تتحقق كامل الطموحات، وإنما ينبغي العمل على توثيق ارتباط المتعلمين بهذه المعاجم بعد تحديد المعجم المناسب لكل فئة أو طبقة منهم، وحثهم المتواصل على ممارسة التعامل معها والرجوع إليها بكل الوسائل الممكنة.

إن الممارسة الفعلية ستضع المعاجم الحالية المتوفرة موضع الاختبار والتجربة، وتشارك بنحو أو بآخر في تقويمها على ضوء الظروف اللغوية الراهنة ومتطلبات الحياة الحاضرة، وتساعد على اكتشاف العيوب والأخطاء ونواحي القصور فيها، وتسهم في تحديد أوجه الإصلاح والتطوير اللازمة لها، وبالتالي تعين واضعيها ودارسيها والمهتمين بنشرها عامة على تلمس سبل الارتقاء بها.

الجزء الخامس

صفات عامة مقترحة للمعجم الجديد[142]

لاشك أن المعجم العربي الحديث قد خطا خطوات واسعة نحو التقدم كما سبقت الإشارة إلى ذلك من قبل، وبلغ في بعض أشكاله مستوى يتمشى إلى حد كبير مع ما تحقق في هذا العصر من تطور في صناعة الكتاب طباعة وإخراجاً، وقد كان ذلك ثمرة مساع وجهود خيرة قامت بها جهات معنية متعددة مدركة ضرورة الوعي اللغوي، ومقدرة ما يقوم به المعجم بمستوياته المختلفة من دور بالغ الأهمية في تحقيق هذا الوعي؛ فقد خصصت دراسات عديدة لمناقشة قضايا المعجم العربي وبحث سبل الارتقاء به إلى مستوى أفضل، وطرحت التوصيات العديدة التي تدعو إلى تخليصه من تبعات الماضي ومن الشوائب التي تحول دون ارتباط الناشئة به أو تقلل من هذا الارتباط. وصدرت القرارات والتصريحات التي تنادي بإيجاد معجم أعمق أصالة وأوسع ثراء وأجزل عطاء وأكثر مرونة: يحرس العربية ويصونها، كما يستوعب جديدها ويتابع تطوراتها، ويجذب أهلها إليها وينقلها إليهم صافية حية مرنة على وفق منهج سهل ميسر مواكب لتطورات الحياة ومستجدات العصر.

ولقد توالت الدراسات والتوصيات حول المعجم العربي واتسعت حلبة النقاش وكثر الأخذ والرد، وطال الحديث عنه حتى كاد أن يصبح مكروراً. غير أن هذا المعجم في الحقيقة لما يصل بعد إلى المستوى الذي ينبغي أن يصل إليه من حيث المادة والمنهج أو المضمون والشكل. رغم ما تجاوزه من عقبات وحققه من إيجابيات وأحرزه من تطور.

ما يزال المعجم العربي كما سبقت الإشارة مثقلاً برواسب قديمة، ويعاني من مشاكل عديدة تبدو وكأنها مستعصية على الحل. وليس أدل على وجود هذه المشاكل من عجز هذا المعجم عن النفاذ أو الانتشار على النحو المطلوب بين أو ساط خاصة المثقفين العرب فضلاً عن عامتهم. ومن غربته بين الناشئة وعدم إقبالهم عليه، رغم توفره وامتلاء الأسواق بأنواع وأحجام مختلفة منه مبهرجة الأشكال جذابة المظاهر. ولو أجريت إحصائية عن عدد المتعلمين العرب الذين يقتنون المعجم العربي لرجح أن يكون هذا العدد ضئيلاً . ولو أجريت دراسة إحصائية حول استعمال هذا المعجم بين المتعلمين والدارسين لوجد ــ على ما أظن ــ أن النسبة الغالبة منهم وخاصة من ذوي التخصصات العلمية لا يرجعون إليه؛ إما نفوراً منه، أو لعدم وجود الحوافز للبحث فيه، أو للجهل بكيفية استعماله... ولوجد أيضاً أن هذا المعجم في الغالب رهن الرفوف، مهجوراً، لا يستعمل إلا فيما تفرضه الضرورة.

لا ينكر أن للأسباب التي سبق ذكرها في مستهل هذا البحث وقلة التوعية وضحالة المستويات الثقافية عامة، وعدم التزام تدريب المتعلمين على استعمال المعجم من جانب، وانبهار الناس باللغات الأجنبية وما يرتبط بهذه اللغات من مغريات مادية من جانب آخر، لكل هذه العوامل بلاشك آثارها الكبيرة في غربة المعجم أو في عدم انتشاره وتداوله على المستوى المطلوب، وفي قلة الإقبال على اللغة العربية بوجه عام. إلا أن هناك أسباباً تعود في الحقيقة إلى المعجم ذاته وإلى ما يعاني منه من تعددية في المنهج واضطراب في المادة وقصور عن استيعاب جميع الإيجابيات المفترضة، وعدم تمثل هذه الإيجابيات شكلاً ومضموناً أو نصاً وروحاً.

لا ريب أن الجهود التي بذلت في سبيل تطوير المعجم العربي، سواء من قبل علماء ودارسي اللغة كأفراد أو من قبل المؤسسات اللغوية العربية ولجانها المختصة، قد أثمرت كما أشرنا إلى حد كبير، وما صدور معاجم متطورة مثل: «المعجم الوسيط» و«المعجم الوجيز» و«المعجم العربي الأساسي» و«المنجد» و«المرجع» و«المعجم الجديد» و«معجم اللغة العربية ـ المحيط» وغيرها إلا من ثمرات هذه الجهود. لقد حققت هذه المعاجم كثيراً من الطموحات، ودلت على رغبة صادقة في خدمة اللغة، وخففت على كثير من الدارسين مؤنة البحث في المعاجم القديمة الضخمة والخوض في دهاليزها التي يصعب عليهم في الغالب اقتحامها، وأشعرتهم إلى حد كبير بحيوية اللغة وبارتباطها بتطورات الحياة. إلا أن هذه المعاجم وأمثالها مع ما لها من محاسن وما حققته من إيجابيات، ما يزال نفوذها وأثرها محدودين، بين أوساط الناشئة وعامة المثقفين على نحو الخصوص؛ لأنها ما زالت تفتقر إلى ما يجعلها أكثر جاذبية من حيث المادة والمنهج والشكل، أي إلى ما يجعلها أكثر فاعلية، وأوثق تعاملاً مع الرصيد اللغوي الوظيفي، وأكثر ملاءمة لحاجات العصر وظروف الحياة الفعلية ولمستويات الدارسين العقلية والثقافية ولأعمارهم الزمنية.

لسنا هنا في معرض التفصيل في الحديث عن صناعة المعجم أو مناقشة قضايا المعجم العربي من النواحي النظرية، أو أننا معنيون بذكر ما تحقق في هذا المعجم من إيجابيات ومعالجة كل ما يواجهه من مشاكل، فقد عقدت لذلك كما سبق القول دراسات خاصة يمكن الرجوع إليها[143]. وإنما غرضنا الأساسي كما أشرنا إلى ذلك من قبل هو النظر إلى المعجم العربي من الناحية العملية وما هوعليه بالفعل من خلال الفحص الأولي لمعظم النماذج المتوفرة منه، وطرح ما يمكن تصوره في ضوء هذا النظر وهذا الفحص من مقترحات تطمح إلى أن تشارك في تطوير هذا المعجم وفي الارتقاء به إلى المستوى الأفضل بنحو عام، وفي تطوير معجم أو معاجم الناشئة وزيادة فاعليتها وتوثيق

الارتباط بها وتوسيع مدى الاستفادة منها على نحو أخص. ولقد ذكرنا بعض هذه المقترحات في بحث سابق بنحو مختصر نسبياً[144] كما أشرنا إلى بعض آخر منها ضمناً خلال الحديث عن مناهج بعض المعاجم في الفقرات السابقة من هذه الدراسة. لذلك فإننا ربما نعود هنا إلى بعض ما اختصرناه أو أشرنا عَرَضَاً إليه، لنطرحه بنحو من التركيز والتفصيل والتوسع في التحليل والتمثيل، ونعرضه في إطار مختلف، متماسك الجوانب مترابط الأجزاء، هذا مع إضافة مقترحات أخرى جديدة لم نتعرض لذكرها من قبل، آملين أن نحقق بذلك المزيد من الفائدة .

قضية الحجم

من الواضح أن لاعتدال حجم المعجم بالإضافة إلى سهولة منهجه وجودة إخراجه وطباعته وجلاء حروفه ونعومة ورقه وجمال شكله عامة أثراً إيجابياً كبيراً في نفس القارئ، سواء أكان صغيراً أم كبيراً؛ فهذه الصفات في المعجم تشجع على الاستئناس به والانجذاب إليه ومواصلة استخدامه. كما أن للملاحق والبيانات الدقيقة المختصرة التي تسهل مهمة البحث في المعجم دون أن تعمل على تضخيمه أو تهويل حجمه أثراً إيجابياً فعالاً في تحبيبه للنفوس ودوام الرجوع إليه؛ لذلك كان من المهم مراعاة هذه الصفات كلها في إصدار المعجم اللغوي الحديث.

لقد روعيت هذه الصفات إلى حد ما في عدد قليل من المعاجم العربية الحديثة المختصرة، بينما أهملت أو لم تستوف على النحو المطلوب في عدد آخر منها كما رأينا في الفصول السابقة من هذه الدراسة، وعلى العموم فإن معظم المعاجم العربية ولاسيما الجامعة الكبيرة والوسيطة منها ما زالت تعاني من ضخامة الحجم وثقل الوزن بالنسبة إلى غالبية من وجهت إليهم ووضعت من أجلهم هذه المعاجم. لم يراع في إصدارها اختلاف أعمارهم وتباين مستوياتهم العقلية وتنوع قابلياتهم على النحو الأكمل، فكثيراً ما نرى من الطلبة ومن عامة المثقفين ومن خاصتهم أيضاً من يستثقل حمل المعجم ويتهيب الرجوع إليه أو يتباطأ في استعماله نظراً لضخامته أو تعدد أجزائه حتى لقد أصبح ذلك ظاهرة ملحوظة وخطيرة بينهم، لها آثارها السلبية في تحديد فاعلية المعجم في تنمية لغتهم.

وقد صدرت معاجم في أحجام مضغوطة أو مصغرة كما رأينا، كان الهدف منها اجتذاب القراء، والناشئة منهم على الأخص، إلا أنها لم تسد الحاجة ولم تؤد إلى حل؛ بل تسببت في خلق مشاكل أخرى لا تقل في سلبياتها عن مشكلة الحجم.. فقد ظهرت هذه المعاجم في ورق رقيق هش وطبعت بحروف صغيرة مرصوصة وكلمات متزاحمة وسطور متقاربة، تجعل البحث

في المعجم مرهقاً للبصر مشوشاً للفكر داعياً للسأم أو النفور. كما أن بعضاً آخر منها كان شديد الاختصار غير واف بالمطلوب من حيث المادة... وهكذا بقيت المشكلة قائمة لم تجد حلاً شافياً. لأن الحل لا يتأتى بالتقليل من ضخامة حجم المعجم وثقله بنحو اعتباطي عشوائي، أو التقليل من هذه الضخامة على حساب خلق مشاكل أخرى تحد من فاعلية المعجم وتقلل من تأثيره. إن المطلوب هوالتوفيق بين ثراء المادة وحسن الطريقة واعتدال الحجم وجاذبية الشكل وتلبية الغرض وتفعيل الدور، وهذا لا يتأتى إلا بمراعاة المعايير الحديثة الخاصة بحجم المعجم، والتي تقضي بتحديد غرض المعجم ونوعيته ومستوى القراء الذين يوجه إليهم [145]، كما تفترض الاستعانة بما يوضع أو يصدر من إحصائيات دقيقة للمفردات والبيانات اللغوية في المعاجم والمصادر الأخرى المتوفرة، والتي تتقرر في ضوئها أو على أساسها مادة المعجم الجديد وتقدر كماً ونوعاً، وتحدد طريقة التعامل معها، كما يقدر مستوى المعلومات الإضافية التي يفترض أن يشتمل هذا المعجم عليها[146]

لقد أظهرت هذه الدراسة أن هناك أسباباً كثيرة أدت وما زالت تؤدي إلى تضخيم المعجم العربي بكل أشكاله ومستوياته، لا نرى المجال هنا متسعاً للعودة إليها واستقصائها أو التفصيل في الحديث عنها والتدليل عليها، ولكننا نشير إلى بعضها منتهين إلى تقرير ما ينبغي تحقيقه لتجنبها ولتفادي المشكلة بنحو عام، في إطار موجز يتناسب مع حجم هذه الدراسة.

1 - تميزت المعاجم العربية القديمة كما رأينا بالتوسع والشمولية وبطابعها الموسوعي العام فمعجم مثل «لسان العرب» على سبيل المثال يعدُّ بمثابة موسوعة معرفية كاملة، فهوكما قال عنه أحمد فارس الشدياق: «كتاب لغة وفقه ونحو وصرف وشرح للحديث وتفسير للقرآن[147] ولم تكن هذه في الحقيقة سمة «لسان العرب» وحده وإنما يمكن أن تنطبق على كثير من المعاجم الكبيرة مثل: كتاب «تهذيب اللغة» للأزهري، و«المحكم» لابن سيده، و«الصحاح»، و«تاج العروس»، بل حتى «القاموس المحيط» للفيروزآبادي الذي أراد له صاحبه أن يكون مختصراً مقتصراً على ألفاظ اللغة ومعانيها لم يكن في واقع الأمر بعيداً عن صفة الموسوعية على النحو المطلوب. فكل من ألف في اللغة كما يقول الشدياق نفسه لم يوفها حقها، فإن بعضهم اختصرها وأجحف بها وبعضهم أدخل فيها ما ليس منها... أما صاحب القاموس فإنه جاء بالأمرين»[148].

أما المعاجم العربية الحديثة فقد اعتمد مؤلفوها في تصنيفها على المعاجم القديمة ولم يتمكن معظمهم من التخلص من التبعية في طريقة التصنيف بنحو تام، ولذلك جاءت طائفة من هذه

المعاجم ضخمة ثقيلة؛ لاحتوائها على معارف ومعلومات واستطرادات خارجة عن متن اللغة. وعلى أسماء أماكن وأشخاص ووقائع وأحداث ومدن وقرى قديمة وحديثة باقية ومندثرة وصنوف وأنواع من المعارف الموسوعية لا تتناسب مع طبيعة المعجم ولا مع وظيفته ولا طابعه الحديث. وقد رأينا ذلك متمثلاً في عدد من المعاجم العربية الكبيرة والوسيطة مثل: «متن اللغة» للشيخ أحمد رضا، و«محيط المحيط» للمعلم بطرس البستاني، و«البستان» لعبد الله البستاني، و«لغة العرب» للدكتور متري عبد المسيح وغيرها من المعاجم. بل وجدنا طائفة كبيرة من هذه المعارف الموسوعية تتمثل حتى في أحدث هذه المعاجم وأكثرها تطوراً، مثل «المعجم العربي الأساسي» الذي أشرفت على وضعه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

بناء على ما تقدم ذكره ومن أجل تحقيق معجم عربي حديث عام مناسب الحجم يقترح كخطوة أولى الاستغناء أو التقليل إلى أبعد حد ممكن عن المعلومات الموسوعية التي تعدُّ نوعاً من الاستطراد الخارج عن التفسير اللغوي الدقيق للكلمات، كالتراجم وذكر الحوادث والوقائع التاريخية وذكر المواقع الجغرافية والأوصاف التفصيلية والاستطرادات النحوية أو الصرفية والبلاغية وما شابهها. ينبغي أن يفصل بين الموسوعة وبين المعجم اللغوي الذي يخصص لتفسير المفردات اللغوية فقط، لأنه من الصعب إذا لم يكن من المستحيل في الوقت الحاضر على الأقل كما يعبر خبير المعاجم (فلب كوف) Philip. Gove الدمج بين المعجم والموسوعة في كتاب أو مجلد واحد[149].

وإذا لزم الأمر يمكن أن تخصص للمعارف المطلوب إضافتها للمعجم صفحات معينة ترد في نهاية المعجم اللغوي، فتكون كموسوعة إعلامية مختصرة ملحقة به. كما هو حاصل في كتاب «المنجد» للويس معلوف الذي صدر في جزأين بمجلد واحد: جزء خاص باللغة سماه مؤلفه «المنجد في اللغة» وجزء ثان، ألحق به وسمي «المنجد في الأدب والإعلام». على أنه من الأجدر كما سبق القول أن تترك المعلومات الموسوعية كلية لدوائر المعارف الخاصة بها، ولا يذكر منها إلا ما كان له صلة اشتقاقية أو معنوية وثيقة بالمادة اللغوية سواء أكان المعجم خاصاً بالناشئة وعامة المثقفين أم كان وسيطاً واسعاً موجهاً لكل دارسي اللغة خاصتهم وعامتهم. لأننا هنا حسب تعبير أحد الباحثين «نتحدث عن معجم لغوي»[150] وليس عن موسوعة للأعلام أو كتاب يصف الأشياء.

ويمكن أن تصدر المعلومات السابقة الذكر في ملحقات أو كتب مستقلة ليخف حمل المعجم اللغوي ويسهل تداوله واستعماله، وليفرق بين المعجم الذي يفسر من الألفاظ جوانبها اللغوية ودائرة المعارف التي تصف الأشياء وتفصل في شرحها.

وإذا ما كان هناك إصرار على ذكر أسماء الأعلام أو الإشارة إلى الوقائع التاريخية، أو وجد أن الذين يوجه إليهم المعجم بحاجة ماسة لمثل هذه المعلومات، وأنها لا تتنافى مع وظيفة المعجم اللغوي، فينبغي تحري الاختصار في عرضها. بأن توضع المعلومة على سبيل المثال في أقصر عبارة ممكنة، ويستغنى عن ذكر الألقاب عند ذكر أسماء الأعلام، إلا إذا كان اللقب جزءاً من الاسم الموضح ويغمض معنى الاسم أو يصعب من دون ذكره. وأن يكتفى بتاريخ واحد عند ذكر التواريخ المتعلقة بالوقائع والأحداث التاريخية أو التراجم، كالتاريخ الهجري عند ذكر ما يتعلق بالمسلمين، والتاريخ الميلادي عند ذكر ما يتعلق بغير المسلمين، بدلاً من ذكر التاريخين معاً. ويمكن أن تلحق بالمعجم قائمة خاصة بالسنوات الهجرية وما يقابلها في التاريخ الميلادي، إذا كان المعجم كبيراً وهناك ما يوجب التعرف على التاريخين[151]. وهكذا يمكن أن نحدد من حجم المعجم دون أن نبتعد به كثيراً عن وظيفته وننقص من فائدته.

وربما يتناسب ذكر أسماء الأعلام المهمة والشخصيات والأماكن أو المعالم الشهيرة وما ماثلها من معلومات تاريخية أو حضارية موسوعية مختصرة، مع وظائف المعجمات الثنائية اللغة الموجهة للقارئ الأجنبي، الذي يحتاج لمثل هذه المعلومات، على أساس أن مثل هذه المعلومات لا تشكل جزءاً من تراثه أو معارفه الأساسية التي نشأ عليها، وأنه من غير المنتظر أو السهل عليه البحث والتفتيش عنها في الموسوعات المطولة أو في مظانها المختلفة، فهويحتاج إلى معرفتها في أسرع وقت ممكن وفي أشد ما يكون من الاختصار[152].

2 - ظهر في كثير من المعاجم الجديدة التي تعتمد النظام الألفبائي النطقي ولاسيما الوسيطة والكبيرة الجامعة منها كما رأينا اتجاه جديد أدت المبالغة فيه إلى تضخيم بعضها إلى حد لا يخلو فيه من التأثير السلبي على فاعلية المعجم، تمثل هذا الاتجاه في إطلاق العنان للقياس وتحرير السماع من أية قيود، بحجة «تحرير اللغة من القيود التي تجعلها راكدة ساكنة» أو بحجة التطوير وتوليد ما يمكن أن يستوعب المفاهيم والأفكار الجديدة من الألفاظ والتعابير. وحشيت هذه المعاجم بناء على ذلك بالآلاف من الصيغ والاشتقاقات، المقيس منها وغير المقيس، ما استعمل وما لم يستعمل. هذا بالإضافة إلى ما سارت عليه بعض هذه المعاجم من ضم الألفاظ القديمة البعيدة عن استعمالات العصر أو من التسامح الكبير في إدراج الكلمات العامية المحلية والأجنبية الدخيلة الموثق منها وغير الموثق.. وقد رأينا ذلك بنحو ملحوظ في معاجم حديثة مثل: «الرائد» و«لغة العرب» و«معجم اللغة العربية ـ المحيط» وغيرها.

إن هذا الإجراء لا يؤدي فقط إلى تضخيم حجم المعجم وحشوه بكثير من العناصر والصيغ غير الفاعلة في الوقت الحاضر أو غير المقبولة في بعض الأنشطة اللغوية، وإنما يؤدي أيضاً إلى صعوبة التعامل مع هذا المعجم، وتقليل الرغبة في الرجوع إليه. إذ إن كثيراً من الكلمات والاشتقاقات التي أشرنا إليها تبدو للقارئ العام وكأنها من الألفاظ المهجورة أو المستهجن استعمالها، وربما تبعثه على النفور من المعجم أو تقلل من إقباله عليه. هذا الإجراء ربما يليق بالمعاجم التاريخية الكبيرة أو الشاملة، على أساس أنها تجمع بين ما وجد في اللغة من مواد لغوية وما يمكن أن تتفرع عنه وتتسع له هذه المواد، أما في المعاجم الوسيطة التي توجه لعامة مستخدمي اللغة أو لعامة الطلاب والمثقفين فالأجدر أن تضمن من الألفاظ والصيغ إلا ما كانت له خصائص دلالية وظيفية.

لا يرجح أن يكون من السهل على ناشئ مبتدئ أو حتى دارس جامعي أن يأنس بمعجم يبحث في صفحة منه عن كلمة (تَجَمَّل) فيجد هذه الصفحة مليئة بكلمات غريبة جافية من مثل (جمعرَ، الجمعَرَة، الجمعور، الجمعورة، جمعل، الجمعلة، الجمعليل، جمك، الجامكية)، يمر بها قبل أن يصل إلى (جَملَ وتجمّلَ).. أو أن يبحث عن كلمة في حرف الهمزة فيمر باشتقاقات ظاهر في صياغتها التعسف أو التكلف من مثل: ادجوجن يدجوجن ادجيجاناً، واقلولى يقلولي اقلولْ إقليلاء، واستلفج يستلفج استلفاجاً، واستليث يستليث استلياثاً، واستلاط يستليط استلط استلاطة، واستلوى يستلوي استلوِ استلواءً. كما ورد في «معجم اللغة العربية ـ المحيط». إن كثرة مثل هذه الكلمات أو الصيغ في المعجم قد تحسس القارئ ببعد لغته عن واقع العصر وذوقه، بالإضافة إلى تسببها في تضخيم حجم المعجم. وبهذا يكون النفور من المعجم مضاعفاً.

ومن هنا كان من المهم استغلال القياس فيما يزيد من ثراء اللغة واتساعها وحيويتها ويدل على خصوبتها ومرونتها، دون التجاوز لحدود ما يقبله ذوقها وجرس حروفها وتراكيبها، ودون أن يغرق القارئ في حشد من الكلمات الشبيهة بالألفاظ المهجورة أو الأجنبية الغريبة، لبعدها عن الاستعمال، أو لكونها عامية محلية واستعمالها محدود بحدود جغرافية ضيقة. ينبغي الاقتصار على ما تتطلبه الحاجة وتستدعيه الضرورة وتكون له فاعليته في تنمية اللغة وفي الحفاظ على حيويتها وعلى طابعها وذوقها واستقلالها الخاص. هذا مع الالتزام بما تضعه أو تقره مجامع اللغة من الألفاظ والصيغ والتراكيب وما تضعه من الأسس والمعايير؛ لئلا يكون الأمر فوضى من دون نظام ثابت ومرجع يعتد به ويركن إليه.

3 - من المعاجم الحديثة ما يرد فيها على الكلمة الواحدة أكثر من عبارة شارحة أو من

شاهد نثري أو شعري واحد، تقليداً لما يجري في المعاجم العربية القديمة، وقد وجدنا ذلك حتى في أكثر هذه المعاجم تطوراً كـ«القاموس الجديد ـ الألفبائي». ولاشك أن الإكثار من ذلك يعمل على تضخيم المعجم، حيث تستغرق هذه العبارات أو الشواهد مساحات من حجمه، ولاسيما كون الشواهد شعرية أو نثرية مطولة. وإذن فالأجدر هو الاقتصار على شاهد أو مثال سياقي واحد قصير بتفسير معنى الكلمة، ما لم يكن لهذه الكلمة مدلولات متعددة واستعمالات متباينة يحتاج في توضيحها أو دعمها إلى شواهد وجمل سياقية مختلفة. ويكفي أن يراعى وضوح الشاهد أو العبارة وإفادتها في شرح معنى الكلمة وتبيان استعمالها.

4 - من جملة ما شاع في المعاجم القديمة وأدى إلى توسيعها وتضخيم أحجامها كما رأينا، ذكر الروايات وأسماء الرواة، وقد سعى أصحاب المعاجم الحديثة إلى تجنب هذا التقليد، إلا أن بعضهم وقع في ما يشابهه أو يجسده بنحو آخر، فيذكر اسم المجمع اللغوي الذي أقر الكلمة أو وضعها أو اختارها أو طرح رأياً خاصاً بها. أو يذكر أصلها اللاتيني أو مقابلها باللغة الإنكليزية أو الفرنسية، كما رأينا ذلك في معجم «متن اللغة» على سبيل المثال. أو أنه يشير إلى ما وقع حولها من خلاف، وما ورد في استعمالها أو قياسها من آراء ووجهات نظر، كما وجدنا في معجم «لغة العرب». وما إلى ذلك مما يليق بموسوعات أو كتب مخصصة لدراسة اللغة، أو بمعاجم تاريخية.

من الواضح أن التخفف من ذكر مثل هذه التفاصيل أصلح من ذكرها والإثقال على القارئ وتشتيت ذهنه بها. فلا يهم هذا القارئ أن يعرف واضع الكلمة أو مصدرها أو كيفية وضعها وصياغتها أو أن يحيط بما طرح حولها وحول قياسها من آراء. فهذه ربما يكون محلها المعجم التطوري أو التاريخي، أما في مثل هذه المعاجم فإن العبرة بصحة الكلمة وسلامة مأخذها وما يستعمل من معانيها واشتقاقاتها. أما في ما يخص أصلها أو مقابلها الأجنبي فإن محله المعاجم الثنائية أو المعاجم التأصيلية، وليس معجم اللغة العام.

5 - لقد رأينا في ما سبق أن معجم «لغة العرب» قد توسع كثيراً في نظام الإحالة بهدف تذليل المشقة التي قد يعاني منها الباحث في الوصول إلى الكلمات الدخيلة أو الكلمات التي أصابها الإعلال أو الإبدال أو الحذف. وذلك بذكر الكلمة بصورتها المنطوقة أو المكتوبة، ثم ذكر جذرها بين قوسين وإحالة القارئ إلى الباب الخاص بهذا الجذر، حيث تشرح الكلمة أو توضح. وقد ساعد هذ الإجراء بلاشك على تخطي بعض صعوبات المنهج الهجائي الجذري الذي يسير عليه المعجم، ولكنه أدى بصورة ملحوظة إلى تضخيم حجم المعجم، ولاسيما أن المعجم قد أظهر إلى جانب ذلك

بعض التسامح في ضم الكلمات العامية والدخيلة التي لا أصول لها في العربية أو تختلف في صور نطقها عن الأصول، وهكذا احتلت الإحالات وما أحيط بها من أقواس مساحات كثيرة من المعجم وكانت سبباً في ضخامته وتعدد أجزائه...

لقد اتخذ هذا الإجراء في معاجم أخرى بالإضافة إلى «لغة العرب»، وهو إجراء يتضمن في حقيقته دمج منهجين في معجم واحد، المنهج الهجائي الجذري والمنهج الألفبائي النطقي. ولكنه يعطل جانباً من مهمة المنهج الأو ل، وهو التعويد على البحث عن أصل الكلمة، فلو التزم بهذا المنهج لاضطر القارئ إلى التعود عليه، ولا يصعب ذلك على القارئ ـ كما أظن ـ لا سيما كون المعجم موجهاً لخاصة المثقفين وللكبار وليس للصغار الذين ربما يحتاجون إلى التدرب على مثل هذا المنهج فترة من الزمن ربما تطول. ولتخلص المعجم في النهاية من ذلك الكم الهائل من الإحالات التي عملت على تضخيم حجمه.

6 - لقد سعى عدد من الذين وضعوا معاجمهم الحديثة على وفق المنهج النطقي، ومن أبرزهم جبران مسعود في معجمه «الرائد» ومحمد خليل باشا في معجم «الكافي» إلى التوفيق في معاجمهم بين هذا المنهج والمنهج الهجائي الجذري، كما فعل صاحب معجم «لغة العرب»، وذلك بأن عمدوا إلى ذكر الجذر بين قوسين، عند ذكر كل صيغة لغوية تشتق منه أو تتفرع عنه أو مع مجموعة منها على الأقل. فكلمة (شفي) مثلاً تذكر في باب الشين، ثم ترد مرة ثانية بين قوسين في باب الألف مع كلمة (استشفاء)، ثم ترد مرة ثالثة في باب الميم عند ذكر كلمة (مستشفى)، أو (مشفى). وهكذا..

يساعد مثل هذا الإجراء في التعرف على أصول الكلمات، ولكنه يؤدي إلى تضخيم حجم المعجم بصورة ملحوظة. لأن الأصل يعاد ذكره على وفق هذا الإجراء مرات عديدة قد تصل إلى خمس أو سبع مرات أو تزيد، بحسب ما يتفرع عن الجذر من اشتقاقات رئيسة، ولا شك أن ذلك سيستغرق من المعجم مساحة كبيرة، لو وفرت لخففت من حجم المعجم، ولو خصصت لمزيد من الكلمات الجديدة لكان المعجم أثرى مما هو عليه من حيث المادة والمحصول.

يمكن تخليص المعجم من مثل هذا التضخيم بالاستغناء عن ذكر الأصل أمام كل فرع من فروعه، ووضع الأصول والفروع كلها بمداخل مستقلة على حد سواء، كما هو جار في معاجم اللغات الأجنبية العامة. على أساس «أن الاشتراك في حروف المادة يعتبر صلة رحم بين الكلمات من حيث الشكل ولا يعتبر بالضرورة صلة رحم من حيث المعنى»[153]. إلا أن السبيل الأمثل للتخلص من

ذلك هو بلا شك اعتماد المنهج الهجائي الجذري الذي تجمع فيه فروع الأصل الواحد تحت إطار معنوي وحرفي أسري جامع متماسك في الغالب، لا يتكرر فيه ذكر الأصل، وقد سبق أن تحدثنا عن إيجابيات هذا النظام في كتابنا السابق الذكر «الحصيلة اللغوية»[154]، فلا داعي لتكرار الحديث عنها هنا.

7 - في إطار الاهتمام بإخراج المعجم وجاذبية شكله تصدر بعض المعاجم بأغلفة سميكة فاخرة مبهرجة تكثر فيها الزخارف والرسوم مما يزيد من ضخامة أحجامها وثقل أوزانها. كما هو الحال بالنسبة لمعجم «الهادي إلى لغة العرب» للكرمي. ولقد أشرنا في ما سبق إلى أن لمظهر المعجم وشكله الجميل أهمية ودوراً في اجتذاب القارئ، ولاسيما وجوده في هذا العصر الذي أصبح الاهتمام فيه بالشكل غالباً على الاهتمام بالمحتوى، وأضحت دور النشر ووسائل الدعاية ودور الإعلام تتنافس على إبهار الناس واجتذاب الزبائن بما تخرجه من إصدارات مبهرجة لماعة صقيلة الورق مليئة بما يفتن الأعين ويسحر النفوس من الزخارف والرسوم وأشكال الزينة. إلا أن للمبالغة في الاهتمام بمظهر المعجم وشكله آثارها السلبية الظاهرة كما تبين.

ينبغي أن تكون الغاية الأساسية من المعجم زيادة تنمية المحصول اللغوي، وأن يقتصر في الاهتمام بشكله ومظهره على ما يمكن أن يشارك في تحقيق هذه الغاية، ويجعل المعجم قريباً من عامة مستخدمي اللغة واسع الانتشار بينهم ملائم الحجم خفيف الوزن مناسباً رخيص الثمن سهل التداول والتناول محبباً للنفوس.

إن من بين ما يمكن أن يشارك في تحقيق الصفات المذكورة، التقليل من سمك غلاف المعجم ومن سمك ورقه ومن الزخارف والرتوش الداخلية والخارجية ومن كل ما يمكن أن يستغرق مساحات كبيرة من ورق المعجم ويضاعف من حجمه ووزنه ويزيد من التكلفة في طباعته وإخراجه. إننا كما يقول الدكتور متري عبد المسيح: بحاجة إلى معاجم ننتفع بها لا إلى معاجم نزين بها رفوف المكتبات.

يمكن الاكتفاء بغلاف جميل قوي خفيف الوزن يحافظ على تماسك صفحات المعجم وعلى نظافته وأناقته دون أن يثقل من وزنه، وبورق ناصع معتدل السمك، وبالرسوم الصغيرة التي تشارك في إيضاح الكلمات وتقريب المعاني أو تشارك في إضفاء شيء من المتعة على شكل المعجم ومنظره دون أن تزيد في عدد صفحاته.

إن المعجم لا يوضع، كما أشرنا لينظر وهو في مكانه على الرف، وإنما ليحمله القارئ ويفتش

فيه باحثاً متفحصاً مدة قد تقصر وقد تطول، فما هومقدار تحمله إذا طالت مدة البحث؟ وما هو مقدار صبره على التصفح والتقليب والتنقل بين الأجزاء إذا كان هذا المعجم مكوناً من أجزاء متعددة منفصلة؟. إن القارئ ولاسيما القارئ الناشئ في هذا العصر، عصر الملخصات و«الوجبات السريعة» والطعام المعلب وعصر الكومبيوتر ونقراته الطائرة يتطلع إلى أن يرى مفردات لغته بين دفتي كتاب واحد أنيق الشكل ولكنه خفيف الوزن سهل الحمل ميسر، يغنيه عن ضياع الوقت في تصفح العديد من الصفحات بحثاً عن كلمة ضائعة بين السطور. فإذا كانت هناك خطة لوضع معجم لهذا الصنف من القراء، فلابد أن يؤخذ ذلك بعين الاعتبار. ولكن من دون أن نجعل من محتوى المعجم الذي يتطلعون إليه «طعاماً سريعاً» رخيص المحتوى زهيد الفائدة. فلا نريد أن نسير مع التيار بقدر ما نريد أن نسعى لكبح جماحه.

إن دعوتنا إلى إيجاد معجم لغوي معتدل الحجم صالح لعامة المتعلمين والمثقفين لا يتعارض بطبيعة الحال مع اعتقادنا بضرورة وجود معجم أو معاجم لغوية واسعة شاملة للمتخصصين وكبار المثقفين ربما تقع في مجلدات أو أجزاء متعددة.

قد لا تعد ضخامة الحجم عيباً في المعجم إذا كان هذا المعجم موجهاً للباحث المتخصص الذي يفترض أن يتحلى بالأناة وسعة الصدر والصبر على التفتيش والبحث حتى يصل إلى بغيته ولكن المعجم اللغوي العام أو الوسيط لايوضع للمتخصصين فحسب، فمن حق المتعلمين وعامة المثقفين غير المتخصصين وهم الغالبية الغالبة أن يكون لهم معجمهم الذي يتلاءم مع مستوياتهم ومع طاقاتهم النفسية والعقلية والثقافية. وبناء على ذلك فإذا كانت بعض معاجمنا المتوفرة تتلاءم مع مستويات فئات المتخصصين من حيث موادها وأحجامها ومناهجها، فذلك لا يعني أن نكتفي ونفترض من كل طالب للغة أن يتجاوز حدود إمكانياته ويرتقي إلى مستوى المتخصصين في اللغة، وربما كان بعد في بدايات السلّم، وإذن فلابد أن نسعى لإيجاد معجم أو معاجم لغوية عامة تتلاءم مع مستويات غير المتخصصين، الذين يعدون الأكثرية بين أفراد الأمة .

وإننا حين نصف معجماً ما بالضخامة والثقل نضع في اعتبارنا الفئات التي وجه إليهم المعجم، فإذا كان المعجم يخاطب طلاب العلم كافة أو عامة المسلمين أو العرب المثقفين أو طلاب العربية مثلاً، دون تمييز أو تفريق بين كبارهم وبين ناشئتهم، بين الباحثين المتخصصين منهم وغير المتخصصين، ورأينا أن هذا المعجم ينوء بحمله أو يتبرم من سعته وضخامته الكبار فضلاً عن الصغار، مع أن فيه ما يمكن الاستغناء عنه كمعجم لغوي، أو أن فيه ما يفترض أن يكون في كتاب

خاص غيره. فلا مرد من أن ننعى عليه ضخامته ونعيب عليه ثقله وكبر حجمه. علماً بأن نَعيَنا عليه وإعابتنا له لا تقلل من شأنه كمعجم له مكانته وله دوره المعين في حدود ما هو عليه من قيمة..

ولا نقيس ضخامة حجم المعجم بعدد صفحاته فحسب، ليقال لنا كيف يكون حجم هذا المعجم ضخماً وحجم ذلك غير ضخم، مع أن ورق الثاني أكثر من ورق الأول، فمعيار ضخامته أو ثقله عدد مداخله قياساً إلى غرضه ونوعيته والمجموعة اللغوية التي وجه إليها، ثم في مدى ما في مادته من حشو أو محتويات خارجة عن وظيفته أو خارجة عن متن اللغة، هذا إضافة إلى حجم صفحاته ونوعيتها وكثافتها والغلاف وسماكته، وشكل المعجم الخارجي وكل ما لا ضرورة لوجوده فيه عامة.

مادة المعجم

لا نريد أن نتحدث في هذا المجال عن كل ما يتعلق بمفردات المعجم، وما ينبغي أن تكون عليه من حيث الكم والنوع والمستوى، فذلك يخضع لنوعية المعجم أو صنف القراء الذين يوجه إليهم أو يوضع من أجلهم، كما يعتمد على عمليات إحصائية شاملة لكل ما يستعمله المجتمع اللغوي من ألفاظ وصيغ، ومعرفة ما يتناسب منها مع الفئة أو الفئات التي يخصص لها المعجم، وما يتطلبه أفرادها ويحتاجون إليه من مفردات لغتهم الفصحى. وإنما نتحدث وبنحو عام عمّا يفترض أن يبلغه المعجم اللغوي الذي يوضع لعامة المتعلمين والدارسين والمثقفين من اهتمام بالألفاظ التراثية من جانب ثم بالألفاظ العامية المحلية والأجنبية الدخيلة من جانب آخر.

1 - الألفاظ التراثية

ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار عند وضع المعجم الجديد وظيفة اللغة، ليس في مجالاتها الاجتماعية والأدبية والتقنية العلمية المعاصرة فحسب، وإنما في مجالها التعبيري التراثي أيضاً أي أن لا تكون العناية فيه مقصورة على العناصر اللغوية التي تصل القارئ بالحياة التي يعيشها ويحيا ظروفها وملابساتها وتفاعلاتها ويمارس أنشطتها اللغوية الحية الفاعلة، وإنما يجب أن تشمل هذه العناية وبصورة أساسية مماثلة العناصر التي: تعمل على توثيق صلة هذا القارئ بتراثه الفكري والإبداعي وتعينه على اكتساب ما ينمي أو يعمق من أصالة تفكيره وتعبيره، وتعينه على ربط الماضي بالحاضر والتوفيق بين المستمد والأصيل وتأسيس جذور راسخة وجسور لمستقبله اللغوي على قواعد صلبة وعلى وفق نظام متوازن.

إن السعي لجعل اللغة وافية بمتطلبات العصر مواكبة للتطورات الجديدة لا يعني التركيز على المصطلحات وألفاظ الحضارة الحديثة والصيغ المبتكرة والتراكيب الجديدة في مقابل التقليل من أهمية الألفاظ التراثية القديمة، بحجة قلة تداولها أو ندرة استعمالها فيما يؤلف أو يكتب في الحاضر، أو بحجة اختلاف طبيعة الحياة. إن الألفاظ التي تراجعت أو هجرت فترة من الزمن مهما طالت أو قصرت يمكن أن تبعث من جديد وتبث فيها الحيوية مرة أخرى، عن طريق إدراجها في

المعجم الجديد وسريانها إلى الألسن والأقلام شيئاً فشيئاً من خلال هذا المعجم. من جانب آخر فإن عزل الألفاظ القديمة أو التقليل من شأنها قد يشارك في قطع أو توهين الصلة بالتراث الفكري القديم المدون، لأن فهم معاني هذه الألفاظ يعين على فهم كثير من نصوص هذا التراث وعلى استيعاب كثير من عناصره الإيجابية، ومن ثم الاستفادة من هذه العناصر في مجالات الإبداع الجديدة التي تعين على تأكيد الذات وتثبيت الهوية.

يقول صاحب معجم «لغة العرب» في مقدمته لمعجمه: «الغرابة والحوشية والندرة تقوم على اعتبارات بلاغية لا وصفية علمية؛ فالمهجور قد تنفخ فيه الحياة، والمستخدم قد يهجر... وقارئ النصوص القديمة بحاجة إلى هذه المواد لمعرفة معانيها، ونحن إلى اليوم ـ ما زلنا ننحي باللائمة على جامعي متون اللغة الذين أنفوا من تضمين معاجمهم ألفاظاً من صميم تراثنا، وما برحت الدعوات هنا وهنالك تطالب بإجراء مسح لغوي شامل ودقيق لأعمال السلف كي تنظم الشوارد إلى متون اللغة، فيكفي ما ضاع عند الجمع والتدوين، ولذلك يصح حذف بعض المواد في معجم مدرسي وسيط أو وجيز، ولا يصح في معجم عام جامع؛ وهذا ينطبق على الغريب والحوشي وغير المأنوس والنادر»[155].

إن هذا القول يؤيد ما رمينا إليه من ضرورة الاهتمام بالألفاظ التراثية، ولكنه قول لا يؤخذ به على علاته، لأن قائله لم يفرق في حقيقة الأمر بين المعجم العام الذي يوضع لعامة دارسي اللغة، وتراعى فيه مختلف المستويات، وبين المعجم التاريخي الذي تثبت فيه كل كلمة في اللغة وتعرض حسب وجهات النظر المختلفة. ولذلك حشد في معجمه من الألفاظ والاستعمالات القديمة «كل ما أجمعت عليه أمهات المعاجم: حتى الغريب والحوشي والنادر وغير المأنوس»[156] وملأ هذا المعجم بالكثير من الاستعمالات والصيغ الشاذة والنابية عن ذوق العصر، مما لا جدوى منه إلا تضخيم حجم المعجم.

إن الدعوات التي أشار إليها الدكتور متري عبد المسيح، والتي على حد قوله: «ما برحت هنا وهنالك تطالب بإجراء مسح لغوي شامل ودقيق لأعمال السلف كي تنظم الشوارد إلى متون اللغة». هذه الدعوات تتطلع في واقع الأمر إلى معجم تاريخي شامل كالذي دعا إليه وسعى إلى تحقيقه الأستاذ (فيشر) والشيخ عبد الله العلايلي من بعده وعدد آخر من المهتمين باللغة في عصرنا الحاضر. وليس المعجم العام المشابه لمعجمه «لغة العرب»، ولا المعجم العصري الوسيط الذي نحن بصدد الحديث عنه، والذي أشار صاحب القول السابق نفسه ضمن تقديمه لمعجم

«البستان» إلى ضرورة أن يواكب تطور الحياة ولا يبقى من القديم إلا ما هوجدير بالبقاء[157].

إن الذي وقع فيه الدكتور متري عبد المسيح شبهة وقع فيها عدد ممن بحثوا في شؤون المعجم العربي، فخلطوا في الحديث بين المعجم اللغوي العام الوسيط والمعجم التاريخي الكبير الشامل، وطالبوا الأول بما يفترض أن يكون في الثاني من المواد أو المعاني والشروح. دون تمييز واضح دقيق.

يقول الدكتور تمام حسان على نحو المثال، في سياق حديثه عن صفات المعجم اللغوي وما يتوقع أن يجده الطالب وما لا يجده فيه: «والمؤسف حقاً أن المعاجم العربية قليلة العناية بتسجيل التطور الشكلي للكلمات، على عكس ما تفعل المعاجم الأوربية كمعجم (أوكسفورد) الكبير الذي أعطى الكثير من العناية لما أطلق عليه اسم «وجهة النظر التاريخية» بالنسبة لتطور الكلمات»[158].

إن هذه الصفات التي يتحدث عنها الدكتور تمام حسان، هي صفات للمعجم التاريخي الشامل وليست للمعجم اللغوي العام أو معجم الطلاب، ومن المعروف أنه ليس في المعاجم العربية التي يتحدث عنها معاجم تاريخية يطلب بأن تتصف بما اتصف به معجم أوكسفورد الكبير، أو يقال عنها إنها قليلة العناية بتسجيل التطور الشكلي للكلمات. ليس هناك إلا معجم «فيشر» الذي لم ينجز منه شيء إلا مقدمته، و«المعجم الكبير» الذي لم يصدر منه مجمع اللغة العربية سوى جزأين لم يتسعا حتى لعشر ما في حوزة العربية من مفردات.

ولنعود بعد هذا الاستطراد القصير لنقول: إن المعجم العام الذي يواكب تطور الحياة الحاضرة لا يتنكب الألفاظ التي يحتاج إليها في فهم النصوص التراثية وفي استيعاب النتاجات الفكرية القديمة الأساسية، ولكنه في الوقت نفسه لا يبالغ في حشد الاستعمالات والصيغ والتراكيب الشاذة والكلمات المهملة والحوشية الجافة التي لم تعد تستسيغها الأذن العربية ولا تستوعبها مدنية الحياة الحاضرة. فليس من الضروري، بل ليس من المستساغ أن يضم مثل هذا المعجم كلمات خشنة مثل: الهمخع، والعرندس، والدردبيس، والجلفاط، والهصاهص، البربريس، البربيطاء، الجحنفل، الجحنبار، وما شابهها من الألفاظ والصفات التي لازمت الحياة البدوية الصحراوية القديمة. ولا أن يحتوي على ذلك الكم الهائل من أسماء الذئب والأسد والسيف والبئر والدلووالخمر والإبل وغيرها من الأسماء والصفات التي لم يعد لمدلولاتها أثر ذو شأن في حياة هذا العصر. ولا أن يشتمل على المترادفات التي تنشأ عن اختلاف اللهجات من مثل اطمأن واطبأن، ورعث ورعس،

ومكة وبكة... كما هو حاصل في بعض معاجمنا الحديثة[159].

إن الكلمات المهملة أو المهجورة والاستعمالات الشاذة النادرة، ولا سيما الجافة التي رافقت جفاف الصحراء وخشونة البادية وضيق الحياة وعزلة الإنسان العربي في تلك العصور الغابرة، لا تتناسب مع رقة الحياة الحاضرة ونعومة العيش ورفاه المدنية، وإن ناسبت فهي تحتاج إلى هزة عنيفة تعيد لها الحياة، وتتطلب استعمالات جديدة ومستمرة تنعشها وتبعثها إلى الوجود مرة أخرى، وأنى لها ذلك والألفاظ الجديدة تزاحمها في الزمان والمكان وتنافسها على استمالة الأذواق والآذان، والصيغ المستحدثة المبتكرة والألفاظ المقترضة تتناهب الألسن وتقتحم الأبواب دون استئذان. إن كثرة تواجد هذه الألفاظ في المعجم العام الحديث ـ كما هو الحاصل في «لغة العرب» يحسس المراجع بغربة اللغة على الحياة، وربما بعزلته هو عمّا يحيط به من عوالم وآفاق، ويشعره بأن اللجوء إلى استعمال الألفاظ الأجنبية الدخيلة التي تملأ أفواه العامة والخاصة أسهل عليه من الرجوع إلى «لغة الصحراء» البعيدة الغريبة.

إن ما يهمنا هو أن يحتضن معجمنا الجديد اللغة التي تصل الماضي بالحاضر وتوفق بين الأصيل والمستحدث وتتطلع إلى بناء قاعدة لمستقبل مشرق، اللغة التي تمكن من الفهم والاستيعاب والأخذ كما تمكن من الأداء والعطاء المثمر، لغة الحياة والعلم والأدب والفن الحية الخصبة المرنة المتطورة، اللغة التي تتصاهر وتتجدد دون أن تفقد قاعدتها الرصينة ودون أن تفقد أياً من ملامحها التي تحدد هويتها. وهذا كما هو بيّن، لا يتعارض مع الدعوة إلى الاهتمام بالألفاظ والمصطلحات التي ولدتها أو اقتضتها الحياة الجديدة في مختلف ميادينها. كما أنه لا يتعارض مع التأكيد على متابعة التطورات التي تحدث لمعاني الكلمات أو تطرأ على مدلولاتها على مر العصور والأزمان.

2 - الألفاظ العامية والأجنبية

تظهر على بعض المعاجم العربية الحديثة سمة الإقليمية أو المحلية، كما أشرنا إلى ذلك من قبل، حيث تشتمل هذه المعاجم على عدد كبير من الكلمات والتعبيرات أو الصيغ والتراكيب والاستعمالات اللغوية العامية المحلية أو الإقليمية، هذا بالإضافة إلى التسامح الكبير في ضم الألفاظ والتعبيرات الدخيلة التي لم تأخذ مكانها من اللغة القومية الفصحى بعد أصلاً، أي لم تعترف بها أو تقرها المجامع والمؤسسات اللغوية والجهات العلمية المعنية.

يرد بعض هذه الكلمات أو الصيغ ضمن المواد المفسرة المشروحة في المعجم كما يرد بعضها الآخر ضمن الألفاظ المفسِّرة أو الشارحة. فصاحب معجم «محيط المحيط» على سبيل المثال يصرح كما رأينا بقوله: «وذكرت كثيراً من كلام المولدين وألفاظ العامّة»، كما أظهر عناية خاصة بالألفاظ والمعاني المسيحية أو الاصطلاحات التي لها دلالات خاصة عند المسيحيين في بلاد الشام. وقد تبعه في ذلك كثير من أصحاب المعاجم المسيحيين العرب حتى أصبحت العناية بالألفاظ والمعاني المولدة والدارجة والعامية والمسيحية سمة بارزة في معاجمهم، وإن تفاوتت نسبة هذه العناية بينهم (160).

ولقد رأينا هذه الصفة متمثلة في «المنجد» للويس معلوف اليسوعي، كما رأينا الاهتمام بهذه الألفاظ والصيغ إلى جانب التسامح الكبير في إدخال الألفاظ الأجنبية ظاهراً في «الرائد» لجبران مسعود ومعاجم لبنانية أخرى مماثلة. ثم في «المعجم الوسيط»، حيث أدرجت في هذا المعجم مجموعة كبيرة من الكلمات الدخيلة والمصطلحات أو الألفاظ الإقليمية والعامية، ذكرنا عدداً منها في أثناء الحديث عنه، على الرغم مما أبداه واضعو المعجم من تحفظ. أما في المعاجم الأكثر حداثة فقد كان هذا التسامح ظاهراً أيضاً. حتى في الصغيرة المختصرة منها.

إن عناية المعجم العام المخصص للمفردات اللغوية الفصيحة بكل ما يختلط أو يلتبس بهذه المفردات أو يتداخل معها من ألفاظ وصيغ وتراكيب واصطلاحات عامية أو قطاعية أو إقليمية وألفاظ أجنبية دخيلة تؤدي في العادة إلى نتائج سلبية عديدة أبرزها:

أ - تضخيم حجم المعجم كما بينا، والخروج به عن صميم وظيفته، التي هي في الأساس الحفاظ على أصل اللغة وصلبها وقوامها المعتمد في إطارها القومي الشامل. ذلك فيما إذا أريد لهذا المعجم أن يكون شاملاً لكل مفردات اللغة الفصحى الأساسية الفاعلة.

ب - الإقلال من محتوى المعجم من المفردات الأصلية الفصيحة، والاقتصار على مجموعات ربما تكون غير كافية منها. هذا إذا أريد لهذا المعجم أن يخرج في حجم معتدل. إذ المفترض أن تحل الكلمات العامية والاصطلاحات المحلية أو الاقليمية التي تدرج في المعجم محل مجموعات كبيرة من الألفاظ الفصحى وتتخذ مكانها من مساحة المعجم وسعته المقررة.

ج - إن معظم الكلمات العامية والقطاعية أو الإقليمية المدرجة في المعجم لا تكون في العادة واضحة المعاني مفهومة إلا في حدودها المحلية أو الإقليمية التي تستقى منها. لأنها تفسر في المعجم على وفق مفاهيمها المعروفة في أماكن تداولها، وفي البلد العربي الذي يصدر فيه المعجم، وقد تختلف هذه الكلمات من حيث مدلولاتها واستعمالاتها من قطر لآخر أو

من قطاع اجتماعي لقطاع غيره أو من طائفة دينية لأخرى. أما في حالة تفسير الكلمات الفصحى في المعجم بمثل هذه الألفاظ والاصطلاحات فإن التفسيرات لا تكون واضحة إلا عند من ألف معانيها من أبناء القطر أو الإقليم الذي شاعت فيه. وبذلك فإن فهم الكلمات الفصحى المفسرة بها سيكون محدوداً بحدود محلية أو إقليمية أيضا.

وما يقال عن الألفاظ الإقليمية أو العامية المحلية يمكن أن ينطبق على الكلمات الأجنبية الدخيلة. فهذه تستمد في العادة من اللغة الأجنبية السائدة في البلد أو الأقليم، واللغات الأجنبية السائدة المتداخلة مع اللغة الأصلية في البلدان العربية مختلفة، كما هو معروف، فهي في بلدان المغرب العربي ولبنان وسوريا مثلاً (الفرنسية)، بينما في بلدان الخليج ومصر والعراق فإن اللغة الأجنبية السائدة في الغالب هي (الإنكليزية)، فإذا ما أدخلت كلمات من هذه اللغات فإنها تفهم في غالبها أو في كثير منها على الأقل على نحو إقليمي أو محلي محدود، وتصبح بذلك بمستوى الألفاظ العامية. ويصبح إدخال غير المشترك منها في المعجم العام منافياً لوظيفة المعجم التي تهدف في الأساس إلى خدمة اللغة وصيانتها على المستوى القومي كما سبق القول.

د - إن إدراج الكلمات العامية والاصطلاحات المحلية والطائفية والدخيلة غير الموثقة في المعجم اللغوي العام، سواء كانت كمداخل أو مواد مُفسِّرة أو كانت أدوات شرح وتفسير سيجعل الباب مفتوحاً للرغبات والاجتهادات الفردية المختلفة، وإذا ما بقي المعجم العربي يصدر عن أفراد وجهود شخصية منفردة كما نرى عليه معظم معاجمنا من جانب، وكثرت من أعداد هذه الألفاظ وتشعبت من جانب آخر، فسيكون المعجم قريب الشبه بالمعجم المحلي أو القطاعي الخاص. وسيؤدي ذلك إلى اختلاط هذه الكلمات بالألفاظ الفصحى في ذهن القارئ المتعلم فتدخل في تعبيراته على أنها ألفاظ فصيحة مقبولة معروفة بمعانيها التي تلقاها من المعجم لدى عامة أهل اللغة، بينما هي في واقع الأمر معروفة على المستوى المحلي أو الإقليمي أو أنها غير مقبولة في مجالات التعبير الراقي. هذا إضافة إلى أن سياسة إدخال العامي والأجنبي الذي لا ضرورة لادخاله تعتبر «سياسة خاطئة لا تتلاءم مع مقومات اللغة ولا يقبلها اتجاه قومي سليم»[161].

بناء على ما سبق ذكره ينبغي أن تترك الألفاظ العامية والدارجة للمعاجم الخاصة باللهجات المحلية، حيث تتولى هذه المعاجم تفسيرها بإيراد مقابلاتها الفصيحة، وأن تفسر الكلمات الفصحى

في المعاجم اللغوية العامة بكلمات أو بتعبيرات قريبة مبسطة من اللغة الفصحى نفسها لتكون واضحة لدى عامة أهل اللغة على اختلاف مستوياتهم الثقافية وتباين لهجاتهم وأقاليمهم. كما يفترض أن تترك المصطلحات التي لا تهم إلا فئات معينة من القراء أو قطاعات محددة من المتعلمين أو المجتمع عامة لمعاجمها المتخصصة، ويعنى في المعاجم اللغوية العامة بألفاظ اللغة الفصيحة التي تهم خاصة القراء وعامتهم ويحتاجها أهل اللغة في نشاطاتهم اللغوية الرفيعة والمقبولة على المستوى القومي.

وما سبق لا يعني بطبيعة الحال إقصاء الألفاظ الأجنبية المعربة أو الدخيلة التي تحتاج إليها اللغة وتقرها المؤسسات اللغوية القومية، فالتطور سنة الحياة، وتبادل العناصر اللغوية أو اقتراضها سنة في اللغات أجمع، ولا يعيب اللغة أن تأخذ من لغة أخرى غيرها وتقترض، واللغة العربية أعطت في الماضي وأخذت، ولا مشاحة أن تأخذ في الحاضر فتدل بذلك على رحابتها ومرونتها وقدرتها على الوفاء وعلى التعايش مع اللغات الأخرى، وإذن فلا مندوحة من التسليم بالأمر الواقع وإقرار ما يسري على الألسن وما تألفه الأسماع والأقلام وتستسيغه الأذواق وتدعو إليه الحاجة من الألفاظ والصيغ والتعابير الأجنبية، وأن تدرج هذه كلها في المعجم اللغوي العام. ولكن يفترض أن يكون ذلك على وفق المعايير التي تقرها المؤسسات اللغوية، وعلى وفق الشروط التي تصون للغة كرامتها وتحافظ على هويتها الخاصة وطابعها المميز وكيانها المستقل. لا أن تفتح الأبواب على مصاريعها أمام الأهواء الشخصية والمكاسب المادية، فيصبح الاستسلام في اللغة وكأنه جزء من استسلام المجتمع.

منهج المعجم

اختلفت مناهج المعاجم العربية التي شملتها هذه الدراسة في ترتيب المفردات اللغوية كما رأينا ذلك، حيث توزعت هذه المعاجم بين ثلاثة مناهج رئيسة، وهي منهج القافية الذي ابتكره الجوهري، ثم المنهج الهجائي الجذري، الذي طبقه الزمخشري في معجمه «أساس البلاغة» ثم وضعت على أساسه مجموعة كبيرة من المعاجم العربية الحديثة، وأخيراً المنهج الألفبائي النطقي، الذي اتبع في معاجم عربية حديثة كبيرة وصغيرة كثيرة.

ولقد تحدثنا في كتابنا «الحصيلة اللغوية» عمّا تميزت به كل من المناهج السابقة الذكر، كما تعرضنا في أثناء هذه الدراسة للحديث عن بعض سلبيات وإيجابيات كل منها، وعن تحويل معظم المعاجم القديمة التي وضعت في الأساس على وفق نظام القافية إلى النظام الهجائي الجذري في

طبعاتها الحديثة، وبالتالي فلم يبق في الحقيقة مجال للمقارنة إلا بين اثنين من هذه المناهج. وقد أشرنا فيما سبق إلى ما يرجح المنهج الهجائي الجذري على المنهج الألفبائي النطقي. ولهذا فليس بنا حاجة للتفصيل في طرح ما نقترحه بشأنهما. ونكتفي بالتأكيد على أفضلية المنهج الهجائي الجذري، وعلى ملاءمته لمعجم اللغة العربي ولطبيعة اللغة العربية ووضعها الاشتقاقي.

إن اللغة العربية كما تبين «لغة اشتقاقية يتلقاها المتعلم جذوراً تلد الصيغ، مجردة ومزيدة، وعلى هذا الأساس تتكون سليقته، فهو ليس مضطراً إلى أن يحفظ كل الكلمات ليتمكن من استعمالها كما هو الحال في اللغات اللاتينية، بل يكفيه أن يعرف قياسها وانتماءها إلى جذورها ليمكنه أن يستدعيها عند اللزوم فتقفز إلى لسانه وبيانه»[162]. وإن المنهج الهجائي الجذري يعين على معرفة القياس ويساعد على إدراك الانتماء، كما يساعد على استدعاء ما ينتمي إلى جذور الكلمة الواحدة من صيغ مختلفة أو على التعرف عليها إن لم تكن معروفة؛ لأنه يقضي باجتماع الكلمات التي تعود إلى أصل واحد، ويضعها في تسلسل متآزر منتظم يعين الباحث على احتوائها أو على تذكرها، وقد تمكنه ملكته من زيادتها مستقبلاً، تبعاً لما تمليه عليه ظروف الحياة وحاجاتها، تماماً كما تزايدت وتناسلت هذه الصيغ أو المشتقات على ألسنة الناس عبر العصور والأزمان السالفة. وهذا على عكس ما يمليه المنهج النطقي الذي يباعد بين فروع الكلمة الواحدة ويشتت شملها بين الأبواب والفصول فيتشتت ذهن الباحث بينها[163] ومن ثم يقل اكتسابه منها ويصعب تذكره لها. هذا بالإضافة إلى ما يسببه هذا المنهج من تضخيم للمعجم نتيجة لتكرار ذكر الجذور الأولى للكلمات التي تختلف أوائلها عن أوائل أصولها، أو نتيجة لكثرة الإحالات إلى هذه الجذور والإشارة إلى ما يطرأ على أصول بعض الكلمات من حذف أو تغيير أو إعلال وإبدال ..[164].

من الغريب أن نجد أحد أصحاب المعاجم الحديثة يدافع عن المنهج الألفبائي النطقي الذي تبناه لمعجمه بقوله: «يأخذ بعضهم على هذه الطريقة أنها تباعد مشتقات الكلمة بعضها عن بعض، لكننا نجيب بأن مهمة المعجم هي شرح معاني الألفاظ، أما الاشتقاق فهو مهمة كتاب القواعد، فلماذا الخروج به عن مهمته الأصلية لكي يؤدي مهمة غيره ؟!. ومع ذلك فقد أعرنا هذا الاعتراض ما يستحق من اهتمام، فوضعنا تحت كل فعل أصله الثلاثي، وأشرنا إلى المصدر واسم المفعول واسم المرة واسم النوع. أي أننا ربطنا المشتقات بأصولها، فقطعنا الحجة وأبقينا على سهولة البحث عن الكلمات»[165].

وجه الغرابة في هذا التصريح هو ذلك التصور بأن المعجم سيتحول إلى كتاب لقواعد الصرف إذا استدعى العثور فيه على الكلمة معرفة أصلها أو جذرها. وفرق كبير كما هو واضح بين كتاب مهمته بيان أبنية الكلام والتقعيد لها ولقياساتها وموازينها الصرفية وأنواعها وأشكالها، وبين كتاب يشير إلى الكلمة وما يتفرع عنها من صيغ واشتقاقات بنحو عملي تطبيقي ليعرف بها وبما تستعمل لها من معان، لا ليقعد لطرق تصريفها أو استعمالاتها.

والغرابة تتجدد عندما يعارض صاحب القول السابق نفسه فيقرر اتباع ما يشبه المنهج الهجائي الجذري، فيثبت تحت كل فعل أصله الثلاثي، مع الإشارة إلى مصدره واسم المفعول واسم المرة واسم النوع منه. محاولة منه للتوفيق بين المنهجين النطقي والجذري. فيصبح بهذه المحاولة بين أمور ثلاثة لا يحمد أحدها: بين أن يذكر هذه الصيغ مرة أخرى في المعجم بحسب نطقها تمشياً مع المنهج النطقي الذي تبناه، فيقع في التكرار، ويملأ معجمه بطائفة كبيرة من الصيغ المعادة، وبين أن يستغني عن ذكرها فيخالف منهجه، ويوقع القارئ في حيرة لا يعرف معها كيف وأين يجد الصيغة التي يبحث عنها. وبين أن يذكر الصيغة في كل مرة بمعنى مختلف فيشتت معاني الكلمة. ويقطع الصلات والوشائج التي قد توجد بينها.

يقول الشيخ عبد الله العلايلي حول المنهج النطقي في مقدمة معجمه «المرجع»: «إن من شأن اتباع هذا المنهج الإساءة إلى جوهر العربية وروحها، وذلك لأن العربية كأخواتها الساميات قائمة على الترابط العضوي، فكل جنوح بها في دائرة تصريف الأفعال عن الاندراج تحت الجذر يؤدي إلى التفسيخ وضياع الرؤية الشمولية المترابطة للغة»[166] وقد أيد هذا القول عدد من باحثينا المعاصرين، حتى لقد رأى بعضهم في اتخاذ المنهج المذكور «تقليداً أعمى للمعاجم الأوربية من غير تمييز بين خصائص اللغة العربية واللغات الأوربية، ومن غير أن تكون هناك نظرة لسانية عصرية إلى القضية يكون أساسها ضبط عناصر المعجم»[167].

لا ضرر من تطبيق المنهج النطقي في معاجم المصطلحات العلمية والفنية الخاصة بطبيعة الحال، حيث ترجع طوائف كثيرة من المواد في هذه المعاجم إلى أصول أجنبية لا جذور لها في أصل العربية لتعاد إليها، ولا مانع كذلك من تطبيق هذا المنهج في معاجم الأطفال المبتدئين، حيث لا تتوفر لهؤلاء الأطفال معرفة كافية بكيفية إرجاع الكلمات إلى أصولها، أو الاستيعاب المطلوب لمعنى الاشتقاق ومسألة الأصل والفرع وما إلى ذلك مما يتطلب نوع من النضوج الذهني والمعرفة الأولية بنسق اللغة أو نظامها.

ولا مشاحة كذلك من الدمج أو التوفيق بين المنهجين المذكورين في المعاجم اللغوية الوسيطة في عرض الألفاظ الأجنبية الدخيلة والكلمات التي أصابها حذف أو إعلال أو إبدال فتبدلت صورة نطقها أو كتابتها، وذلك بذكر هذه الألفاظ والكلمات في المعجم على صورتها المنطوقة المألوفة، مع الإشارة أو الإحالة إلى أصلها أو إلى بابها الخاص، حيث تشرح وتوضح، ولكن دون إفراط في هذا الدمج، فلا حاجة لإرجاع الألفاظ الأجنبية إلى جذور، ما دام ليس لها جذور في أصل العربية، فكلمة (بروجوازية) مثلاً، ليست منحدرة من (ب رج) ولا من (ب ور)، لترجع إلى أحد هذين الأصلين، وكلمة (باغة) لا تمت بصلة للجذر (ب وغ)، لترجع إلى هذا الجذر، وإذن فلا داعي لإحالة مثل هذه الكلمات إلى أصول وزيادة تضخيم المعجم وإرباك القارئ بهذه الإحالة. ويكفي ذكرها في المعجم كما تنطق أو تكتب فقط وشرحها حيث تذكر .

أما بالنسبة إلى الكلمات التي تغيرت صور نطقها بفعل الإعلال والحذف أو القلب والإبدال والتعويض فيمكن الاقتصار على ذكرها أو ذكر طوائف منها في المعجم بالصور التي تشتهر وتشيع بها، دون حاجة إلى ذكرها مرة أخرى بصورها الأصلية غير المستعملة، أو الغريبة الشاذة. فالكلمات (ابن، طوبى، نية، هيّن، خطيئة، شفه، سنة، اسم) على سبيل المثال يمكن أن تذكر على صورها المنطوقة هذه وتفسر مكانها دون الحاجة إلى إحالتها إلى أصولها المجهولة، أو المستغربة، والتي قد لا تخطر على بال القارئ على الإطلاق.

ومثل هذه الألفاظ تلك الأدوات والكلمات الجامدة التي تلازم صيغة واحدة لا تتعداها مثل: (هَبْ، طالما، هَلُمَّ، شَدَّمَا، رَجُل)، وتلك الكلمات التي ليست لها أصول معروفة، مثل كلمة (محّارة) وكلمة (منطاد)، أو الكلمات التي يكون جمعها من غير لفظها مثل: (نساء) جمع امرأة، و(الناس) وواحدها إنسان، وهكذا فإن ذكر مثل هذه الكلمات بصورها المنطوقة وشرحها في مكانها من المعجم خير من إحالتها إلى أصول محتملة أو متمحلة أو وضعها تحت جذور بعيدة عنها من حيث التركيب والمعنى العام.

بالإجراءات السابقة الذكر نكون قد وفقنا بين المنهجين: الهجائي الجذرى والألفبائي النطقي، دون أن نخرج على طبيعة اللغة أو نخل في ترابطها الأسري الوثيق. ونكون قد يسرنا الطريق للقارئ وسهلنا عليه مهمة البحث في المعجم، دون أن نحرمه مما يمكن أن تتيحه له ألفة نظام اللغة الصرفي من تنمية ذاتية لمحصوله اللفظي، وذلك من خلال استدعائه لما ينتمي إلى جذر الكلمة الواحدة من فروع وصيغ بنفسه، والتعرف عليها وعلى أصولها دون حاجة للمعجم. إن ذلك

بطبيعة الحال خير من تفريقها بين صفحات المعجم وتشتيت شملها وإرهاق ذاكرة مستخدم اللغة بحفظها أو إجهاد ذهنه بالبحث عنها واحداً واحداً، أو تضخيم المعجم بكثرة الإحالات أو تكرار ذكر الأصول. ومن ثم التنفير من استخدام هذا المعجم أو التقليل من الرغبة في الرجوع إليه لضخامته وثقل وزنه، على نحو ما بينا ذلك من قبل. وإن كانت تبقى هناك مشكلة ترتيب اشتقاقات الكلمة والصيغ المتفرعة عنها في حالة التزام المنهج الهجائي الجذري.

لا يواجه القارئ صعوبة في العثور على أية صيغة لغوية أو اشتقاق من اشتقاقات الكلمة الواحدة في المعجم الموضوع على وفق المنهج النطقي؛ لأن كل مادة تذكر في المعجم مع هذا المنهج بمدخل مستقل وترتب بحسب نطقها، دون تمييز بين الفرع والأصل. بينما تدرج هذه الاشتقاقات كلها تحت الأصل في حالة اتباع المنهج الهجائي الجذري. وهنا ربما تكمن الصعوبة لدى الكثيرين في العثور على الصيغة المتفرعة عن الكلمة أو يحصل البطء في الوصول إليها أحياناً، ولاسيما المعاجم القديمة. إلا أن هذه الصعوبة يمكن التغلب عليها أو التقليل منها ومن آثارها.

من السمات الملحوظة في كثير من المعجمات العربية ـ وخاصة القديمة منها ـ عدم تنسيق الصيغ والاشتقاقات المتفرعة عن الكلمة، وعدم ترتيبها حسب تكوينها الصرفي. فبالإضافة إلى أننا نرى أحياناً الفعل الخماسي مثلاً قبل الثلاثي والسداسي قبل الرباعي، نرى أن الصيغ المتفرعة عن هذه الأفعال مبعثرة أحياناً، لا يسهل على المراجع العثور على ما يبحث عنه منها، ولاسيما الناشئون وقليلو الخبرة باستخدام هذه المعاجم. وحسبنا أن نستشهد على ذلك بما قاله أحمد فارس الشدياق في مقدمته لكتابه (الجاسوس على القاموس). يقول الشدياق:

«إذا أردت أن تبحث في القاموس مثلا عن (أعرض عنه) لزمك أن تقرأ كل ما ورد في مادة (عرض) من أولها إلى آخرها، فيمر بك أولا: عرُض واعترضَ وعارضَ واستعرضَ، أو العكس، ثم أسماء فقهاء ومحدثين وحيوانات وجبال وأنهار وحصون، قبل أن تصل إلى (أعرَضَ)، وربما لم يكن ذكره مستوفىً في موضع واحد، فترى في موضع (أعرَضَه)، وفي موضع آخر (أعرَضَ عنه)، وهلم جرّا. فإذا رأى المطالع أن المادة تملأ صفحتين أو ثلاثا، عاد نشاطه ملالا، وجدُّه كلالا. وربما تصفح المادة كلها وأخطأه الغرض»[168].

وإذا كان المراجع المتمرس يفقد نشاطه ويصاب بالملل ويخطئ غرضه في مثل هذه الحالة فكيف نتوقع من ناشئ قليل الخبرة ضعيف الصبر أن يواصل البحث عن معنى كلمة أو صيغة لغوية، أو يستمر في مراجعة مثل هذه المعاجم. إن الناشئ المراجع في مثل هذا الوضع أمام

محذورين: إما أن يفقد نشاطه كما يقول الشدياق، وينصرف عن البحث عن معنى الكلمة أو الصيغة التي غمض عليه معناها فتبقى الكلمة في ذهنه مجردة من مدلولها، أو أن يجتهد في اختيار معنى للكلمة من المعاني المشتتة لها ولمشتقاتها أو لأخواتها في الأصل، وربما أخطأ في اجتهاده فاختار لها ما لا يناسبها من معنى، ومن ثم استخدمها في هذا المعنى فأساء التعبير أو أخطأ فيه.

بناء على ما سبق ذكره في حالة إعادة طبع وإخراج المعاجم المذكورة أو وضع معاجم جديدة على وفق المنهج الهجائي الجذري يُقترح ما يأتي:

1 - تخصيص مدخل مستقل جانبي مميز لكل فرع أو لكل مادة متفرعة عن الكلمة الأصل.

2 - ترقيم فروع الكلمة الواحدة، ويتبع هذا الترقيم بطبيعة الحال التنبيه إلى هذا الترقيم في مقدمة المعجم بتعبير مبسط واضح والالتزام بنظامه بنحو تام ومطرد.

3 - التدرج الدقيق المطّرد في ذكر هذه الفروع بحسب عدد الحروف المزيدة فيها ومكان هذه الحروف من الأصل.

4 - ترتيب هذه الفروع بأي نحو آخر، شريطة أن يسهل معه على مستخدم المعجم تحديد مكان الصيغة اللغوية المطلوب معرفتها أو معرفة معناها، دون حاجة إلى أن يستعرض الاشتقاقات المذكورة للمادة بأكملها.

ويرتبط بما سبق ذكره ضرورة تحديد المبنى الصرفي للكلمة أو الصيغة، فيما إذا كانت اسماً أو فعلاً أو صفة أو غير ذلك، «فتقديم هذا التحديد الصرفي للكلمة يعتبر الخطوة الضرورية في طريق الشرح لأنه لا يمكن لإنسان أن يربط ما بين كلمة ما وبين معناها المعجمي إلا إذا عرف مبناها الصرفي فحدد معناها الوظيفي أو لا»[169].

طريقة التفسير والشرح:

من جملة ما يجب أن يوخذ بعين الاعتبار في صناعة المعاجم، وخاصة معاجم الطلاب سهولة ودقة تعريف الكلمات وبساطة شرحها واستيفاء هذا الشرح، لكي يستطيع الناشئ أو القارئ عامة إدراك مدلولاتها من غير عناء أو وقوع في اللبس أو الاضطراب. إلا أن كثيراً من المعاجم العربية كما كشفت الدراسة في الفصول السابقة لا تفي بحق هذا الشرط على النحو المطلوب.

تعرّف الكلمات في بعض هذه المعاجم أحياناً تعريفاً مبتوراً غير كامل، أو تفسر بكلمات أخرى

أكثر إبهاماً أو غموضا، مما يجعل التفسير نفسه بحاجة إلى الشرح، أو أن تفسر الكلمة فيها تفسيراً دورياً، أي أن تفسر الكلمة بأخرى ثم تفسر الثانية بالأولى أو تفسر الكلمة نفسها بإحدى اشتقاقاتها التي تماثلها في الغرابة، فلا توضحها ولا تشرح معناها لأنها نفسها محتاجة إلى الشرح والتوضيح [170]. ورغم إيرادنا الأمثلة الكثيرة على هذه الأغاط من الشرح في أثناء الحديث عن كثير مما شملته هذه الدراسة من معاجم، نسوق المثال التالي زيادة في الإيضاح والتأكيد.

جاء في توضيح «لسان العرب» لمعنى كلمة (سَيكران) على سبيل المثال ما نصه:

«والسَّيْكَران: نبت، قال:

وشَفشَف حرُ الشمس كلَ بقية   من النبت إلا سَيْكراناً وحُلَّبا

قال أبوحنيفة: السَيكرانُ مما تدوم خضرته القيظ كله. قال وسألت شيخا من الأعراب عن السيكران فقال: هوالسُخْرُ، ونحن نأكله رَطْبا أيَّ أكل، قال: وله حبٌّ أخضر كحبَّ الرّازيانج» [171].

ففي مثل هذا التفسير يواجه الناشئ أو المراجع عامة كلمات مماثلة في غموضها وغرابة معناها للكلمة المطلوب توضيحها، وربما كانت أكثر غموضاً وأشد غرابة؛ فالكلمات: شَفشَف، حُلَّب، السُخْر الرّازيانج، كلها كلمات غير مألوفة، وهي ذاتها تحتاج إلى تفسير. وحتى قوله: «السَيكرانُ نبتٌ» أو هو «مما تدوم خضرته القيظ كله» يعتبر تعريفاً قاصراً وغامضا؛ لأنه لا يحدد معنى كلمة السَيكران، فهناك أنواع كثيرة من النبات تدوم خضرتها في القيظ وليس السَيكران وحده.

ولا يقتصر وجود مثل هذه التفسيرات الغامضة على المعجمات العربية القديمة، وإنما نجدها كما سبق إثبات ذلك حتى في المعاجم الحديثة.

جاء في معجم «محيط المحيط» لبطرس البستاني وكذلك في معجم «فاكهة البستان» لعبد الله البستاني، في تفسير (سمّ السمك): أنها «شجرة الماهيز هرة وتعرف بالبوصير»، وكلمة (الماهيز هرة) نفسها غريبة غير معروفة. وجاء في تفسير «فاكهة البستان» لكلمة (السَكَر) ما نصه: «السَكَر محركة: نبيذ يتخذ من التمر والكثوث»، وكلمة (الكثوث) غامضة غير مفهومة، فضلاً عن أن هذه الكلمة نقلت عن معجم «لسان العرب» نقلاً محرفاً، فأصلها (الكشوش) بالشين وليس بالثاء [172].

وجاء في «المعجم الوسيط» في تفسير كلمة (خلأ) ما نصه: «(خلأتِ) الناقة ـ خلئاً، وخِلاءً، خلوءاً: حرَنت. وفي الحديث: «أن ناقة النبي صلى الله عليه وسلم خلأت به يوم الحديبية، فقالوا:

خلآت القصواء، فقال صلى الله عليه وسلم: ما خلآت، وما هولها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل» فهي خالئ، وخَلوء. و الإنسان خلوءاً: لم يبرح مكانه. فهوخالئ»..

وهنا فسرت كلمة (خلآت) بـ كلمة (حرنت)، وهي كلمة لا يرجح أن تكون مفهومة لدى الناشئ أو المثقف العام، وقد لا يلتفت أو لا يربط بينها وبين معناها الوارد في آخر الشرح. إضافة إلى ذلك فقد وردت في الحديث الذي يفترض أن يكون قد سيق لتقريب معنى كلمة (خلآ) كلمة يرجح أن تكون غامضة لدى الناشئ وتحتاج هي الأخرى إلى تفسير، وهي كلمة (القصواء)[173].

وحتى المعاجم الصغيرة التي أعدت أساساً لتناسب مستويات طلبة المدارس أو الناشئة عامة لم تسلم كما رأينا من قبل من مثل هذه التفسيرات. فقد جاء في تفسير «المعجم الوجيز» لكلمة (الحَوشَب) مثلاً ما نصه: «(الحَوشَبُ): عظم في باطن الحافر، بين العصب والوظيف». وفسرت كلمة (الشَمروخ) بـ«العُرجُون عليه بسر». وفسرت عبارة (عرائس النيل) بما نصه: «عرائس النيل: البشنين، نوع من النيلوفر»[174].

فإذا افترضنا أن الناشئ يعرف معنى (الحافر) في تفسير الكلمة الأولى فليس من المرجح أن يعرف معنى كلمة (الوظيف). فلماذا لم تذكر كلمة (الساق) أو (مستدق الساق) بدلاً من (الوظيف). وإذا افترضناه يعرف معنى (بسر) في تفسير الكلمة الثانية، فهل يعرف ما هو(العرجون)، أم أنه يحتاج إلى الرجوع إلى مادة (عرج) ليتعرف من جديد على معنى هذه الكلمة ويجد أن معناه (العذق) ؟! وإذا افترضنا أن الناشئ المصري يعرف معنى (البشنين) و(النيلوفر)، فهل يعرف ذلك بقية الناشئة العرب؟!

ولم يسلم من مثل التفسيرات المذكورة حتى أحدث المعاجم العربية، فقد جاء في «قاموس الهادي» للدكتور فايز محمد، وهو أحد معاجم الطلاب الصغيرة التي صدرت عام 1998م. جاء تفسير الكلمات التالية على النحوالآتي:

(جعْدَ [تجعيداً] الشعر: صيره جعداً.)،و(الرهبنة: اتخاذ طريقة الرهبان.)، و(الأبح: الذي يشكومن بحّة في صوته.) و(برغي: ج براغي: اللّولب.) و(اللوم: مص. لام، التوبيخ، التأنيب، العذل.) و(القرميد: ج. قراميد، الآجُرّ.) و(الكمر: زنّار توضع فيه الدراهم.) و(عفّره في التراب: مرّغه فيه.) و(الخرز: ما ينظم في السلك من الودع.) و(الجمرك ج. جمارك: دائرة المكوس.) ...

فإذا كان القارئ لا يعرف (جعْدَ) فهولا يعرف (جعداً). وإذا كان لا يعرف (الرهبنة فهولا يعرف (الرهبان). وإذا كان يجهل معنى (الأبح) فلا يرجح أن يكون مدركاً لمعنى (بحّة) وأنى تكون كلمة

(اللّولب) واضحة لمن لا يعرف معنى كلمة (برغي: ج براغي) أو أن تكون الكلمات: (التوبيخ، التأنيب، العذل) مفهومة لدى من يجهل معنى (اللوم: مص. لام). وأن يكون معنى (الأَجُرّ) معلوماً لدى من لا يعرف (القرميد: ج. قراميد). أو أن يكون معنى (زنّار واضحاً أيضاً لمن لا يعرف (الكمر).. وهكذا الكلمات (عفّره) و(مرّغه)، و(الخرز) مع (الودع). و(الجمرك) مع (المكوس). كلها كلمات متشابهة أو متساوية في مستوى غموضها أو وضوحها بالنسبة للقارئ على الأغلب.

ومن جملة التفسيرات الدورية بالإضافة إلى ما سبق ذكره على سبيل المثال ماورد في «المعجم الوسيط» في تفسير كلمة (نافر)، حيث عرفت هذه الكلمة على النحو الآتي: «(النافر): يقال دابة نافر: ذات نفار، و الغالب في المنافرة (ج) نَفْرٌ. قال أبوذؤيب: إذا نهضت فيه تَصَعَّدَ نَفْرها»[175].

لقد عرف (النافر) بـ (ذات نفار) وهذا ليس إلا من قبيل تفسير الماء بالماء، وعرفها بـ(الغالب في المنافرة)، وهذا أقرب إلى التعريف الأول ، وعبارة «تصعد نَفْرُها» التي أوردها كشاهد أصعب من الكلمة المفَسَّرة نفسها في معناها، وخاصة على الناشئ فهي الأخرى تحتاج بالنسبة له إلى شرح...

إن الشرح كما يقول (صموئيل جونسن) في مقدمة معجمه: «يتطلب استعمال مفردات أقل إبهاما من الكلمة المراد شرحها، وهذا النوع من المفردات لا يمكن العثور عليه بسهولة دائما..»[176]. ولذلك يفترض التأني في اختيارها والنظر إلى مستوى شيوع التركيب اللغوي المفسِر وقابليته في توصيل المعنى المراد إيضاحه. إضافة إلى ذلك فإن تحديد معنى الكلمة وتسهيل عملية إدراكها وتمييز مدلولها المراد يتطلب تقليل المفردات المستخدمة في الشرح والتعريف إلى أدنى حد ممكن، أو الاكتفاء بالمألوف منها وترك النادر أو المهجور أو الغريب[177]. ولكن هذا لا يعني تجنب التعريف أو التفسير بالمترادفات كما يرى البعض.

إن اللغة العربية غنية كما هو معروف بالمترادفات، وهذا الغنى لا يستدعي بطبيعة الحال المبالغة في اتخاذها في التفسير، وتعريف الكلمة بكل ما يبدو أو يعد مرادفاً لها في المعنى دون قيد أو شرط، ووضع (رتل) من المترادفات والمتقاربات في المعنى أمام الكلمة المفسرَة، تترك القارئ في ما يشبه المتاهة أو الحيرة، لا يعرف أيها أصلح لاستعماله أو تظهر له وكأنها كلها بمستوى واحد من حيث المدلول والاستعمال مع الكلمة المفسَرَة. ولكن هذا لا يستدعي أيضاً طرح المترادفات وإهمالها كلها، بدعوى عدم وجود للترادف بمعنى التطابق أو أن «الترادف التام مشكوك في أمره لما أصبح معروفاً في دراسة أصول التعارف على وضع الرموز للمعاني من ضرورة استقلال المعنى

الواحد بالرمز الواحد»[178] وأن هنالك فروقاً دقيقة بين معاني الكلمات المترادفة لا يصح معها أن تحل الواحدة منها محل الأخرى في سياق واحد، ولذلك يجب تجنب الشرح بالمرادف قدر الطاقة. وهذه التصورات لا تخلو من المبالغة.

الترادف في اللغة العربية على نوعين، كما حققنا في ذلك في دراسة مستقلة ستظهر قريباً بإذن الله ــ نوع يعني التشابه والتقارب في المعنى، أو ما يسمى بالتوارد أحياناً، دون الاتفاق التام في المعنى، ونوع آخر يعني التطابق التام في المعنى أو المدلول، ولا شك أن التفسير بالمرادف المطابق الشائع للكلمة المفسرة ليس فيه مشاحة ولا في قبوله شك إذا كان يمكن التبادل بين الكلمتين في سياق واحد وليس هناك ما يغير المفهوم منهما. أما التفسير بالمرادف المقارب أو المشابه الشايع للكلمة في معناها فلا مانع منه أيضاً، بل إنه على حد تعبير أحد المعجميين العرب المعاصرين يعد «أسلوباً معجمياً جيداً ومعقولاً ومتعارفاً عالمياً»[179]، هذا بالطبع إذا لم يكن المرادف أصعب من المدخل، وكان يعمل بالفعل على تقريب المعنى من ذهن القارئ.

إن مرادف كلمة (الحِجا) المعروف على سبيل المثال هو(العقل)، وليس هناك من مانع أن توضع أو تضاف كلمتا (الفطنة والذكاء) لأنهما تقربان معنى الكلمة في عبارة مثل «لهذا القول المحكم مغزى لا يدركه ويعمل على تحقيقه إلا ذووالحجا من أصحابك». وهكذا كلمة (ناهد) و(كاعب) مع عبارة (مستديرة الثديين). وإذا كان لا يصلح أن نعرف كلمة (الحسام) أو (الصارم) بكلمات مثل: المشرفي والهندواني والفرند، لوجود فوارق دقيقة بين هذه الكلمات من ناحية. ولعدم ذيوع هذه الكلمات في العصر الحديث من ناحية أخرى. فلا مانع أن نعرفها بكلمة (السيف) أو حتى (المهند) لارتباطهما في أذهان غالبية الناس بمعنى السيف.

ولا شك أن معنى الكلمة سيصبح أكثر دقة ووضوحاً عندما تكون هناك إشارة إلى الفارق الدلالي الدقيق بين الكلمتين أو الكلمات المتقاربة المعنى عن طريق تعبير سياقي مختصر أو تركيب موجز يذكر مع التعريف، فبذلك يكون القارئ قد فهم معنى الكلمة المفسَرة، واطلع على كلمة أخرى لها معنى مشابه أو قريب منها إن لم يكن قد عرفها وأدرك الفارق الدلالي فيها إن لم يكن مدركاً له من قبل.

نقل متري عبد المسيح في مقدمة معجمه «لغة العرب» عن بطرس البستاني في مقدمته لمعجم «البستان» من أنه نصح جامعي المعاجم بحذف المهمل من المعاجم العصرية، خصوصاً تلك التي يتداولها الأحداث، والمرادف لأنه بثور في محيا العربية الوسيم...»، كما يقول[180]. ولا أعتقد

أن البستاني قصد حذف المرادف على إطلاقه، ودعا إلى عدم اتخاذ مرادفات الكلمة كمفسرات لها أو مقربات لمعناها إذا كانت هذه الكلمات أكثر منها شهرة وشيوعاً أو قرباً من فهم القارئ ومدعاة إلى المزيد من اكتسابه لمفردات اللغة. وإنما قصد الدعوة إلى عدم الإفراط أو المبالغة في عدها أو سردها وخلط المترادفات مع أشباه المترادفات، وإلى طرح المهجور والثقيل على اللسان منها. وكيف يكون الأمر خلاف ذلك وقد صرح البستاني بنفسه بأن «في الأسماء المترادفة تفاوتاً في الصراحة والغموض فإذا كانت الكلمة الأولى غير جلية حسن أن تردف بكلمة أخرى ترفع حجاب الإبهام فتكون بمثابة شرح لها»[181].

ويلحق بما سبق ذكره من ضرورة تحري الدقة في تفسير الكلمات وشرح معانيها المختلفة في المعجم الحديث. مع الإشارة إلى معانيها الاصطلاحية، وإلى فروع المعرفة أو الفن الذي تستعمل فيها، على أن لا يتجاوز ذلك حدود الدلالة المركزية للاصطلاح والقدر المشترك من مفهومه، ولا يبالغ في استقصاء المعاني الاصطلاحية المتداولة بين فئات المتخصصين فقط أو المستعملة في حدود ضيقة، فتلك عادة ما يكون محلها معاجم المصطلحات الخاصة وليس المعجم اللغوي العام.

وينبغي ترتيب معاني الكلمة، وعرضها بنحو متدرج لا يحتاج القارئ معه إلى كثرة التفتيش والبحث وبذل ما يمكن أن ينفره ويبعده عن المعجم من الجهد والوقت.

لقد دأبت المعاجم القديمة وبعض المعاجم التقليدية الحديثة على تقديم المعنى العام على الخاص والحسي على العقلي والحقيقي على المجازي واللازم على المتعدي... وربما كان في الإجراء بعض الصواب. إلا أن من الصعب تبنيه بنحو ثابت صارم مستمر، ذلك لأن دلالات الألفاظ تتغير مع مرور الزمن كما هو معروف، فمن الألفاظ ما تتخصص دلالاتها بعد عموم، ومنها ما تتسع وتعم بعد تخصص، وبعض المجاز يتحول إلى حقيقة وبعض الحقيقة يصبح مجازاً، وقد يكون المعنى المجازي هو العام، ويكون اللفظ المتعدي هو المجازي.. وهكذا يكون التعارض والتناقض فلا يتم تطبيق الإجراء السابق الذكر على النحو المطلوب[182].

وسلكت بعض المعاجم الحديثة نهجاً جديداً في ترتيب معاني الكلمات. فعملت على فرز المعاني المعروضة للكلمة الواحدة وترقيمها، وهو عمل جيد، يبعد القارئ عن التشويش والخلط بين هذه المعاني، ويساعده على الإسراع في تحديد المعنى الذي يتطلبه سياق الكلام الموجود لدى مستخدم المعجم. إلا أن ذلك من شأنه أن يزيد من حجم المعجم، لما تستوعبه الأرقام والمسافات

بينها من مساحة. ولاسيما تعدّد معاني الكلمة الواحدة وكثرتها.

إن النهج الأمثل في ترتيب معاني الكلمة في الحقيقة هو الأخذ بمستوى شيوع المعنى وكثرة ذيوعه. والتدرج في عرض معاني الكلمة الواحدة بالابتداء بأكثرها تداولاً وأقربها من الاستعمال الغالب فما دون ذلك. فالتذوق والاستعمال والقرب من الأذهان هو المعيار في التقديم والتأخير. ويقصد بالشيوع هنا كثرة تداول المعنى أو استعماله في الوقت الحاضر من قبل الكتاب والأدباء وفئات عامة المثقفين أو طوائف كثيرة مميزة منهم، وشيوعه على المستوى القومي العام، وليس على المستوى الإقليمي أو المحلي المحدود؛ فالشيوع على المستوى الإقليمي أو المحلي يفترض أن يأتي بالدرجة الثانية. ومن هنا تنشأ ضرورة الاعتماد على قوائم شيوع الألفاظ واستعمالاتها المختلفة. والتي يفترض أن يتم إعدادها على وفق إحصائيات دقيقة يقوم بها لغويون مختصون على مستوى العالم العربي. لا أن يعتمد في تقرير هذا الشيوع على تكرار ورود الكلمة أو معناها في المعاجم القديمة أو انتشارها في حدود إقليم عربي معين أو منطقة جغرافية محدودة. ومن هنا تنشأ كذلك أهمية متابعة مادة المعجم والنظر إلى معاني الألفاظ على ضوء ما يحصل من تطورات وتغيرات في استعمالها.

الاستشهاد

1 - الشواهد التوضيحية السياقية

كثير من الكلمات لا تتضح معانيها بمجرد ذكر مايرادفها أو يفسر معناها من العبارات أو الألفاظ الأخرى. كما أن هناك كلمات عديدة متضادة أو مشتركة المعاني، وألفاظاً أخر متشابهات في معانيها ظاهراً ومختلفات حقيقة، إذ إن لكل منها معنى دقيقاً تنفرد به، أو إن كلاً منها يدل على حالة من حالات المعنى أو صفة من صفاته أو على جزء متميز منه لا يتضح بالوصف العام ولا بالتفسير المختصر، أو إن كل كلمة تشابه أو تطابق أختها في المعنى ولكنها تختلف عنها في الاستخدام، كأن يكون فعل إحداهما متعدياً وفعل الأخرى لازما، وهكذا[183]. يتعذر علينا فهم معاني كثير من الكلمات فهماً صحيحاً أو كاملاً إذا ما اكتفينا بالحدود المعجمية لهذه المعاني، واقتصرنا على تفسير الكلمات كوحدات منفردة، من دون ألفاظ أخرى تجاورها وعبارات تخلق لها سياقات خاصة تؤكد أو تميز أو تحدد أو توضح دلالاتها بنحو صريح وتبين قيمتها الدلالية والوظيفية وطريقة استعمالها.

يقول صموئيل جونسون: «لا يكفي العثور على الكلمة، بل يجب أن تكون متصلة بغيرها، لكي يتبين معناها من فحوى الجملة ومغزاها..»[184]. وهذا الاتصال والتجاور لابد أن يكون ضمن سياق تعبيري خاص، وهوما يسمى في الاصطلاح بالشاهد التوضيحي.

إن الشاهد التوضيحي، سواء أكان نثراً أم شعراً، يعمل على تحديد أو تعيين معنى الكلمة وعلى وصف توزيعها الدلالي، بما يحتويه من قرائن لفظية أو معنوية مختلفة. وبهذا يكشف عن الطريقة أو الطرق المختلفة التي يمكن بها أن تستعمل الكلمة في نطاق التركيب أو التعبير بعد أن يعرف معناها المفرد. ومن هنا جاءت ضرورة توظيف الشواهد التوضيحية في المعجمات اللغوية عامة، ومعاجم الناشئة أو المعاجم المرحلية أو التعليمية على نحو أخص.

لا يقصد بالشواهد التوضيحية هنا تلك التي دأب المعجميون الأوائل على ذكرها لإثبات وجود الكلمة أو وجود أحد معانيها أو سبب استعمالها في لغة العرب، ولا تلك الشواهد التي تذكر لاستخلاص تعريف معين للكلمة، أو استنباط قاعدة نحوية أو صرفية أو بلاغية ما، وإنما نقصد بها كما ألمحنا إلى ذلك في دراسة سابقة[185] تلك الشواهد أو الأمثلة أو العلاقات السياقية التي تذكر لتوضح معاني الكلمات وتبين استعمالاتها المتطورة التي تتمشى مع لغة العصر، وتميز بين مدلولاتها الدقيقة، وتفرق بين ما قد يبدو أو يحتمل أن يكون متشابهاً أو ملتبساً في ذهن الدارس منها..

ولا فرق في أن يكون الشاهد التوضيحي جملة أو عبارة نثرية قصيرة أو بيتاً من الشعر، مقتبساً أو موضوعاً من قبل مؤلف المعجم نفسه، منقولاً بنصه أو بروحه، مقتبساً من نصوص مكتوبة أو نصوص منطوقة، مأخوذاً من نصوص قديمة أو من نصوص لكتاب أو أدباء معاصرين. المهم أن يكون هذا الشاهد متصفاً بما يأتي:

أ - أن يكون وافيا بالمعنى، مشيراً إلى تغيره واختلافه، إن كان قد تغير واختلف.

ب - أن يكون مع كفايته قصير العبارة؛ لئلا يصرف القارئ عن الهدف الأساسي.

ج - أن يكون سهلاً سليم الصياغة، سلس المعنى، بحيث لا يشكل صعوبة لغوية جديدة.

د - أن يكون صافي اللغة، نقيَّ الألفاظ فصيحها، ليزيد من ارتباط القارئ باللغة الفصحى المهذبة

هـ - أن يكون رشيق العبارة، بعيداً عن التكلف، ليجذب القارئ ويشده فيأنس الألفاظ ويتلقنها بيسر.

و - أن يكون ثريَّ المعنى، خصب الفكرة؛ ليضيف إلى الفائدة اللغوية فائدة علمية أو ثقافية تعمل على إثراء عقل القارئ.

ز- ألا يكون بعيداً في مضمونه عن محيط الدارس أو القارئ وعن أجواء حياته العملية، ولا عن مستواه العقلي والمعرفي؛ ليتمكن هذا الدارس أو هذا القارئ من استيعاب هذا المضمون ومن التفاعل معه ويدرك ارتباطه به وبواقعه الفعلي.

ح - أن يمثل المعنى أو يجسده تجسيداً أميناً سواء أكان هذا المعنى فنياً أم أدبياً أم عرفياً عاماً. وفي هذا الصدد يرى أحد الباحثين أنه «إذا ذكر المعجم للكلمة معنى سوقياً كان الأفضل أن يكون الاستشهاد عليه من كلام السوقة»[186] وهذا القول يتضمن ـ مثل ما هو واضح ـ بعض التجاوز لوظيفة المعجم اللغوي الذي نحن بصدده، وهو معجم ألفاظ اللغة الفصحى.

إنا لا نرى أن يكون المعجم اللغوي المخصص لمفردات اللغة الفصحى محلاً للمعنى السوقي ولا لكلام السوقة. فذلك ينبغي أن يكون محله كما سبقت الإشارة معجم الألفاظ العامية، الذي يمكن أن يتفرع بدوره إلى معاجم عامية محلية. المعجم اللغوي يتعامل أولاً وقبل كل شيء مع الألفاظ المكتوبة ــ وإن كان ربما يعنى بطائفة من الألفاظ التي لها أثرها وحيويتها ووظائفها في بعض الأنشطة اللغوية المنطوقة ــ إن كلمات السوقة المنطوقة لا حدود لمعانيها، إذ تخلق لها الحركات الجسمية والأصوات والهيئات الشخصية والأحوال الاجتماعية والظروف الزمانية والمكانية والعوامل البيئية والمحلية المختلفة ملابسات ودلالات جانبية لا حصر لها، ومن الصعب على المعجم أن يستقصيها وقد أقر الباحث المذكور نفسه ضمناً بذلك في مكان آخر[187]. إن الهدف الأساسي للشاهد التوضيحي الذي يجدر بمؤلف المعجم أن يضعه نصب عينيه هو كما أشرنا إلى ذلك من قبل ــ توضيح وتحديد أو تمييز أو تقريب معنى الكلمة وبيان مدلولها الوظيفي وقيمتها الدلالية، وشرح الطريقة المثلى أو المقبولة لاستعمالها في الحياة الفعلية أو في المحيط الذي يعيش فيه الدارس أو القارئ عامة. وحبذا لو جمع هذا الشاهد بين المنفعة اللغوية والمتعة النفسية والتوجيه السلوكي أو الخلقي السليم والتهذيب الذوقي في آن واحد. ولكن يجب أن يكون في أي من ذلك ما يؤثر على إيصال المعنى اللغوي وتجسيده.

من المعاجم العربية الحديثة ــ دعك عن المعاجم القديمة ــ ما ضمن المئات من الشواهد الشعرية والنماذج التوضيحية النثرية الراقية، بحجة استغلال المعجم في تهذيب أذواق الناشئة وتربية أحاسيسهم الفنية وتقريبهم مما يعمل على توثيق ارتباطهم بتراثهم وزيادة اعتزازهم به، على نحو ما وجدناه في «لغة العرب» و«القاموس الجديد» مثلاً. إن الهدف هنا شريف نبيل ودال بالفعل على الإخلاص للغة والتراث، ولكن هناك محاذير لا بد من أخذها بعين الاعتبار:

(أولاً): يفترض ألا يكون السعي لتحقيق الأهداف المذكورة على حساب المس بالغرض الأساسي للمعجم اللغوي الذي هو تفسير المفردات اللغوية وتوضيح معانيها؛ لأن دور المعجم في تحقيق هذه الأهداف جانبي أو عرضي، وهناك كتب أخرى تهتم بها وتولي عنايتها بها: وهي كتب الشعر والأدب. فلا حاجة إذاً لأن يتكفل بها المعجم ويتحمل أعباءها.

(ثانياً): لا يمكن أن تتحقق الأهداف المذكورة ولا حتى الهدف الأساسي للمعجم عندما تكون الشواهد المختارة غامضة، أو فيها ما يحتاج إلى تفسير وإيضاح؛ لأنه لا يمكن تفسير الغامض بالغامض.

(ثالثاً): إن اختيار الشواهد التي تصقل الذوق الأدبي وتهذب أحاسيس القارئ يقتضي المقارنة والموازنة بين المئات من النماذج الأدبية لانتقاء النموذج الأمثل، أو النموذج الذي يشكل النمط المشترك بين غالبية القراء على الأقل، إن لم يكن كلهم..

يقول أحد الباحثين: «لعله من التعسف أن نطلب شواهد تصقل الذوق الأدبي وفي الوقت نفسه تحوي قرائن تبيان المعنى، فذلك يقتضي الاختيار من مئات أو آلاف الشواهد في كل مادة. وهذا ما دعا المشرفين على وضع المعاجم الكلاسيكية في الغرب إلى إشراك أكبر عدد ممكن من اللغويين بل حتى إشراك الجمهور المثقف في اختيار الشواهد. فمعجم أكسفورد للغة الإنكليزية اختار شواهد من قرابة خمسة ملايين شاهد جاء معظمها من متطوعين»(188).

ويمكن أن يكون معجم الأطفال Dictionary Chidrens الذي أخرجته شركة (هوتن مفلن) Houghton Mifflin Company مثالاً لمعاجم الناشئة التي تستعمل الشواهد التوضيحية المناسبة وكذلك «معجم الطلاب للكلمات الشائعة» الذي ألفه كل من د.محمود صيني وحيمور حسن يوسف والذي سبق الحديث عنه ضمن معاجم الطلاب و«المعجم العربي الأساسي» الذي وضعته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وإن لم يكن الاهتمام في المعجم الأخير شاملاً لكل المفردات التي تحتاج في توضيحها إلى شواهد وأمثلة سياقية.

وقد اهتم «معجم اللغة العربية ـ المحيط» نوعاً ما بالأمثلة السياقية والشواهد التوضيحية القصيرة المبسطة، إلا أن المشكلة الأساسية تكمن في أن هذا المعجم يتسم بضخامة الحجم وسعة المحتوى وتعدد الأجزاء، ولذلك فهو بهذه الصفات يصلح لخاصة المثقفين وللمتعلمين في مستوياتهم المتقدمة أكثر من صلاحيته لعامة المثقفين وسائر الطلاب الذين يقل لديهم الحرص في العادة وتضعف قدرتهم أو رغبتهم في التفتيش والفحص والبحث.

2 - الشواهد الصورية

أشير فيما سبق من فقرات هذه الدراسة إلى أهمية الشواهد الصورية في إبعاد صفة الجفاف عن المعجم عامة ثم في توضيح بعض ما يشتمل عليه معاني الكلمات التي لا يسهل إدراك مدلولاتها بالشرح أو التفسير. حيث تغني الصورة أحياناً في التوضيح والشرح والتجسيد حتى عن العبارة فضلاً عن الكلمة.

والشواهد الصورية في حقيقتها يمكن أن تكون من حيث الشكل صوراً (فوتوغرافية) أو رسوماً ملونة أو غير ملونة، لأشخاص أو أشياء وأماكن وأدوات منظورة ومشاهد، كما يمكن أن

تكون أرقاماً وأشكالاً هندسية وخطوطاً مظللة أو غير مظللة، أو تكون رسوماً بيانية وخرائط ووسائل إيضاح صورية أخرى، ترفق بالتوضيحات اللفظية لتعبر عنها أو لتزيدها بياناً وتساعد على فهمها واستيعابها.

أما من حيث الشمولية والسعة فإن الشاهد الصوري يتراوح بين رسم محدد يوضح دلالة كلمة معينة واحدة، وبين لوحة توضح محاور لغوية كاملة تشتمل على عدد من المدلولات كصورة جسم الإنسان توضع لتوضيح أعضائه، أو صورة الرأس وحده ترد لتوضيح ما يشتمل عليه من حواس أو أجزاء، أو لوحة تشتمل على مجموعة من الحيوانات...[189].

وقد استعملت الشواهد الصورية في المعجمات أو كتب اللغة الحديثة منذ عام 1657م حين أصدر جون أموس كومنيس (Comenius) كتابه الثنائي اللغة، «العالم مصوراً» Orbis Pictures وزاد الاهتمام بالشواهد الصورية في الوقت الحاضر، وتطور استخدامها مع تطور وسائل الطباعة والتصوير، وقد عم هذا الاستخدام حتى شمل الكثير من أنواع المعجمات اللغوية والموسوعات العلمية والثقافية، بل اعتبرت الشواهد الصورية لدى البعض لازمة لا غنى للمعجم عنها لأن «مهمته التعليمية تكون مبتورة إذا خلا منها»[190].

إن للشواهد الصورية أثراً ملحوظاً في إيصال وتقريب المعارف إلى الأذهان وتجسيدها للأحاسيس عامة، حيث تشترك أكثر من حاسة واحدة في نقل المعلومة أو الرسالة. أما في المعجم فإن لها بلاشك بعدها وتأثيرها الخاص في توضيح معاني المفردات اللغوية وفي تحديد وتمييز هذه المعاني وتجسيدها وتعميق فهمها أو تقريب المعقد أو الملتبس الدقيق منها. كما أن لهذه الشواهد أثرها في ربط الألفاظ بمدلولاتها الحقيقية ومن ثم في تثبيتها مع هذه المدلولات في ذهن القارئ أو في ذاكرته وسرعة استحضارها عند الحاجة إليها؛ لأن خيال القارئ كثيراً ما يسارع إلى استرجاع الصورة التي ارتبطت باللفظ أو اقترنت به عندما يرى أو يسمع هذا اللفظ فيسترجع المعنى ويتصوره على وجهه المرسوم. هذا إضافة إلى أن الشواهد الصورية من شأنها أن تثير ولع القارئ وحب الاستطلاع لديه، وقد تبعث السرور في نفسه أو تدفع عنه الملل فتزيد في النهاية من إقباله على المعجم وعلى تعلم اللغة.

على الرغم مما للشواهد الصورية من آثار إيجابية في تعزيز دور المعجم في إثراء الحصيلة اللغوية للناشئ أو تثبيت وترسيخ جانب من هذه الحصيلة في ذهن القارئ عامة فإن الإفراط فيها أو الإكثار من استخدامها لا يخلو من السلبيات، ومن بين هذه السلبيات ما يأتي:

أ - إن الإكثار من الشواهد الصورية أو الإفراط في استخدامها قد يضفي على المعجم

صبغة تجارية منفرة أحيانا؛ إذ قد يوحي ذلك للقارئ باستغلال اللغة للابتزاز والكسب المادي ويحسسه بنوع من الفضفاضية وضآلة القيمة العلمية للمعجم، ويفضي إلى تصوره بأن المعجم تحول من وسيلة لتعليم اللغة إلى وسيلة للترفيه والبهرجة والترويح، وهذه الأمور مجتمعة قد تشكل حاجزاً نفسياً وتؤدي إلى الانصراف عن المعجم وعن استخدامه.

ب - إن الصور والرسوم التوضيحية الجذابة الجميلة قد تستحوذ على اهتمام القارئ وخاصة الناشئ فينصرف إلى الاستمتاع بالنظر إليها وينشغل بها عن التعرف على معاني المفردات اللغوية.

ج - إن الشواهد الصورية الكثيرة عادة ما تزيد من حجم المعجم ومن وزنه، ولاسيما الرسوم والصور الكبيرة والملونة والمطبوعة على ورق صقيل يزيد سمكه عن سمك الورق العادي، كما هو الجاري في «معجم اللغة العربية ـ المحيط» على نحو المثال. حيث يشتمل هذا المعجم كما بينا ذلك عند الحديث عنه على (150) لوحة ملونة، كل لوحة منها مطبوعة على صفحة مستقلة صقيلة مميزة السمك، وتتضمن عدداً من اللقطات أو الصور الفوتغرافية الجميلة الفاخرة، مستقاة من موسوعات معرفية ومصادر علمية وفنية شهيرة، وربما تضمنت اللوحة منها صورة مكبرة واحدة فقط. ولقد استغرقت هذه اللوحات مساحة كبيرة من حجم المعجم وجزءاً غير قليل من وزنه، وقد كان ذلك من الأسباب التي جعلته يخرج في ثلاثة أجزاء ضخمة. ولا ننسى أن ذلك قد يؤدي إلى الإحساس بثقل المعجم ومن ثم إلى العزوف عن تناوله وعن استخدامه، على نحو ما تبين من قبل. كما يؤدي إلى زيادة تكاليفه وغلاء سعره فيقلل ذلك من تداوله وانتشاره أو الإقبال عليه.

د - هناك احتمال للوقوع في الخطأ أو الإرباك عند استعمال الشواهد الصورية، كالخطأ في الإشارة إلى معنى دقيق ملتبس مع معان أخرى، أو في عدم القدرة على الفصل والتمييز بين مفاهيم متشابكة أو ظاهرة التشابه. كما ظهر لنا ذلك بصورة ملحوظة في «القاموس الجديد ـ الألفبائي» الذي وضعه الجيلاني بن الحاج يحيى وزميلاه. ولا يخفى أن ذلك قد يوقع الناشئ في الخلط أو الاشتباه بين المعاني الدقيقة وتصور مفاهيم خاطئة عنها.

ولتكون الشواهد الصورية نافعة فعالة في تحقيق أهدافها ينبغي أن تكون في حدود المعقول من حيث كمها وأحجامها، فلا تجعل من المعجم «ألبوم» صور غرضه التسلية وقضاء وقت الفراغ، ولا تجعل منه سِفراً ثقيلا ينوء القارئ بحمله ويتباطأ في الاستفادة منه، كما يفترض أن تكون الشواهد الصورية موجزة، يقتصر فيها على ما يبرز العناصر الجوهرية، ويبتعد عما يمكن أن يصرف عن المعلومات الأساسية، وأن تكون هذه الشواهد وثيقة الصلة بموضوعاتها أو مدلولاتها، دقيقة واضحة معبرة محددة المعالم، تشير إلى المعنى وتبرزه وتميزه على نحو كامل ومفهوم، وتفضي إليه أو تدل عليه ببساطة وسهولة. وأخيراً يفضل أن تكون هذه الشواهد ملونة، وغير بعيدة من حيث المسافة عما يرتبط بها من كلمات أو صيغ لغوية..

لقد وقعت غالب معاجمنا العربية الحديثة التي استعملت الصور التوضيحية ـ كما كشفت دراستنا لها ـ بين التفريط والإفراط، فبعضها قصر في استعمالها، أو استعملها للزينة فلا صلحت للزينة ولا أدت غرضها في الإيضاح على النحوالمطلوب. بينما بالغ بعض آخر في استعمالها وحشد مجموعة كبيرة من الصور ملأت صفحات، أدت غرضها نوعاً ما في تزيين المعجم ونفعت في إيضاح مجموعة من المفردات وفي وصف بعض الأشياء وصفاً تفصيلياً دقيقاً، إلا أنها ضخمت من حجم المعجم لكبر أحجامها، مع أنها لم تغط سوى مجموعات قليلة من مواد المعجم الذي اشتمل عليها. وقد تمثل هذا التوجه بنحوخاص في «معجم اللغة العربية ـ المحيط». علماً بأن معظم المعاجم العربية الحديثة أهملت الصور التوضيحية ولم تستخدمها على الإطلاق وإضافة إلى ما كشفنا عنه من عيوب في استعمال الصور التوضيحية في معاجم مثل: «المعجم الوسيط، و«القاموس الجديد»، ومعجم «لاروس»، و«الرائد»، و«معجم الطلاب». ونورد ما قاله الأستاذ أحمد شفيق الخطيب في هذا الصدد، زيادة في التأكيد والدعم لما توصلنا إليه:

يقول الخطيب: «إن نظرة عابرة حتى في خيرة معاجمنا في هذا المجال تؤيد هذه المقولة. فكثير من الصور لا يمكنك إدراك كنهه ما لم تقرأ الشرح لتستنتج لنفسك ما يمكن أن تكون -كصور البسلّى والثوم والخيار والخيزران والدّفّ والزنبرك والمحور والمريء والمنجم وعشرات غيرها في المعجم الوسيط أو كصور الرضفة والرمان والرّند والسنبوق والمدمرة والمرآة والمرجان والمرغاة وكثير سواها في القاموس الجديد. لا بل إن بعض هذه الصور إما إنها لا تمثل مسمياتها أو إنها على الأقل لا تتوافق مع الشرح الوارد عنها في المعجم. مثلاً في القاموس الجديد: (السحاحة) صورت قارورة ماء كروية (القاعدة) على موقد ولعل ماءها يغلي. والتعريف هو«وتطلق على أنبوبة زجاجية تنتهي من أسفل

بصنبور تستخدم في التحليل الكيماوي». ومثل هذا بشكل أو بآخر تجده في صور الرشاش والزمام والسفرة والصفيحة والصولجان والظفر والمرواح والمنحاة (ولعل الصورة هنا هي لمادة المنحات التي تليها). ولاروس المعجم العربي الحديث الذي استعار مجموعات صوره من لاروس الفرنسي لم يستطع إخراجها بشكل واضح نقي ولا حتى مدقق»[191].

وقد أورد الخطيب في هامش حديثه المزيد من الأمثلة على ما ساقه من استنتاجات وتمنى أن تأخذ الصورة مكانها في المعجم العربي كماً ونوعاً ولوناً على نسق ما نراه في بعض المعاجم الأجنبية الرفيعة المستوى. إلا أنه لم يذكر شيئاً عن معجم «المنجد في اللغة والإعلام»، مع أن هذا المعجم كان في متناول الأيدي وقت صدور مقاله، وكان من أوائل المعاجم العربية الحديثة التي استخدمت فيها الصور التوضيحية، وربما كان أعدلها وأحسنها في هذا المجال، فقد تميزت معظم الصور التي استخدمها بالوضوح والنقاء والدقة في الإشارة والاعتدال في الحجم والترتيب موضوعياً إلى حد ما، وإن لم تكن وافية شاملة لكل ما يفترض استعمال الصور لتوضيحه، أو لكل مجالات المعرفة ووسائلها الحديثة.

الطباعة والإخراج

من المعجمات اللغوية العربية ما ظهر كما اتضح في الفصول السابقة من هذه الدراسة في طبعات رديئة أو غير جيدة على نحوكاف، طبعات تبدو فيها الأوراق رقيقة شفافة أو جيدة متينة ولكنها متخمة بالأسطر إلى حد الاختناق، والأسطر فيها متزاحمة متراصة، والكلمات متلاصقة أو متداخلة، والحروف باهتة أو صغيرة متراكبة ترهق بصر القارئ. كما هو حاصل في بعض طبعات «القاموس المحيط» للفيروزآبادي، و«تاج العروس» للسيد محمد مرتضى الزبيدي في طبعاته القديمة، و«أساس البلاغة» للزمخشري في طبعته الصادرة عن دار الكتب المصرية عام 1953م، و«محيط المحيط» للبستاني، و«البستان» و«الوافي» أو «فاكهة البستان» لعبد الله البستاني، و«مختار الصحاح» للرازي في بعض طبعاته، «والمعجم الوسيط» في بعض طبعاته و«الكافي» لمحمد خليل باشا..

إن الصفات الطباعية المذكورة في المعجم من شأنها أن تدعو الناشئ أو القارئ عامة للملال أو النفور من المعجم، أو تحيل بينه وبين التركيز والتأني والتمعن والتأمل في معاني الكلمات، ولا تشجعه على مواصلة البحث عنها، الأمر الذي قد يقوده إلى إساءة اختيار المترادفات أو المعاني المناسبة للكلمات التي يبحث عن مدلولاتها لاختلاطها أمام بصره، كما قد يؤدي الى اضطرابه في نطق الكلمات أو نفوره منها أو حفظها على صورة محرفة أو مصحفة أو خاطئة، ومن ثم تثبيتها في الذاكرة مضطربة الشكل مشوشة المعنى.

نتيجة لما تعانيه بعض المعاجم من سوء في الطباعة أو التصوير أو رداءة الورق وظهور الكلمات باهتة أو مشبعة بالحبر بنحو تختلط أو تتشابه الحروف أو حركات الإعراب والنقط الموضوعة عليها إلى درجة لا تتميز فيها ـ على سبيل المثال ـ الدال من الراء أو الراء من الزاي أو الصاد من الضاد، أو تتشابه فيها الفتحة مع الشدة أو الياء مع الباء أو الياء مع الكسرة أو الفتحة مع الضمة، مما يشكل أحياناً عقبة أمام الناشئ وأمام من ليس له خبرة أو ممارسة كافية في استخدام المعجم

بنحو عام ويؤدي به إلى الخلط بينها أو التذبذب والاضطراب والحيرة في فهم معانيها، ومن ثم إلى الخلط بين مدلولاتها والإساءة في استخدامها.

إن من الوظائف الأساسية للمعجم كما يقول بعض الباحثين «تسجيل طريقة النطق الصحيح للكلمات، إذ ينبغي أن يكون مرجعاً موثوقاً به في هذه الناحية»[192]. فإذا لم تكن لدينا معاجم تبين طريقة نطق الكلمات على غرار المعجم الذي وضعه (دانيال جونز) لنطق كلمات اللغة الإنكليزية وأطلق عليه اسم English Pronouncing Dictionary وغيره من المعاجم النطقية في اللغات الأجنبية الحية الأخرى، فلا أقل من أن تلتزم معاجمنا الحديثة في طبعاتها الجديدة بإعجام الكلمات وإحكام ضبط الحركات عليها، وتوضيح هجائها ورسمها وإملائها وتحديد جوانبها الصوتية تحديداً تاماً، ليتمكن الناشئ أو مستخدم اللغة عموماً من التقاط الألفاظ على صورتها الصحيحة ومن ثم استخدامها على الوجه السليم. هذا بالإضافة إلى ضرورة أن تلتزم هذه المعاجم نظاماً موحداً في إعجام الكلمات وضبط الحركات لتجنيب القارئ ما يمكن أن يحدث له من تردد وتذبذب وحيرة في نطقها وكتابتها ومن تشويش في تصور معانيها، في حال رجوعه لأكثر من معجم واحد.

نلاحظ في معاجمنا العربية عدم الاتفاق أحياناً في تحريك الكلمات، فكلمة (العاذِل) بمعنى (اللائم) على نحو المثال، تذكر في «المعجم العربي الأساسي» غير محركة، وتذكر في معاجم دار الراتب: «الأداء»، و«الأسيل»، و«أبجد»، (العاذَل) بفتح الذال، بينما تذكر في «المعجم الوسيط» ضمن اشتقاقات الفعل (عَذَلَ) بكسر الذال (عاذِل)، كما هي في أغلب المعاجم الكبيرة الأخرى. فكان الأجدر وضعها في مثل «الأساسي». وتثبيتها بنحو موحد في معاجم دار الراتب، فالاختلاف في حركة عينها يشير إلى تقصير في التحقق من صحة حركتها. والأسوأ من ذلك أن نجد الكلمة نفسها أحياناً تختلف في شكلها وحركتها بين مكان وآخر من المعجم ذاته. هذا بالإضافة إلى ما نجده من تصحيف وتحريف في مجموعات كثيرة من الكلمات والصيغ.

مثل هذه الأخطاء كما يؤيد ذلك أحد الباحثين «كانت وما زالت إحدى علل معاجمنا القيمة قديماً وحديثاً، قديماً كان المسؤول الناسخين، واليوم يعزى معظمها إلى المساعدين والسكرتيرين. وفي قناعتي ضرورة أن يقوم بالمراجعات المتكررة خبراء بمستوى المؤلفين أنفسهم ـ أو حتى أعلى مستوى إن تسنى ذلك»[193].

إن النقط والأشكال والحركات هي الرموز الصوتية التي «لها قيم محدودة في مقدورها تسجيل

النطق، وبهذا يصبح من الضروري الاعتماد على هذه الرموز التي تكفل لنا الوصول إلى هذا الهدف بسهولة ويسر»[194]. ولاسيما اللغة العربية، حيث الإعراب سمة أساسية فيها أو أن هناك طائفة كبيرة من ألفاظها متشابهة أو متطابقة الحروف، لا يوجد هناك ما يميز بعضها عن البعض الآخر ويحدد معناها وطريقة نطقها بنحو دقيق وتام سوى حركات الإعراب التي ترسم على حروفها، مثل كلمة (برّ) التي تتحول إلى ثلاث كلمات مختلفة في معانيها تمام الاختلاف عن طريق الحركة الواحدة التي توضع على حرفها الأول.

إضافة إلى ما تقدم فإنه ينبغي إبراز المداخل في المعجم باشكال أو ألوان طباعية مميزة من الشروح والتفسيرات التي تتعلق بها، لتكون قريبة المأخذ جلية في الأذهان. ويقترح أن تميز المداخل باللون الأحمر الغامق والبنط البارز، لأن الأسود الغامق المشبع قد يستوعب مساحة أكبر، بينما الأسود العادي قد يؤدي إلى التشابه مع كلمات الشرح أو الاختلاط بها حتى ولو كان بنط الحرف ممدداً.

ومما يمكن أن يترتب على ما سبق ذكره أو يلحق به أن ينتقى للمعجم ورق جيد ناصع صقيل، لا ينضح فيه الحبر ولا يكشف ظاهره عن باطنه ولا تنفرش الحروف على سطحه. وأن تطبع الكلمات على هذا الورق طباعة تبرز معها الحروف والعلامات بنحو محدد مقبول. والورق الناصع الصقيل الذي ينتقى للمعجم يقترح أن يكون هادئ اللون مريحاً لأعصاب البصر.

إن الغالب في الطباعات العصرية الحديثة أن ينتقى للمعجم ورق ناصع البياض أو صقيل لامع وسميك أحياناً، إلا أن اللون الأصفر المائل إلى البياض أو (السكري) غير اللامع أو (المطفأ)؛ كالورق المستعمل لـ«المعجم العربي الأساسي» في طبعته الصادرة في عام 1988م، وبعض طبعات «القاموس المحيط» للفيروزآبادي، يمكن أن يكون أكثر هدوءاً وإراحة للقارئ، وأكثر ملاءمة لطبيعة المعجم ولما قد تتطلبه عباراته وكلماته الصغيرة نسبياً من تحديق القارئ أو إطالة نظره وتفتيشه؛ ولأن الورق الأبيض اللامع ربما يكون متعباً لأعصاب العين، لما يعكسه في العادة من أشعة مشتتة للبصر عند القراءة، يتبعثر فيها الضوء فيتعب عين القارئ، ولاسيما الحروف أو الكلمات حينما تكون باهتة أو صغيرة.

لقد أصبح من السهل، في ضوء التطورات الكبيرة التي تشهدها الطباعة وصناعة الكتاب في العصر الحديث إخراج معجم، جيد الورق، جميل الطباعة، ممتع من حيث منظره وشكله، ترتاح الأنظار لحروفه وكلماته، وتأنس النفوس بمطالعته والرجوع إليه. وتشجع على البحث فيه. ولا ننس أن المظهر الجميل من كل شيء يترك أثراً جميلا في النفس ربما يطول أمد مكوثه ورسوخه في

الذاكرة ومكوث ورسوخ ما يتعلق به.

ونود في نهاية المطاف أن نقول بأن معيار الحسن والجمال هو التوازن والاعتدال والتلاؤم والانسجام، كما هو معروف، وبناء على ذلك فإذا كان تداخل الكلمات أو تزاحمها وصغر الحروف وتراكبها وهشاشة الورق أو رداءته تنقص من حسن المعجم، فإن الورق السميك الثقيل وتضخيم البنط الطباعي وتمديد الحروف وتمطيط الكلمات وتسطيح العبارات إلى درجة تستغرق معها مساحات كبيرة وتتباعد المسافات وتكثر الفجوات بينها، هذه تخرج بالمعجم إلى حد النقيض وتقلل من حسنه ومن الإقبال عليه، لأن من شأنها أن تزيد من عدد صفحاته، فيتضاعف وزنه وتزداد ضخامته ويصبح منفراً ثقيلاً على القارئ. وربما كان ذلك التضخيم على حساب مادته فاختصرت أو قلت، خوفاً من أن يتجاوز حجمه الحد المطلوب..

إن طبعة معجم «تاج العروس» التي أخرجتها وزارة الإعلام بدولة الكويت. طبعة أنيقة ورائعة لولا المبالغة في هذا التأنق. حيث إن الورق السميك الفاخر الذي أخرج به المعجم والبنط الطباعي الكبير الذي رسمت به حروفه والمسافات التي تركت بين فقراته وسطوره وبحبحة صفحاته بالفراغات والإطار الواسع، هذه ضاعفت من حجم المعجم وزادت من عدد أجزائه وصفحاته فأضيف إلى غزارة الاستطرادات فيه غزارة في الورق زادت من الإبطاء بحركة القارئ بين مواده. وهكذا بالنسبة لـ «المعجم العربي الميسر» الصغير الذي أعده كل من د. أحمد زكي بدوي وصديقه يوسف محمود. حيث أخرجت الصفحة الواحدة في صفحتين في هذا المعجم بسبب تمديد الحروف وتسطيح وتمطيط العبارات، وأصبح ذلك على حساب المادة التي اشتمل عليها فقلت وقصرت عن الكفاية.

نحو عمل جماعي في إعداد المعجم

إن كثيراً من المشاكل التي واجهها المعجم العربي في السابق وما زال يواجهها في الوقت الراهن ناتجة في غالبها في الحقيقة عن انفراد الجهود والآراء والاجتهادات الشخصية بعمل هذا المعجم؛ فمنذ عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى وقتنا الحاضر وغالب معاجمنا العامة والخاصة، الصغيرة والكبيرة الموسعة، يقوم بإصدارها أشخاص، يعتمد كل منهم على جهده الفردي وإمكانياته الذاتية المحدودة في جمع وانتقاء مواد معجمه وفي تصنيفها وترتيبها واختيار المنهج الخاص بهذا التصنيف وهذا الترتيب. وقد صدرت بعض معاجمنا الحديثة بجهود لجان صغيرة محدودة مثل: «المعجم الوسيط»، و«المعجم الوجيز» اللذين أخرجهما مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بل وحتى «المعجم العربي الأساسي» الذي تولت إعداده جماعة من كبار اللغويين العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ولكن هذه المعاجم كلها مع ذلك لم تخل من النواقص والعيوب.

إن المعجم العربي الذي نتطلع جميعاً إليه سواء كان معجماً تاريخياً شاملاً لجميع مفردات اللغة، أم كان معجماً عاماً وسيطاً للمتعلمين وعامة المثقفين، أم كان معجماً مرحلياً متدرجاً يفي بحاجة الناشئة في مراحلهم العقلية والدراسية المختلفة[195]، أم كان معجماً آلياً خاصاً بفئات من دارسي اللغة أو بعامة مستعملي هذه اللغة. هذا المعجم لا يمكن أن يتحقق على وفق المواصفات المطلوبة وبنحو واف مكتمل بجهود فردية، ولا بجهود لجان مصغرة تعمل على نطاق محدود. وإنما يمكن تحقيقه بجهود فريق عمل متخصص يعمل وفق مخطط مدروس ونظام محكم وتحت إدارة خبيرة.

ينبغي أن تتولى وضع هذا المعجم جهود مشتركة موسعة وتتعاون على إخراجها لجان علمية وفنية متخصصة مدربة كاملة الأعضاء، تتوزع المهام وتتقاسم الأعباء، وتعمل على محاور متعددة على وفق نظام محكم دقيق متناسق متكافل الجوانب متكامل الشروط، وتحت إشراف منهجي سديد من قبل المؤسسات اللغوية القومية، وفي إطار تعاون وثيق مع الجامعات ومراكز ومعاهد البحوث العلمية والدوائر الثقافية والمؤسسات القومية والقطرية ذات الصلة وتحت رعاية ودعم مادي ومعنوي

من قبل صانعي القرار السياسي أيضاً. بل إن دعم ورعاية صانعي القرار السياسي أو الحكومات والمؤسسات الثقافية في التخطيط والتنظيم والإعداد لإنتاج معجم يأتي كما يقرر الباحث اللغوي وخبير المعاجم James Sledd كضرورة أولى وعامل أساسي، حيث تضمن هذه الرعاية وهذا الدعم حماية المشروع وتمكن من تفادي المآخذ وتجنب المشاكل التي يتسبب في خلقها الناشرون وتجار الكتب وغيرهم، هذا إلى جانب تسهيل مهمة الحصول على فريق عمل متخصص مؤهل متكامل(196).

هذه بعض المقترحات أو التوصيات التي يمكن أن تشارك في تطوير المعجم العربي بنحو عام وتعمل على زيادة فاعليته في إثراء الحصيلة اللغوية اللفظية لعامة طالبي اللغة وللناشئة منهم على الأخص، وقد طرحنا بعضاً آخر منها في دراسات سابقة أشير إليها، في أثناء هذه الدراسة، يمكن أن تكون مكملة لها، على أننا قد سعينا قدر الإمكان إلى الاختصار في مجمل ما ذكرناه من هذه المقترحات أو التوصيات، أملاً في أن نعود لاستقصائها وزيادة التفصيل فيها ضمن دراسة مستقلة تتعلق بالمعجم العربي الحديث وقضاياه.

الهـوامش

هوامش التقديم

1 - أنظر د. أحمد مختار عمر: «أزمة اللغة العربية المعاصرة والحاجة إلى حلول غير تقليدية»، قضايا فكرية ـ الكتاب السابع والثامن عشر ـ مايو1997م.. د. نهاد الموسى، اللغة العربية وأبناؤها: أبحاث في قضية الخطأ وضعف الطلبة في اللغة العربية (الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، 1405هـ/ 1984م)، ص12؛ هذا وقد عقدت جامعة الإمام محمد بن سعود ندوة خاصة تحت عنوان: «ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية» في المدة من 23 ـ 25/ 5/ 1416هـ الموافـ 17 - 19 /10 /1995م شارك فيها عدد كبير من الباحثين والدارسين .

2 - أنظر د. أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية: أهميتها ـ مصادرها ـ وسائل تنميتها ،(الكويت: عالم المعرفة (212)، ربيع الأو ل 1417هـ ـ أغسطس /أب 1996م)، ص ص 232ـ 225.

3 - أنظر على سبيل المثال: د. حسين نصار، المعجم العربي: نشأته وتطوره (القاهرة: دار مصرللطباعة، د. ت)، ص 39 ـ 213؛ د. محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1400هـ/1980م)، ص ص 104ـ 215..

4 - أنظر د. أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، ص ص 249 ـ 257.

الجزء الأو ل

5 - أنظر ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، القاهرة: دار المعارف، 1984 مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، صدر عن مجمع اللغة العربية ط 2، القاهرة: 1392هـ/ 1972م، مادة «عجم. توخينا الاختصار في تحديد المعجم من الناحية اللغوية فلم نتحدث عن اشتقاقه ونوعه الصرفي وتدرج صياغته ودلالة أصله على البيان وضده وما إلى ذلك مما يعتبر لو أتينا به حديثاً مكروراً لا طائل وراءه. وغرضنا هنا هو التحديد المباشر لمفهوم «المعجم».

6 - للمزيد من المعلومات عن نشوء وتطور أو تبلور هذا المصطلح أنظر: د.حسين نصار، المعجم العربي، ج 1، ص ص 13-9؛ د. رياض قاسم، المعجم العربي: بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، ط 1 (بيروت: دار المعرفة 1407هـ/1987م)، ص ص 11 - 19.

7 – محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط (بيروت: دار الجيل، د. ت)، مقدمة المؤلف، ص 3.

8 – أنظر: الشرتوني، سعيد، أقرب الموارد (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1893م)؛ مجمع اللغة، المعجم الوسيط، مادة «قمس».

9 – أنظر Philip B. Gove, The nonlexical and encyclopedic Names, (1965), p. 108

10 – أنظر د. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم (الرياض: جامعة الملك سعود، 1411هـ ـ 1991 م)، ص ص 43 ـ 44.

11 – د. أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث (القاهرة: عالم الكتب، 1418هـ/1998م)، ص ص 48 ـ 49.

12 – ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا ، طهران، 1391هـ ـ 1971م .

13 – أنظر Sidney Landau, Dictionaries: The Art & Craft of Lexicography (Cambridge, Cambridge University, 1996), P. 5

14 – من جملة الترجمات التي وضعت لعنوان هذه الموسوعة باللغة الإنكليزية عنوان : Methodical Dictionary of Science, Arts and Trades

15 – أنظر فرانسوا مورو، القصة الحقيقية للموسوعة ، عرض محمود قاسم، (الكويت: مجلة العربي، ع 488، يوليو1999م)، ص 202.

16 – د. أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص 24.

17 – أنظر The Encyclopedia of Language & Linguistics Theory, ed . By R.E. Asher,(Pergoman Press, 1994) p.p 2189-2190 ; Making Practice in Dictionary- in Lexicography Principles & Practice, ed. By R.R.K Hartmann, (London: Academic Press, 1983), p. 6

18 – في هذا الجزء الخاص بأهمية المعاجم اللغوية ملخص لما ورد عن الموضوع ذاته في الفصل الخاص بالمعاجم اللغوية من كتابنا السابق الذكر: أنظر د. أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، ص ص 219 ـ 222.

19 – شفيق جبري: ((الألفاظ والحياة))، (دمشق: مجلة مجمع اللغة العربية، مج 48، ج4 ،1393هـ/ 1973م)، ص727.

20 – للمزيد من التفصيل حول اتساع الألفاظ وتطور المعاني أنظر ستيفن أو لمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال محمد بشر (القاهرة : مكتبة الشباب، 1975م)، «الفصل الثاني: أسباب تغير المعنى» ص160-152؛ د. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ط6 (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1387هـ/1967م)، ص ص 258-255، 301-287؛ د. أحمد عبد الرحمن حماد، عوامل التطور اللغوي، دراسة في نموتطور الثروة اللغوية (بيروت: دار الاندلس ، 1403هـ/1982م).

21 – ستيفن أو لمان، دور الكلمة في اللغة، ص33.

22 - أنور محمد الشرقاوي، العمليات المعرفية وتناول المعلومات (القاهرة: مكتبة الانجلوالمصرية، 1984)، ص62؛ د. مصطفى فهمي، سيكولوجية التعليم (القاهرة: دار مصر للطباعة، د. ت)، ص 194،97.

23 - د. حسن ظاظا، كلام العرب، من قضايا اللغة العربية (بيروت: دار النهضة العربية، 1976)، ص ص 119ـ 120.

24 - أنظر د. حسن ظاظا، كلام العرب، ص ص 128-122؛ علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ط6 (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، د. ت)، ص ص 289-274؛ محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ط2 (القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1978)، ص ص 76 - 80.

25 - د. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم (الرياض: جامعة الرياض، 1395هـ/1975م)، ص ص41 - 60.

الجزء الثاني

26 - أنظر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي (لاروس، 1989م)، المقدمة، ص 9.

27 - للتفصيل في معرفة مناهج تصنيف المفردات اللغوية في المعاجم العربية، أنظر د. أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، ص ص 231 ـ 242.

28 - يقول الفيروزآبادي إن صحاح الجوهري «فاته نصف اللغة أو أكثر إما بإهمال المادة، أو بترك المعاني الغريبة النادرة». أنظر القاموس المحيط (بيروت: دار الجيل، د. ت)، ج1، ص 3. أما ابن منظور فيقول عنه «أنه في جواللغة كالذرة، وفي بحرها كالقطرة، وإن كان في نحرها كالدرة. وهومع ذلك قد صحف وحرف، وجزَفَ فيما صرف»، أنظر لسان العرب، ج1، ص 11 المقدمة.

29 - نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، الصحاح في اللغة والعلوم: تجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية، تقديم العلامة الشيخ عبد الله العلايلي، ط1(بيروت: دار الحضارة العربية، 1974م)، المجلد الأول، ص: ي.

30 - أنظر المصدر السابق، المقدمة، ص: ي.

31 - أنظر ما كتبه د. محمد أحمد أبوالفرج عن «لغة الشعر في لسان العرب» في كتابه، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ط1 (بيروت: دار النهضة العربية، 1966م)، ص ص 89 ـ 94.

32 - للتفصيل في هذا المجال أنظر إبراهيم بن مراد، دراسات في المعجم العربي (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987م)، ص ص 155 ـ 178.

33 - أنظر د. حكمت كشلي فواز، لسان العرب لابن منظور: دراسة وتحليل ونقد (بيروت: دارالكتب العلمية، 1994م)، لقد جمعت المؤلفة في هذا الكتاب طائفة مما أشار أو أحصاه بعض الدارسين من الأغلاط والهفوات في لسان العرب، أنظر ص ص 48 ـ 77.

34 - د. محمود فهمي حجازي، علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، ط2 (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت)، ص 55.

35 - ابن منظور، لسان العرب، ج1 ص 12.

36 - الشدياق، الجاسوس على القاموس (قسطنطينية: مطبعة الجوائب، 1299هـ)، شوائب وهفوات القاموس المحيط، ص 48 والصفحات التي تليها.

37 - الفيروزآبادي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، الطاهرأحمد الزاوي، ط2 (القاهرة، الحلبي، 1973م)، ج3ص 558.

38 - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط2، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1407هـ ـ 1987م)، ص 9.

39 - أنظر د. حسين نصار، المعجم العربي، ط2 (القاهرة: دار مصر للطباعة، د. ت)، ج2، ص 678.

40 - أنظر السيد محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ط2، تحقيق عبد الستار أحمد فراج (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، 1407هـ ـ 1986م)، ج1، مقدمة المصنف، ص 9.

41 - أنظر، د. حسين نصار، المعجم العربي، ج2، ص 664.

42 - أنظر ما أخذه عليه الدكتور حسين نصار، المعجم العربي، ج2، ص 709.

43 - جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود (القاهرة، إحياء المعاجم العربية، 1372هـ/ 1953م)، ص 148.

44 - للتفصيل في ذلك والتدليل عليه أنظر د. عبد السميع محمد أحمد، المعاجم العربية: دراسة تحليلية (بيروت: دار الفكر العربي، د. ت)، ص ص 118وما بعدها.

45 - د. عبد السميع محمد أحمد، المعاجم العربية، ص ص 119، 221 ـ 223، 336.

46 - أبوالفتح عثمان بن جني، الخصائص، ط2، تحقيق محمد علي النجار (بيروت: دار الكتاب العربي، 1371 ـ 1952)، ص 55.

الجزء الثالث

47 - بطرس البستاني، محيط المحيط: قاموس مطول للغة العربية (بيروت: مكتبة لبنان، 1977م)، ص1.

48 - كمثل على استطرادات معجم «محيط المحيط» الخارجة عن متن اللغة تفصيله في مادة (ز ن ب ر) وذكره «مسألة الزنبور» وتفصيله فيها على النحوالتالي:

«مسئلة الزنبور: هي التي جرت المنازعة فيها بين سيبويه والكسائي وهي قولهم: كنت أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي. ومنهم من قال فإذا هو إياها بناء على حذف الخبر وجعل ضمير النصب حالاً. واتفق أن اجتمع يوماً سيبويه والكسائي بحضرة يحيى بن خالد البرمكي فجرى بينهما ذكر هذه المسئلة فقال سيبويه: يتعين الرفع ويمتنع النصب. وخالفه الكسائي في إجازة النصب. فقال يحيى: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما. فقال الكسائي هؤلاء العرب

ببابك فأحضرهم وسلهم. فقال أنصفت واستحضر العرب فسألهم. وكان الكسائي مؤدب الأمين بن الرشيد وله منزلة عنده فوافقوه بقولهم أن القول قول الكسائي. فقال سيبويه ليحيي: مرهم أن ينطقوا بذلك فإن ألسنتهم لا تطوع عليه. فلم يزيدوا على ذلك وخرج سيبويه مغضباً وخرج إلى بلدته شيراز، ويقال أنه مات هناك كمداً. أقول ولا يخفى أن العرب قد استعملوا وضع بعض الضمائر موضع بعض كما وضعوا ضمير الرفع موضع ضمير الجر في نحو مررت بك أنت. وبالعكس في نحو لولاك لهلك زيد. وكذلك وضع ضمير الرفع في موضع ضمير النصب كقول الشاعر:

وتماشفوا سمر القدود فكل من طلب النجاة لنفسه إلا أنا

وعكسه كقول الآخر:

مرت بنا سَحَراً طير فقلت لها طوباك يا ليتني إياك طوباك

ولعل حمل إياها في المسئلة على هذا أوجه من تكلف الحالية. فهذه مسألة نحوية لا ضرورة لذكرها والتفصيل فيها في معجم خاص باللغة، فمحلها الموسوعات المعرفية أو كتب النحو المتخصصة في ذكر مثل هذه المسائل الجدلية.

49 - أنظر على سبيل المثال د. علي توفيق الحمد، «بطرس البستاني وجهوده المعجمية»، في المعجميةالعربية المعاصرة؛ د. إبراهيم السامرائي، مع المصادر في اللغة والأدب (عمان: دار الفكر، 1983م؛ حكمت كشلي، المعجم العربي في لبنان، بيروت: دار ابن خلدون، 1982م.

50 - سعيد الشرتوني، أقرب الموارد إلى فصح العربية والشوارد(بيروت مرسلي اليسوعية، 1889م). ص 8، المقدمة.

51 - المقتطف، عدد نوفمبر ـ 1912م، القاهرة، ص 426.

52 - الشيخ أحمد رضا (ت 1952م) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ج21، سنة 1946م، ص 118ـ؛ ج22 س 1947م ص 245.

53 - عبد الله البستاني، البستان، معجم لغوي مطول (بيروت: مكتبة لبنان، 1992م)، ص ص 5 ـ 64 وهذه الطبعة التي اعتمدناها في هذه الدراسة.

54 - أنظر د حسين نصار، المعجم العربي، ج2، ص 726.

55 - أنظر الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1377هـ/1958م)، المجلد الأو ل، ص ص 75 - 77، المقدمة .

56 - أحمد رضا، متن اللغة، المجلد الأو ل، مادة (أثل) ص 145.

57 - أحمد رضا، متن اللغة، المجلد الأو ل، مادة (بزم) ص 289.

58 - أنظر: الأمير مصطفى الشهابي: «نظرة في المنجد» مجلة مجمع اللغة العربية دمشق، م 22، ج3 (1957م)، ص ص 412 ـ 427؛ منير العمادي: «أغلاط المنجد»، مجلة مجمع اللغة العربية ـ دمشق، م 40، ج3، (1965م)، ص ص 633 ـ 643 ومجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، م 40، ج4، (1965م)، ص ص633 ـ 864 ـ 868، ومجلة مجمع اللغة العربية ـ دمشق، م 41، ج 1، (1966م)، ص ص 156 ـ 162 ومجلة المعرفة الدمشقية، س2 1963م، ج 8، 9، 10 وس3، 1964م، ج3. عبد الله كنون «نظرة في منجد الآداب والعلوم» اللسان العربي ، ع1، 1964م، ص113؛ عبد الستار فراج:

«المنجد معجم في اللغة: نقد لا مفر منه»، مجلة العربي، ع 134، 1970م، ص ص 158ـ 166، و«المنجد في الإعلام: نقد له أيضاً» مجلة العربي، ع 138، 1970م، ص ص 38 ـ 46؛ د. حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ج2، ص 728 ـ 731 ؛ د. عمر الدقاق، مصادر التراث العربي (حلب: المكتبة العربية، 1970)، ص 308 ـ 309؛ إبراهيم القطان، عثرات المنجد، (بيروت : دار القرآن الكريم) و«المنجد في طبعته الجديدة»، مجلة العربي، ع189، 1974م، ص ص 140ـ 144؛ د. مازن المبارك، نحو وعي لغوي (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1399هـ/1979م)، ص ص 165 ـ 189.

59 - د. مازن المبارك، نحو وعي لغوي، ص 185.

60 - د. عبد العزيز مطر «المعجم الوسيط بين المحافظة والتجديد»، من كتاب في المعجمية العربية المعاصرة: وقائع ندوة مائوية أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني، ورينحارت دوزي، جمعية المعجمية العربية بتونس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1407هـ ـ 1987م)، ص515.

61 - أنظر د. أحمد مختار عمر «محاضرات في علم اللغة الحديث»، (القاهرة: عالم الكتب، 1995م)، ص 67.

62 - أنظر عبد العزيز مطر «المعجم الوسيط بين المحافظة والتجديد»، من كتاب في المعجمية العربية المعاصرة، ص ص 495 ـ 526. لقد تضمن هذا المقال دراسة معمقة لمظاهر التقليد ومظاهر التجديد في المعجم الوسيط مع مقارنة هذا المعجم بما ألف قبله من معاجم، منتهياً إلى أن هذا المعجم يفضل على كثير من المعاجم الحديثة، لميزات كثيرة فيه أحاط بذكرها.

63 - أنظر د. عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ط 2 (بيروت: لبنان ناشرون، 1414هـ ـ 1994م)، ص ص 5 ـ 9، 61 ـ 87. هذا بالطبع بالإضافة إلى مقال الدكتور مطر الذي أشير له أعلاه.

64 - أنظر مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، المقدمة ص 9.

65 - المعجم الوسيط، ج1، ص 205.

66 - أنظر مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز (القاهرة، 1400هـ/1980م)، ص ص 6ـ7. وحول تفسير المادتين المذكورتين في هذا المعجم، أنظر ص 177. للمزيد من الأمثلة على ما ذكرناه أو أشرنا إليه من أخطاء ومؤاخذات على «المعجم الوسيط»، أنظر عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص61 ـ81.

67 - أنظر على سبيل المثال أحمد العائد وعبد اللطيف عبيد: «المعجم العربي بين الإفراط والتفريط انطلاقاً من مقارنة بين «المعجم الوسيط» ومشروع المعجم العربي الأساسي». وقائع ملتقى التهيئة اللغوية والتنمية، الرباط ـ يولية 1983م، (معهد الدراسات والأبحاث للتعريب)؛ أحمد العايد: «هل من معجم عربي وظيفي ؟» من كتاب في المعجمية العربية المعاصرة، ص 581، وأنظر كامل المقال والإحصائية المقارنة التي أجراها الكاتب واستند عليه في حكمه في الموضوع 555 - 591.

68 - جبران مسعود، الرائد: معجم لغوي عصري، ط3 (بيروت: دار العلم للملايين، 1978م)، ج1 المقدمة.

69 - أنظر جبران مسعود، الرائد، المقدمة ص ص12، 14.

70 - جبران مسعود، الرائد، المقدمة ص 12.

71 - د. عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، ط1 (دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، 1983م)، ص 26.

72 - ويستثنى من ذلك معجم «المرجع» للشيخ عبد الله العلايلي، حيث تذكر تحت الجذر في هذا المعجم جميع ما عرف من مشتقاته، وإن كان يحال إلى بحث هذه المشتقات والنظر إلى معانيها حيث تقع من النطق. فالعلايلي كما ينص هونفسه في مقدمته لمعجمه «المرجع» يسرد تحت الجذر «ما حفظ من مشتقاته، سرداً مع الإحالة إلى بحثها حيث تقع من النطق». وهذا يعني أنه يعيد ذكر المشتقات في أبوابها المتفرقة بعد ذكرها مجتمعة.

73 - جبران مسعود، الرائد، المقدمة ص 12.

74 - الجيلاني بن الحاج يحيى وآخرون، القاموس الجديد: الألفبائي، (بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1417هـ1997-م)، المقدمة ص 10.

75 - المصدر السابق، ص7.

76 - المصدر السابق نفسه ص7.

77 - للمزيد من الملاحظات على هذا المعجم «أنظر الهادي بوحوش: «بحث في القاموس الجديد»، كتاب وقائع ندوة إسهام التونسيين في إثراء المعجم العربي (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985م) أحمد العايد: «هل من معجم عربي وظيفي ؟» من كتاب في المعجمية العربية المعاصرة، ص 555 ؛أحمد شفيق الخطيب، «من قضايا المعجمية العربية المعاصرة» في المعجمية العربية المعاصرة، ص 610 وما بعدها.

78 - أنظر المعجم العربي الأساسي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تقديم د. محي الدين صابر، لاروس، 1989م، المقدمة، ص 9.

79 - المعجم العربي الأساسي، ص 9.

80 - د. أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص 22.

81 - المعجم العربي الأساسي، ص 332.

82 - أنظر د. أحد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص 52 ـ 53، 60 ـ 61.

83 - المعجم العربي الأساسي، ص 9.

84 - المعجم العربي الأساسي، ص 270.

85 - المعجم العربي الأساسي، ص 66.

86 - أنظر إبراهيم السامرائي، معجميات (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1411هـ ـ 1991م)، ص ص 7 - 35.

87 - حسن سعيد الكرمي، الهادي إلى لغة العرب: قاموس عربي ـ عربي، بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، 1411هـ ـ 1991م .

88 - أنظر على سبيل المثال في تفسير الكلمات، تعدد وأعد، ج3 ص175، وأعدى ج3 ص 181، ومفسدة

ج3 ص 413، أحصى ج1، ص 482، خائف ج1ص 685، الخرق ج1 ص 606، زعزع وزعزعة ج2ص 264..

89 - للاطلاع على مواضع التفسيرات المذكورة أنظر المعجم المذكور ج1، ص 482؛ ج1، ص 485؛ ج3، ص132، ج1، ص 494 على التوالي، وأنظر كذلك في تفسير الكلمات (حشو) ج1، ص 474، (الحضانة) ج1، ص 487، (قتول) ج3 ص 474...

90 - انظر على سبيل المثال في تفسير الكلمات التالية: (ج1: حشو474، حصر 478، حصّان 482، خلفة 464 مختَرَق 607، خواء 687، مُتخيم 691، حاذر ص 432، قتول. ج 2: أراح 231، زُبية، 251، الزاحف 254، زُعاق 265، زلفة 274، زلّ 275. ج3 : مقتل 474، فعال 431، قضقاض 533...

91 - أنظر المعجم، ج1، ص 475، وأنظر كذلك في تفسير الكلمات (بعثَ، الحصير، أحصن، في حصن). ومن الجدير بالذكر هنا أن كلمة (الحشى) قد وردت في المعاجم الأخرى بالألف الممدودة (الحشا).

92 - أنظر على سبيل المثال الكلمات: حاشية، حصحص، حصد، حضر، حصة، حصيف، محصّف، محصول، الحاصل، وكلمة حاصية، وكلمة حضر.

93 - أنظر في تفسير كلمة (تخ)، ج1ص 240.

94 - أديب اللجمي وآخرون، المحيط: معجم اللغة العربية، (بيروت: دار المحيط، 1994م)، ج1، أنظر تقديم د. محيي الدين صابر.

95 - المصدر السابق نفسه، ص3.

96 - المصدر السابق، أنظر على سبيل المثال المعجم:، ج1 لوحة 1، 2، 19، 20، 21، 24، 27، 28، 34، 36، ج2 لوحة 72 ,92، 74.

97 - د. جورج متري عبد المسيح، لغة العرب: معجم مطول للغة العربية ومصطلحاتها الحديثة، (بيروت: مكتبة لبنان، 1993م)، ج1، ط1، نقل بتصرف/المقدمة ص: ز ـ ح، لم نعثر إلا على الجزء الأول من هذا المعجم، وهوالذي اعتمدناه في هذه الدراسة.

98 - لغة العرب، ص: ص، المقدمة.

99 - لغة العرب، ص: ص، المقدمة.

100 - عبد الله البستاني، البستان: معجم لغوي مطوّل، (بيروت: مكتبة لبنان، 1992م)، ط1، تصدير بقلم د. جورج متري عبد المسيح، ص 1.

101 - لم يبين في النسخة التي بين أيدينا تاريخ صدور الطبعة الأولى، ولم نتمكن من العثور على ما يوضح ذلك، ولذلك اعتمدنا في وضعه ضمن السلّم التاريخي لصدور المعاجم المدروسة على التاريخ المبين على الطبعة المذكورة.

الجزء الرابع

102 - د. أحمد العايد: «معجم الأطفال الأساسي المصور الثنائي اللغة»، اللسان العربي، العدد العشرون

1403هـ/1983م، ص103.

103 - أنظر أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المصباح المنير (بيروت: دار الكتب العلمية، 1414هـ/ 1994م)، المقدمة، ص1.

104 - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1983م)، خطبة المؤلف، الصفحة الأولى.

105 - الرازي، مختار الصحاح، ص ص87 ـ 88.

106 - الطاهر أحمد الزاوي، مختار القاموس المحيط، المقدمة، ص 5.

107 - الزاوي، مختار القاموس المحيط، المقدمة ص 6.

108 - أنظر د حسين نصار، المعجم العربي، ج2، ص 715.

109 - عبد الله البستاني ، الوافي: معجم وسيط للغة العربية (بيروت: مكتبة لبنان، 1990م)، مقدمة الناشر.

110 - المعجم العربي الأساسي، ص 776.

111 - جرجس همّام الشويري، معجم الطالب: قاموس سهل لطلاب المرحلتين المتوسطة والثانوية، زائد أطلس البلاد العربية والقارات (بيروت: مكتبة لبنان، 1995).

112 - جبران مسعود، رائد الطلاب : معجم لغوي عصري للطلاب رتبت مفرداته على وفق حروفها الأولى (بيروت: دار العلم للملايين، 1967م)، ص 2، المقدمة.

113 - أنظر جبران مسعود، رائد الطلاب، المقدمة.

114 - أنظر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ص 567.

115 - أنظر فؤاد أفرام البستاني، المنجد الأبجدي، ط1 (بيروت: دار المشرق، 1968م)؛ ط 9، (بيروت: دار المشرق. 1993م)، المقدمة.

116 - للتمثيل على ما ورد في هذا المعجم من الشروح الدورية أو الغامضة تحتاج بنفسها إلى تفسير أنظر تفسير الكلمات الآتية: (المظاهرة، بجل، المظباة، المظفّر، المظفور، برأل، المَظلّة، البزار، البزدرة، الصدعة، اليأفوخ، اليرخم، القصّاع، السُّقْي، الرمام، اليحمور (من فصيلة الأيليات)، الشاروق، الصاروج، الغرضوف).

117 - ذكر في الطبعة المستخدمة في هذا البحث أن أول طبعة صدرت من هذا المعجم كانت في عام 1941م بينما تذكر بعض الكتب المؤرخة للمعاجم أنها كانت على ما ذكرنا عام 1968م.

118 - أنظر د. خليل الجر، لاروس: المعجم العربي الحديث (باريس: مكتبة لاروس، 1973م)، المقدمة.

119 - أنظر د. مصطفى حجازي ، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط1 (القاهرة ، 1980م)، ص 11.

120 - أنظر د. محمود إسماعيل صيني وحيمور حسن يوسف، معجم الطلاب (بيروت: مكتبة لبنان، 1991م)، المقدمة، ص 9.

121 - أنظر مجاني الطلاب، ط 1 (بيروت: دار المجاني شرحل، 1995)، ص 5. 122 - المعجم العربي الأساسي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لاروس، 1989م.

123 - أنظر د. جوزيف إلياس، منهل اللغة الصغير (نيقوسيا: دار منشورات الرمال، 1997م)، المقدمة

124 - أنظر صباح حنا هرمز، الثروة اللغوية للأطفال العرب ورعايته (الكويت: الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، 1987)، ص 39 - 48.

125 - الأداء: القاموس العربي الشامل، ط1(بيروت: دار الراتب الجامعية، 1997م).

126 - الأسيل: القاموس العربي المحيط، ط1 (بيروت: دار الراتب الجامعية، 1997م).

127 - أبجد: القاموس العربي الصغير، ط1(بيروت: دار الراتب الجامعية، 1997م).

128 - د. عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ط 2 (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1414هـ ـ 1994م)، ص ص 79 ـ 80.

129 - د. فايز يوسف محمد، قاموس الهادي، ط1 (طرابلس: دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م).

130 - ذكر على غلاف معجم «أبجد» أنه يشتمل على (30) ألف كلمة أو صيغة لغوية مشروحة. وإذا صح ذلك فيمكن القول بأن في «قاموس الهادي» ما يقرب من (35) ألف صيغة لغوية مشروحة أيضاً. فباب (الياء) من «أبجد» على سبيل المثال، يشتمل على (55) مدخل أو كلمة مشروحة، بينما تزيدالكلمات المشروحة على هذا العدد في الباب نفسه من «القاموس الهادي» بثلاث عشرة كلمة، وهي (الياسمين، اليامن، ياوم، اليباب، اليبس، اليربوع، اليعسوب، اليمامة، اليتيم، اليهود، اليهودية، اليونان، اليونسكو)، إلا أن هذه الزيادة غير مطردة في كل الأبواب، فبعض الأبواب لا تتجاوز الزيادة فيه أربع أو ثلاث كلمات.

131 - للمزيد من التمثيل على ما ذكرنا ينظر في تفسير كل من الكلمات الآتية مع الأخذ بعين الإعتبار مستوى المراجعين الذين وجه لهم المعجم: الكلمات: (المنطاد، الجرذ، درابزين، الشملة، برقوق، جامع، البركان. برطل، الدرهم. الراوية...) كأمثلة على قصور التفسير. والكلمات: (جعْدَ، الرهبنة، حضب، الأبح، البزاز، حلج، الكدمة، سرجين، برغي، اللوم...) كأمثلة على التفسيرات الدورية أو تفسير الغامض بالغامض.

132 - د. أحمد زكي بدوي وصديقة يوسف محمود، المعجم العربي الميسر، قاموس عربي/ عربي يحتوي على المصطلحات العلمية والتكنولوجية الحديثة، ط 1 (القاهرة: دار الكتاب المصري ،1991م)، المقدمة، ص 5.

133 - أنظر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوجيز، المقدمة، بقلم الدكتور ابراهيم مدكور، ص 6

134 - أنظر جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق أبوالفضل إبراهيم وآخرين، (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، د. ت)، ج 1، ص 185.

135 - في تعريف المصطلحات المذكورة أنظر السيوطي، المزهر، ج 1، ص 185ـ 187.

136 - أنظر أحمد شفيق الخطيب، «من قضايا المعجمية العربية المعاصرة» في المعجمية العربية المعاصرة: وقائع ندوة مائوية أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني، ورينحارت دوزي، جمعية المعجمية العربية بتونس (بيروت دار الغرب الإسلامي، 1407هـ ـ 1987م)، الملحق الأول والثاني، ص 599.

137 - جرجي، زيدان، اللغة العربية كائن حي، ط2 (بيروت: دار الجيل، 1988م)، ص 59، لمزيد من

التعزيز لهذا القول أنظر د. محمود فهمي حجازي، علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت)، ص ص 54 - 55.

138 - ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص 11.

139 - د. عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص 48.

140 - أنظر على سبيل المثال وبالإضافة إلى ما سبق ذكره أو الإشارة إليه من هذه الدراسات: د. عفيف عبد الرحمن: «من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، من كتاب في المعجمية العربية المعاصرة، ص ص 379 ـ 382؛ د. إبراهيم السامرائي: «المعاجم العربية القديمة»، الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة الأردني 1983م، ص ص 183 ـ 214.

141 - أنظر د. عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص ص 63 ـ 81؛ د. عفيف عبد الرحمن: «من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، من كتاب في المعجمية العربية المعاصرة، ص ص 384 ـ 385؛ أحمد شفيق الخطيب: من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، من كتاب في المعجمية العربية المعاصرة، ص ص 600 ـ 635.

الجزء الخامس

142 - أنظر أصل هذا الجزء من البحث في كتابنا المشار إليه: الحصيلة اللغوية، ص ص 257-249. ويمكن للقارئ الكريم ملاحظة ما أضيف إلى الأصل هنا من تفاصيل ونقاط أساسية ونظرات نقدية تحليلية لعدد من معاجم الطلبة أو الناشئة.

143 - أنظر على سبيل المثال: أحمد فارس الشدياق، الجاسوس على القاموس، المقدمة: ص 90-9؛ د. عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص ص 51 ـ 81؛ حسن ظاظا، كلام العرب، ص ص 157-153؛ أو غيست فيشر، المعجم اللغوي التاريخي، القسم الأول (القاهرة: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المقدمة؛ حسين نصار، المعجم العربي، ج2 ص ص 745 ـ 781، «المعاجم التي نحتاج إليها»؛ د. محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً (دار الغرب الإسلامي 1986)، ص ص 39 ـ 46، و149 ـ 169 ؛ رياض زكي قاسم، المعجم العربي، ص ص 377 - 381 «نحومعجم جديد»؛ د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط3 (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م)، ص ص 325 ـ 334؛ د. عبد الله درويش، المعاجم العربية (القاهرة: مطبعة الرسالة، 1956م)، ص ص 157ـ160؛ د. محمد المنجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، ط4 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1985)، ص297ـ320.

144 - أنظر د. أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية: أهميتها ـ مصادرها ـ وسائل تنميتها، ص ص249 ـ 257.

145 - أنظر أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث ص 47 ـ48 حول المعايير في تحديد حجم المعجم

146 - كمثال على هذه الإحصائيات أنظر أحمد شفيق الخطيب، «من قضايا المعجمية العربية المعاصرة» ،في المعجمية العربية المعاصرة وقائع ندوة مائوية أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني، ورينحارت

دوزي، جمعية المعجمية العربية بتونس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1407هـ ـ 1987م)، الملحق الأول والثاني، ص ص 638 ـ 647.

147 - الشدياق، الجاسوس على القاموس، ص 79.

148 - الشدياق، الجاسوس على القاموس، ص 521. لمزيد من التفصيل عن أسباب تضخم المعاجم العربية القديمة أنظر أحمد أمين: «أسباب تضخم المعجمات العربية»، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مج 9، (1957)، ص ص 36 ـ 42.

149 - أنظر The nonlexical and encyclopedic Names. Philip B. Gove (1965),p. 108

150 - د. عفيف عبد الرحمن: «من قضايا المعجمية العربية المعاصرة»، من كتاب في المعجمية العربية المعاصرة، ص 391.

151 - يمكن الإستعانة في ذلك:

Grenville. Freeman. The Muslim and Christian Calenders: tables for the conversion of Muslim and Christian dates from the Higra to the year 2000 A.D., 2nd edition. London. Rex Collings Ltd., 1977 .

152 - Which desk dictionary is best for foreign students of English? Richard Yorkey. TESOL Quarterl. 3 (1969), p. 258

153 - د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 328.

154 - د. أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، ص ص 244 ـ 247.

155 - متري عبد المسيح، لغة العرب، المقدمة، ص /ص.

156 - متري عبد المسيح، لغة العرب، المقدمة، ص /ع.

157 - عبد الله البستاني، البستان، المقدمة بقلم د. متري عبد المسيح، ص 1.

158 - د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 328.

159 - أنظر ما ذكره د. عدنان الخطيب من أمثلة على ما ورد في «المعجم الوسيط» من الألفاظ الحوشية الجافية والقديمة التي لاضرورة لذكرها في المعجم الحديث في كتابه المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص ص 64 ـ 67، هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه من أمثلة كثيرة مشابهة ورد ذكرها في عدد من المعاجم الحديثة التي شملتها هذه الدراسة.

160 - أنظر د. حسين نصار، المعجم العربي، ج2، ص ص 730 - 731؛ عمر الدقاق، مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، ط3 (حلب، 1972)، ص ص 309 وما بعدها.

161 - مازن المبارك، نحو وعي لغوي، ص 188.

162 - د. عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، ط1(دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، 1983م)، ص 26.

163 - ويستثنى من ذلك معجم «المرجع» للشيخ عبد الله العلايلي، حيث تذكر تحت الجذر في هذا المعجم

جميع ما عرف من مشتقاته، وإن كان يحال إلى بحث هذه المشتقات والنظر إلى معانيها حيث تقع من النطق.

164 - هذا هوالمنهج الذي سار عليه جبران مسعود في معجمه «الرائد، أما العلايلي فهو كما تقدم القول، وكما نص هو نفسه في مقدمة معجمه «المرجع»: يسرد تحت الجذر «ما حفظ من مشتقاته، سرداً مع الإحالة إلى بحثها حيث تقع من النطق». وهذا يعني أنه يعيد ذكر المشتقات في أبوابها المتفرقة بعد ذكرها مجتمعة.

165 - الكافي المقدمة ص 5.

166 - عبد الله العلايلي، المرجع، (بيروت، 1963م)، ج 1، المقدمة.

167 - هذا القول للدكتور محمد رشاد الحمزاوي، انظر د. عفيف عبد الرحمن: «من قضايا المعجمية العربية المعاصرة»، من كتاب، في المعجمية العربية المعاصرة، ص 394، للمزيد حول الموضوع أنظر المصدر نفسه ص 388؛ أحمد شفيق الخطيب، «من قضايا المعجمية العربية المعاصرة» في المعجمية العربية المعاصرة، ص ص 627 ـ 629.

168 - أحمد فارس الشدياق، الجاسوس على القاموس، ص ص10 ـ 11.

169 - د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 327.

170 - أسمى بطرس البستاني صاحب معجم «محيط المحيط» هذا النوع من التفسير بالتعريف الدوري وقال: إنه واقع في جميع المعاجم، ومثل عليه بقولهم: «تلافى الأمر: تداركه: وتدارك الأمر تلافاه، وقولهم تنجز الحاجة: استنجحها واستنجح الحاجة: تنجزها، وقولهم: الجو: الهواء، والهواء: الجو.. أنظر البستانى «في شوائب المعجم» مجلة المشرق، سنة 1931م مجلد 29ص ص 683ـ 688، نقلاً عن رياض زكي قاسم ، المعجم العربي، ص 342. ولا أخال معجم البستاني المذكور نفسه بريئ من مثل هذه التعريفات. وهي كثيرة حتى في معاجمنا الجديدة المشهورة.

171 - ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين (القاهرة: دار المعارف، 1984)، ج2، ص 2049.

172 - للمزيد من الأمثلة على ذلك بالإضافة إلى ما ذكرنا، أنظر رياض زكي قاسم، المعجم العربي: بحوث في المادة والمنهج والتطبيق (بيروت: دار المعرفة، 1407هـ / 1987م)، ص ص 272ـ 274.

173 - د. إبراهيم أنيس وجماعة، المعجم الوسيط، ط2 (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ج1، ص 248.

174 - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوجيز، ص، 178، 350، 412 على التوالي.

175 - المعجم الوسيط، ج2، ص 939.

176 - أنظر د. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم ، ص202.

177 - للتفصيل في معرفة وسائل تفسير معنى الكلمة في المعجم أنظر د محمد أحمد أبوالفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ص ص102 ـ136.

178 - أنظر د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 329.

179 - أحمد شفيق الخطيب، «من قضايا المعجمية العربية المعاصرة»، في المعجمية العربية المعاصرة، ص 607.

180 - د. متري عبد المسيح، لغة العرب، ص /ي.

181 - بطرس البستاني، البستان، المقدمة، ص 15.

182 - أنظر مقدمة معجم (لغة العرب) ل - س.

183 -للتمثيل على ذلك أنظر أحمد فارس الشدياق، الجاسوس على القاموس، ص12.

184 - أنظر د. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم (الرياض: جامعة الملك سعود، 1411هـ/ 1991م)، ص139.

185 - أنظر د. أحمد محمد المعتوق، «ظاهرة اللفظية أسبابها، نتائجها، وسائل علاجها»، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الخامس، الآداب (2)، 1413هـ/1993م، ص ص 534 وما بعدها.

186 - د. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة (الدار البيضاء: دار الثقافة، 1400هـ ـ 1979م)، ص330.

187 - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 273.

188 - أحمد شفيق الخطيب، «من قضايا المعجمية العربية المعاصرة»، في المعجمية العربية المعاصرة، ص 621.

189 - لمزيد من المعلومات عن أهمية الشواهد الصورية في المعجم وعن أهدافها وصفاتها وقواعدها وأنواعها ودرجات وموارد وكيفيات استخدامها أنظر: د. خليل إبراهيم الحماش: «الرسوم التوضيحية ومكانتها في المعجم»، اللسان العربي، العدد الثاني والعشرون 1404هـ/1984م، ص ص 129 131؛ د. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص ص 185 - 195.

190 - د. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص 186.

191 - أنظر أحمد شفيق الخطيب، «من قضايا المعجمية العربية المعاصرة»، في المعجمية العربية المعاصرة، ص 622.

192 - كمال محمد بشر، علم اللغة العام، القسم الثاني: الأصوات اللغوية (القاهرة: دار المعارف، 1975م)، ص 196.

193 - أحمد شفيق الخطيب: «من قضايا المعجمية العربية المعاصرة» في المعجمية العربية المعاصرة ص ص 624 ـ 625.

194 - كمال محمد بشر، علم اللغة العام، ص 196.

195 - حول المعجم المرحلي المتدرج أنظر د. المعتوق، الحصيلة اللغوية، ص ص 225 ـ 228.

196 - أنظر Sidney Landau, Dictionaries: The Art & Craft of Lexicography (Cambridge: University, 1996) pp. 12-13

قائمة بالمعاجم التي شملتها الدراسة
مصنفة حسب النوع ومرتبة وفق التسلسل الهجائي الألفبائي

أ - المعاجم القديمة:

1 - أساس البلاغة، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، تحقيق عبد الرحيم محمود، القاهرة، إحياء المعاجم العربية، 1372هـ/1953م. من الطبعات الأخرى التي ظهرت لهذا المعجم: طبعة له صدرت عن دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1972م، في مجلدين. وطبعة أخرى صدرت عن دار صادر ببيروت، سنة 1965.

2 - تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الزبيدي (ت 1205هـ)، ط2 تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، 1407هـ ـ1986م من الطبعات الأخرى المتداولة لهذا الكتاب، طبعة مصورة صدرت في 10 مجلدات عن دار ليبيا للنشر والتوزيع ببنغازي، 1966.

3 - الصحاح، أو تاج اللغة وصحاح العربية، لاسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة: دار الكتاب العربي، 1956م. وقد ظهر الصحاح في طبعة جديدة بعنوان: الصحاح في اللغة والعلوم: تجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية، لنديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، ،تقديم العلامة الشيخ عبد الله العلايلي، ط1، بيروت: دار الحضارة العربية، 1974م، إلا أنني لم أطلع إلا على الجزء الأو ل من هذه الطبعة .

4 - القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817 هـ)، (4 مجلدات)، بيروت: دار الجيل، د.ت وقد ظهرت طبعات أخرى عديدة لهذا المعجم، من أبرزها وأحسنها طبعة بتحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1407هـ ـ 1987م، ثم طبعة المكتبة التجارية بالقاهرة، 1962، (4 مجلدات). وقد ظهرت طبعة أخرى في (4 أجزاء) بعنوان: ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير

وأساس البلاغة، للطاهر أحمد الزاوي، القاهرة، الحلبي، 1973م .
5 - لسان العرب المحيط، محمد بن مكرّم بن منظور الإفريقي (ت 711هـ)، ستة (6) مجلدات تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، القاهرة: دار المعارف، 1984. وهذه الطبعة مضبوطة، مذيلة بفهارس وافية مفصلة منظمة حول فيها المعجم من نظام القافية إلى النظام الهجائي الجذري، وقد ظهرت طبعة أخرى مماثلة من حيث المنهج قام بإخراجها كل من نديم مرعشلي ويوسف خياط وأصدراها في ثلاثة (3) مجلدات في بيروت عام 1970م.

ب - المعاجم العامة الحديثة:

1 - أقرب الموارد إلى فُصح العربية والشوارد، سعيد الشرتوني (ت 1912م) ثلاثة مجلدات، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1893م .
2 - البستان، معجم لغوي مطول، عبد الله البستاني (ت 1930م)، بيروت: مكتبة لبنان، ط1، 1992م
3 - الرائد: معجم لغوي عصري، جبران مسعود، ط3 بيروت: دار العلم للملايين، 1978م. صدرت لهذا المعجم طبعة سابقة عن دار الملايين نفسها سنة 1965.
4 - القاموس الجديد: الألفبائي، الجيلاني بن الحاج يحيى، بلحسن البليش، علي بن هادية، أعاد النظر فيه ونقحه وراجعه الجيلاني بن الحاج يحيى، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، تويس الأطلسية للنشر، ط10، 1417هـ 1997م.
5 - الكافي: معجم عربي حديث، محمد خليل الباشا، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط3، 1994م، لبنان.
6 - لغة العرب، د. جورج متري عبد المسيح، بيروت: مكتبة لبنان، ط1، 1993م.
7 - متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، (5 أجزاء)، الشيخ أحمد رضا (ت1953م)، ط1 بيروت: دار مكتبة الحياة، 1377هـ/1958. طبع هذا المعجم مرة أخرى في بيروت: دار مكتبة الحياة، 1380هـ/1960م.
8 - المحيط: معجم اللغة العربية، أديب اللجمي، البشير بن سلامة، شحادة الخوري، عبد اللطيف عبيد، تقديم د. محي الدين صابر، ط 2، بيروت، 1994م.
9 - محيط المحيط: قاموس مطول للغة العربية، بطرس البستاني (ت 1883م، بيروت: مكتبة لبنان،

1977م. طبع هذا المعجم للمرة الأولى في جزئين، بيروت: مكتبة لبنان، 1870م. ثم صدرت له طبعة ثانية مصورة عن الأولى، ببيروت، سنة 1966.
10 - المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لاروس، 1989م.
11 - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (جزئين)، القاهرة: 1392هـ/1972م. ظهر هذا المعجم في طبعته الأولى عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة نفسه، سنة 1960؛ كما صدر بجزئين في مجلد واحد، عن دار الدعوة، استانبول، د.ت.
12 - المنجد في اللغة الأعلام، لويس المعلوف اليسوعي (ت 1946م)، صدرت الطبعة الأولى من المنجد سنة 1908م، ثم توالت الطبعات، نظراً لإقبال الناس عليه، والذي بين أيدينا، هو الطبعة الحادية والعشرون، الصادرة في العام 1973، بيروت: دار المشرق.
13 - الهادي إلى لغة العرب: قاموس عربي ـ عربي (4) أجزاء، حسن سعيد الكرمي بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، 1411هـ/1991م.

ج - معاجم الطلاب العامة

1 - أبجد: القاموس العربي الصغير، دار الراتب، ط1، بيروت: دار الراتب الجامعية، 1997م 2 - الأداء: القاموس العربي الشامل، دار الراتب، ط1، بيروت: دار الراتب الجامعية، 1997م. 3 - الأسيل: القاموس العربي المحيط، دار الراتب، ط1، بيروت: دار الراتب الجامعية، 1997م.
4 - رائد الطلاب: معجم لغوي عصري للطلاب رتبت مفرداته وفقاً لحروفها الأولى، جبران مسعود، بيروت: دار العلم للملايين، 1967م.
5 - فاكهة البستان، عبد الله البستاني (ت 1930م)، بيروت: مكتبة لبنان، المطبعة الأميركانية 1930م. صدر في طبعة جديدة بعنوان: الوافي: معجم وسيط للغة العربية، بيروت: مكتبة لبنان 1980م. وأعيد طبعه بالعنوان نفسه سنة 1990م.
6 - قاموس الهادي، د. فايز يوسف محمد، طرابلس: دار الشمال، 1998م.
7 - قطر المحيط، بطرس البستاني (ت 1883م)، بيروت: دار مكتبة لبنان ناشرون، 1995م، الطبعة الجديدة.
8 - لاروس: المعجم العربي الحديث، د. خليل الجر، باريس: مكتبة لاروس، 1973م.
9 - مجاني الطلاب، دار المجاني شرحل، ط 1، بيروت: دار المجاني شرحل، 1995.

10 - مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت 691هـ)، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1983م . حظي هذا المعجم بطبعات كثيرة في أشكال مختلفة، وكان أكثرها عدداً طريقة ترتيبه وفق أو ائل الأصول التي عني بها الأستاذ محمود خاطر، وراجعها وصححها الشيخ حمزة فتح الله. طبع في المطبعة الأميرية 1905، ثم في سنة 1907، ثم أعادت المطبعة الأميرية طبعه تسع مرات، كان آخرها سنة 1964. كما نشرته دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة سنة 1967. وطبع مراراً في دمشق بمطبعة الترقي منها طبعة سنة 1954.

11 - مختار القاموس: مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير، الطاهر أحمد الزاوي، ط 1 الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1418هـ ـ 1998م.

12 - المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي (ت 770 هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، 1414هـ/ 1994م.

13 - معجم الطالب، جرجس همام الشويري (ت 1921م)، بيروت: مكتبة لبنان، 1995. قطع صغير، 1336صفحة، مجلد واحد ، طبعة مزودة بأطلس مفهرس للبلاد العربية والقارات. صدرت الطبعة الأو لى منه ببيروت، المطبعة العثمانية، بعبدا، 1907، في 1268 صفحة، قطع صغير.

14 - معجم الطلاب، د. محمود اسماعيل صيني وحيمور حسن يوسف، بيروت: مكتبة لبنان، 1991م.

15 - المعجم العربي الميسر: قاموس عربي/عربي، إعداد د. أحمد زكي بدوي وصديقة يوسف محمود، القاهرة دار الكتاب المصري، 1413هـ ـ 1991م.

16 - المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية ط 1، القاهرة، مجمع اللغة العربية 1400هـ/ 1980م.

17 - المنجد الأبجدي، بيروت دار المشرق 1993م. وقد ظهر هذا المعجم في طبعته الأولى عن دار المشرق ببيروت، عام 1968م. المعجم في الأصل مختصر عن المنجد في اللغة للويس معلوف (ت 1946م).

18 - المنجد الإعدادي، لويس المعلوف، بيروت: دار المشرق، 1987م. صدر في طبعته الأو لى

عن دار المشرق ببيروت سنة 1969م . المعجم في الأصل مختصر عن المنجد في اللغة للويس معلوف.

19 - منجد الطلاب، فؤاد أفرام البستاني، بيروت دار المشرق، 1986م. وقد صدر في طبعته الأو لى سنة 1968م. والمعجم في الأصل مختصر عن المنجد في اللغة للويس معلوف (ت 1946م).

20 - منهل اللغة الصغير، د. جوزيف إلياس، نيقوسيا: دار منشورات الرمال، 1997م.

المصادر والمراجع

1 - أبوالفرج، محمد أحمد، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ط1، بيروت: دار النهضة العربية، 1966م.

2 - ابن جني، أبوالفتح عثمان، الخصائص، ط2، تحقيق محمد علي النجار، بيروت: دار الكتاب العربي، 1371 هـ ـ 1952م.

3 - ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، القاهرة: دار المعارف، 1984.

4 - ابن النديم، محمد بن إسحق، الفهرست تحقيق رضا ـ تجدد بن علي المازندراني، ط3، بيروت: دار المسيرة، 1988م.

5 - ابن هادية. علي، وآخرون، القاموس الجديد، معجم عربي مدرسي ألفبائي، ط5، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1984م.

6 - إقبال، أحمد الشرقاوي، معجم المعاجم: تعريف بنحوألف ونصف ألف من المعاجم العربية التراثية، ط 2، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1993م.

7 - آل ياسين، د. محمد حسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1400هـ/1980م.

8 - إلياس، د. جوزيف ، منهل اللغة الصغير، نيقوسيا: دار منشورات الرمال، 1997م .

9 - أمين، أحمد: «أسباب تضخم المعجمات العربية»، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مج 9، (1957).

10 - أو لمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال محمد بشر، القاهرة: مكتبة الشباب، 1975م.

11 - الباشا، محمد خليل، الكافي: معجم عربي حديث، ط3، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1994م .
12 - بدوي، د. أحمد زكي وصديقه يوسف محمود المعجم العربي الميسر: قاموس عربي/عربي ،القاهرة دار الكتاب المصري، 1413هـ ـ 1991م.
13 - البستاني، بطرس، محيط المحيط: قاموس مطول للغة العربية، بيروت: مكتبة لبنان، 1977م.
14 - البستاني، عبد الله، البستان: معجم لغوي مطول، ط1، بيروت: مكتبة لبنان، 1992م.
15 - البستاني، عبد الله، الوافي: معجم وسيط للغة العربية، بيروت: مكتبة لبنان 1990م. صدر في طبعته الأصلية بعنوان: فاكهة البستان عن المطبعة الأميركانية ببيروت عام1930م.
16 - البستاني، فؤاد أفرام، المنجد الأبجدي، ط1، بيروت: دار المشرق، 1968م ط 9، بيروت:دار المشرق، 1993م .
17 - البستاني، فؤاد أفرام البستاني، منجد الطلاب، بيروت دار المشرق، 1986م.
18 - البستاني، فؤاد أفرام البستاني، المنجد الأبجدي، بيروت دار المشرق 1993م.
19 - بشر، كمال محمد، علم اللغة العام، القسم الثاني: الأصوات اللغوية، القاهرة: دار المعارف، 1975م .
20 - بن مراد، إبراهيم ، دراسات في المعجم العربي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987م.
21 - ترحيني، فايز: «العربية والمعجمات»، مجلة الباحث، س 10، ع 2 - 50 - نيسان - حزيران - 1988.
22 - جبري، شفيق «الألفاظ والحياة»، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 48، ج4، 1973/1393.
23 - الجر، د. خليل، لاروس: المعجم العربي الحديث ، باريس: مكتبة لاروس، 1973م .
24 - الحاج يحيى، الجيلاني بن، وآخرون، القاموس الجديد: الألفبائي، ط10، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، تونس الأطلسية للنشر، 1417هـ 1997م.
25 - حجازي، د. محمود فهمي، علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، ط2، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت.

26 - حجازي، محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة، ط2، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1978م.
27 - حسان، د. تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ط3، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م.
28 - حسان د. تمام ، مناهج البحث في اللغة، الدار البيضاء: دار الثقافة، 1400هـ ـ 1979م.
29 - حماد، د. أحمد عبد الرحمن ، عوامل التطور اللغوي، دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية، بيروت: دار الأندلس، 1403/1982.
30 - الحماش، د. خليل إبراهيم : «الرسوم التوضيحية ومكانتها في المعجم»، اللسان العربي، العدد الثاني والعشرون 1404هـ/1984م.
31 - الحمد، د. علي توفيق : «بطرس البستاني وجهوده المعجمية»، في المعجمية العربية المعاصرة؛ د. إبراهيم السامرائي، مع المصادر في اللغة والأدب، عمان: دار الفكر، 1983م؛ حكمت كشلي، المعجم العربي في لبنان، بيروت: دار ابن خلدون، 1982م.
32 - الحمزاوي، د. محمد رشاد، من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً، دار الغرب الإسلامي، 1986
33 - الخطيب، أحمد شفيق، «من قضايا المعجمية العربية المعاصرة» في المعجمية العربية المعاصرة: وقائع ندوة مائوية أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني، ورينحارت دوزي، جمعية المعجمية العربية بتونس ، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1407هـ ـ 1987م، الملحق الأو ل والثاني.
34 - الخطيب، د. عدنان، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ط 2، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1414هـ/ 1994م.
35 - خليل، د. حلمي، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، ط1، بيروت: دار النهضة العربية، 1997م.
36 - دار الراتب، أبجد: القاموس العربي الصغير، ط1، بيروت: دار الراتب الجامعية، 1997م

37 - دار الراتب، الأداء: القاموس العربي الشامل، ط1، بيروت: دار الراتب الجامعية، 1997م
38 - دار الراتب، الأسيل: القاموس العربي المحيط، ط1، بيروت: دار الراتب الجامعية، 1997م
39 - دار المجاني، مجاني الطلاب، ط 1، بيروت: دار المجاني شرحل، 1995م.
40 - دار المجاني شرحل، مجاني الطلاب، ط 1، بيروت: دار المجاني شرحل، 1995.
41 - الدقاق، د. عمر ، مصادر التراث العربي، حلب: المكتبة العربية، 1970م.
42 - الدقاق، عمر، مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، ط3، حلب، 1972.
43 - الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1983م .
44 - رضا، الشيخ أحمد، معجم متن اللغة، (4) أجزاء، بيروت دار مكتبة الحياة، 1377هـ/ 1958م
45 - رضا، الشيخ أحمد، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ج21، سنة 1946م، ج22 س 1947م
46 - الزاوي، الطاهر أحمد، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ط2، القاهرة، الحلبي، 1973م.
47 - الزاوي، الطاهر أحمد، مختار القاموس المحيط: مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير، ط 1، الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1418هـ ـ 1998م؛ ط2، ليبيا تونس: الدار العربية للكتاب، 1978.
48 - الزبيدي، السيد محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ط2، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، 1407هـ ـ 1986م.
49 - الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر ، أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، القاهرة.
50 - زيدان، جرجي، اللغة العربية كائن حي، ط2، بيروت: دار الجيل، 1988م.
51 - السامرائي، إبراهيم ، معجميات، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،

1411هـ ،1991م . إحياء المعاجم العربية، 1372هـ/ 1953م.
52 - السامرائي، د. إبراهيم: «المعاجم العربية القديمة»، الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة الأردني 1983م.
53 - السامرائي، د. إبراهيم، مع المصادر في اللغة والأدب، عمان: دار الفكر، 1983م.
54 - السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق أبوالفضل إبراهيم وآخرين، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د. ت ، ج1.
55 - شاهين، د. عبد الصبور، العربية لغة العلوم والتقنية، ط1، دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، 1983م
56 - الشدياق، أحمد فارس، الجاسوس على القاموس قسطنطينية: مطبعة الجوائب، 1299.
57 - الشرتوني، سعيد، أقرب الموارد، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1893م.
58 - الشرتوني، سعيد ، أقرب الموارد إلى فُصح العربية والشوارد بيروت مرسلي اليسوعية، 1889م
59 - الشرتوني، سعيد، أقرب الموارد إلى فُصح العربية والشوارد، ثلاثة مجلدات، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1893م .
60 - الشرقاوي، أنور محمد، العمليات المعرفية وتناول المعلومات، القاهرة: مكتبة الأنجلوالمصرية، 1984.
61 - الشهابي، الأمير مصطفى: «نظرة في المنجد» مجلة مجمع اللغة العربية ـ دمشق، م 22، ج3 (1957م) 52 - الصيادي، د. محمد المنجي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، ط4، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1985.
62 - الشويري، جرجس همام ، معجم الطالب، بيروت: مكتبة لبنان، 1995.
63 - صيني، د. محمود إسماعيل وحيمور حسن يوسف، معجم الطلاب، بيروت: مكتبة لبنان، 1991م.
64 - ظاظا، د. حسن ، كلام العرب، من قضايا اللغة العربية، بيروت: دار النهضة العربية، 1976.
65 - العابد، أحمد وعبد اللطيف عبيد: «المعجم العربي بين الإفراط والتفريط إنطلاقاً من مقارنة

بين المعجم الوسيط» ومشروع المعجم العربي الأساسي». وقائع ملتقى التهيئة اللغوية والتنمية، الرباط ـ يولية 1983م، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.
66 - العايد، د. أحمد : «معجم الأطفال الأساسي المصور الثنائي اللغة»، اللسان العربي، العدد العشرون 1403هـ/1983م.
67 - العابد، أحمد : «هل من معجم عربي وظيفي ؟» من كتاب في المعجمية العربية المعاصرة. وقائع ندوة مائوية أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني، ورينحارت دوزي، جمعية المعجمية العربية بتونس بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1407هـ ـ 1987م).
68 - عبد الرحمن، د. عفيف: «من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، من كتاب في المعجمية العربية المعاصرة:.وقائع ندوة مائوية أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني، ورينحارت دوزي، جمعية المعجمية العربية بتونس بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1407هـ ـ 1987م).
69 - عبد الله، يسري عبد الغني، معجم المعاجم العربية، بيروت: دار الجيل، 1411هـ/ 1991م.
70 - عبد المسيح، د. جورج متري، لغة العرب، ط1، بيروت: مكتبة لبنان، 1993م.
71 - العلايلي، الشيخ عبد الله، المرجع، بيروت: دار المعجم العربي، 1963.
72 - العمادي، منير: «أغلاط المنجد»، مجلة مجمع اللغة العربية ـ دمشق، م40، ج3، (1965م)، وم 41، ج 1، (1966م).
73 - العمادي، منير: «أغلاط المنجد»، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، م 40، ج4، (1965م).
74 - العمادي، منير: «أغلاط المنجد»، مجلة المعرفة الدمشقية، س2، 1963، ج8، 9، 10 وس3، 1964، ج 30.
75 - عمر، د. أحمد مختار «محاضرات في علم اللغة الحديث»، عالم الكتب، 1995م.
76 - عمر، د. أحمد مختار ، صناعة المعجم الحديث، القاهرة، عالم الكتب، 1418هـ ـ 1998م.
77 - عمر، د. أحمد مختار: «أزمة اللغة العربية المعاصرة والحاجة إلى حلول غير تقليدية»، قضايا فكرية ـ الكتاب السابع والثامن عشر ـ مايو1997م..

78 - فراج، عبد الستار: «المنجد في الإعلام: نقد له أيضاً» مجلة العربي، ع 138 1970م.
79 - فراج، عبد الستار: «المنجد معجم في اللغة: نقد لا مفر منه»، مجلة العربي، ع1970، 134م.
80 - فريحة، أنيس: «نظرة في معجم العلايلي»، مجلة الأبحاث، المجلد السابع، 1954م .
81 - فهمي، د. مصطفى، سيكولوجية التعليم، القاهرة: دار مصر للطباعة، د.ت.
82 - فواز، د. حكمت كشلي، لسان العرب لإبن منظور: دراسة وتحليل ونقد، بيروت: دار الكتب العلمية، 1994م.
83 - الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط2، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1407هـ ـ 1987م.
84 - الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت: دار الجيل، د.ت.
85 - الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري ، المصباح المنير، بيروت: دار الكتب العلمية، 1414هـ/ 1994م.
86 - قاسم، د. رياض، المعجم العربي: بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، ط1، بيروت: دار المعرفة 1407هـ/1987م.
87 - القاسمي، د. علي، علم اللغة وصناعة المعجم، الرياض: جامعة الرياض، 1395هـ/ 1975م.
88 - القاسمي ، د علي ، علم اللغة وصناعة المعجم، الرياض: جامعة الملك سعود، 1411هـ/ 1991م.
89 - القطان، إبراهيم، عثرات المنجد، بيروت: دار القرآن الكريم.
90 - القطان، إبراهيم : «المنجد في طبعته الجديدة»، مجلة العربي، ع189، 1974م.
91 - الكرمي، حسن سعيد، الهادي إلى لغة العرب: قاموس عربي ـ عربي، بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، 1411هـ ـ 1991م.
92 - كشلي، حكمت، المعجم العربي في لبنان، بيروت: دار ابن خلدون، 1982م.
93 - كمال محمد بشر، علم اللغة العام، نفس الصفحة.
94 - كنون، عبد الله: «نظرة في منجد الآداب والعلوم»، اللسان العربي ، ع1، 1964م.
95 - اللجمي، أديب، وآخرون، المحيط: معجم اللغة العربية، تقديم د. محي الدين صابر ، ط

2بيروت، 1994م.
96 - المبارك، د. مازن، نحو وعي لغوي، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1399هـ/1979م.
97 - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوجيز، القاهرة ، 1400هـ/1980م.
98 - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ط 2، القاهرة: 1392هـ/1972
99 - محمد، د. فايز يوسف، قاموس الهادي، ط1، طرابلس: دار الشمال، 1998م.
100 - مرعشلي، نديم وأسامة، الصحاح في اللغة والعلوم: تجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية، تقديم عبد الله العلايلي ، بيروت: دار الحضارة العربية، 1974م.
101 - مسعود، جبران، الرائد: معجم لغوي عصري، ط3، بيروت: دار العلم للملايين، 1978م.
102 - مسعود، جبران، رائد الطلاب : معجم لغوي عصري للطلاب رتبت مفرداته وفقاً لحروفها الأولى، بيروت: دار العلم للملايين، 1967م .
103 - مطر، د. عبد العزيز، «المعجم الوسيط بين المحافظة والتجديد»، من كتاب في المعجمية العربية المعاصرة: وقائع ندوة مائوية أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني، ورينحارت دوزي، جمعية المعجمية العربية بتونس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1407هـ ـ 1987م.
104 - المعتوق، د. أحمد محمد، الحصيلة اللغوية: أهميتها ـ مصادرها ـ وسائل تنميتها، عالم المعرفة (212) ربيع الأول 1417هـ ـ أغسطس /آب 1996م .
105 - معلوف، لويس اليسوعي، المنجد في اللغة والأعلام ،ط 21، بيروت: دار المشرق، 1973..
106 - معلوف، لويس، اليسوعي ، المنجد الإعدادي، بيروت: دار المشرق، 1987م.
107 - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، لاروس، 1989م.
108 - مورو، فرانسوا «القصة الحقيقية للموسوعة»، عرض محمود قاسم، مجلة العربي، ع 488 ـ يوليو1999م، الكويت.

109 - الموسى، د. نهاد، اللغة العربية وأبناؤها أبحاث في قضية الخطأ وضعف الطلبة في اللغة العربية، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، 1405هـ/1984م.
110 - ناصر الدين، أمين الرافد، بيروت: مكتبة لبنان، 1971.
111 - نصار، د. حسين ، المعجم العربي: نشأته وتطوره، القاهرة: دار مصرللطباعة، د. ت.
112 - هرمز، صباح حنا، الثروة اللغوية للأطفال العرب ورعايتها، الكويت: الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، 1987م.
113 - وافي، د. علي عبد الواحد، علم اللغة، ط6، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1387هـ/1967م.
114 - وافي، د. علي عبد الواحد، فقه اللغة، ط6، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، د. ت.

المراجع الأجنبية

1- Asher, R.E. The Encyclopedia of Language & Linguistics Theory, Pergoman Press, 1994.
2- Bailey. R. W. «Dictionaries of the Next Century». Lexicography: an Emerging International Profession, London, 1986.
3- Grenville, Freeman. The Muslim and Christian Calenders: tables for the conversion of Muslim and Christian dates from the Higra to the year 2000 A.D., 2nd edition, London, Rex Collings Ltd., 1977.
4- Gove, Philip B. «The nonlexical and encyclopedic Names», (1965).
5- Hartmann, R.K. «Theory and Practice in Dictionary Making». Lexicography: Principles & Practice, London: Academic Press, 1983.
6- Landau,Sidney. Dictionaries: The Art & Craft of Lexicography. Cambridge University, 1996.
7- Edwward, W. L. An Arabic - English Lexicon, ed by Stanly Lane Poole (London & Edinburgh, 1863-1874). parts 6-8, 1877 -1893.

8- Haywood. F. W. Arabic Lexicography. (Leiden: E.J. Brill 1960).
9- Methodical Dictionary of the Science , Arts and Trades.
10 - Yorkey, R. «Which desk dictionary is best for foreign students of English?». TESOL Quarterly, 3 (1969).

الكتب الصادرة للمؤلف

من بين المؤلفات التي صدرت له بالإضافة إلى هذا الكتاب:

1 - الحصيلة اللغوية: أهميتها - مصادرها - وسائل تنميتها. سلسلة عالم المعرفة، عدد (212). 1417 هـ/1996م - الكويت.

2 - المعاجم اللغوية العربية: المعاجم العامة: وظائفها ومستوياتها وأثرها في تنمية لغة الناشئة، الطبعة الأولى، أبو ظبي، المجمع الثقافي، 1999م.

3 - المعاجم العربية ثنائية اللغة، سلسلة الكتب العلمية العربية المحكمة - جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - عمادة البحث العلمي، 1425هـ/2004م.

4 - نظرية اللغة الثالثة، دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى، المركز الثقافي العربي 2005م.

5 - اللغة العليا، دراسات نقدية في لغة الشعر، المركز الثقافي العربي 2006 م.

6 - الشريف المرتضى: حياته - ثقافته - أدبه، نقده. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2007.